تقي الدين النبهاني

الدولة الإسلامية

١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م

American University of Beirut
University Libraries

Donated by
Mufti Sheikh Hassan Khaled

A.U.B. Library

تقي الدين النبهاني

JK
297.617
N115dA
c.2

الدولة الإسلامية

١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م

مطابع المنار – دمشق

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يع الجيل الحاضر على الدولة الاسلامية التي تطبق الاسلام. والذين عاشوا في أواخر الدولة الاسلامية (الدولة العثمانية) التي أجهزت عليها الغرب ، انما رأوا بقايا دولة فيها بقايا حكم اسلامي . ولهذا فان من أصعب ما يجد الداعية المسلم ، تقريب صورة الحكم الاسلامي الى أذهان يسيطر عليها الواقع السيء، ولا تستطيع ان تتصور الحكم الا في مقياس ما ترى في هذا الواقع من اوضاع سيئة للحكم الرأسمالي الاستعماري المفروض على البلاد الاسلامية ومنها العربية . وليست الصعوبة في هذا وحده ، وانما اصعب الصعوبة في تحويل هذه الاذهان (المضبوعة) بالثقافة الغربية . لقد كانت هـــذه الثقافة الغربية سلاحاً شهره الغرب في وجه الدولة الاسلامية ، وطعنها به طعنة نجلاء اودت بحياتها ، وحمل الى ابناء هذه الدولة سلاحه هذا يقطر من دماء امهم القتيل ، وقال لهم – مفتخراً – : (لقد قتلت امكم العجوز التي كانت تستحق القتل لسوء حضانتها لكم ، وقد مهدت لكم عندي حضانة تتذوقون فيها الحياة السعيدة والنعيم المقيم) . ومدوا ايديهم يصافحون القاتل ، وما يزال سلاحه مخضباً بدماء امهم . لقد فعـــل معهم فعل الضبع فيما يروون – حينما تجعل فريستها تذهل الا عن اللحاق بها فلا تصحو الا بضربة يسيل لها دمهـــا ، او تصل بها الضبع الى قعر الوادي فتأكلها .

فمن لي باصحاب هذه الاذهان المضبوعة ان يعرفوا ان هذا السلاح المسموم الذي قضي على دولتهم الاسلامية هو نفسه الذي يقضي دائما - ماتمسكوا به - على حياتهم وكيانهم ، وان هذه الافكار التي يحملونهـــا - من القومية وفصل الدين عن الدولة ، ومن آراء نطعن في الاسلام - هي بعض السموم التي حملتها لهم هذه الثقافة . وفصل (الغزو التبشيري) من كتاب (الدولة الاسلامية) هذا - وكله حقائق وارقام ناطقة - يرينا القاتل المجرم ، ويقفنا على السبب الذي حمله على ارتكاب الجريمة ، ويبصرنا بالوسائل التي توسل بها للقضاء على القتيل . وما كان السبب الا قصد محو الاسلام ، وما كان اهم الوسائل الا هذه الثقافة التي جاءت مع الغزو التبشيري .

ولا أظن انساناً فيه شيء من مشاعر اسلامية يقف على هذه الحقائق ، ويعرف كيف ، ولماذا ، نال هذا الغرب المجرم منه ومن دولته ، وكيف لفت مع ذلك نظره عن الجريمة بل صورها له بصورة من فعل الجميل ، الاثارت نفسه ؛ ونذرها ضحية للانتقام من الغرب ووسائله .

ولنلق بالمشاعر جانباً ، فانه لا يوجد عاقل - الا المضبوعين - يرى السم ويتجرعه مختارا . على انه قد آن لهؤلاء ان يصحوا ، فان لهم في ضربة فلسطين وفي الدماء التي اسالتها منهم : من اجسامهم واعراضهم وكرامتهم - كان لها دماء - ما يكفي كل الكفاية لان يفيقوا من غفلتهم ويستعيدوا رشدهم .

ولينظروا الان - بعد هذا التصوير ، كم يكون منظرهم متناقضاً تناقضا مزريا ومضحكا معا ، وهم يديرون ظهورهم للاجنبي - يدعون محاربته - ويمدون اليه ايديهم من خلف بكانا يديهم من ليتناولوا سمومه القاتلة يتجرعونها ، فيسقطون بين يديه هلكى ، بحسبهم الجاهل شهداء نزال ، وما هم الا صرعى غفلة وضلال .

ماذا يريدون ؟ ايريدون دولة على غير اساس الاســـلام ؟ لقد اعطاهم الغرب ـ منذ جعلوا الامر اليه ـ دولا كثيرة . وهو على استعداد لان يعطيهم أكثر ، ما داموا يحملون مبدأه ومفاهيمه لانهم جزء منه .

ان الامر ليس في قيـام دولة أي دولة ، ولا في قيام دولة او دول تسمى اسلامية ، وتحكم بغير ما انزل الله ، بل ولا في قيـام دولة تسمى اسلامية وتحكم بالقوانين الاسلامية المجردة ، دون ان تحمل الاسلام عقيدة ومبدأ وقيادة فكرية — ان الامر ليس في قيام دولة ، كذلك ، وانمـا هو في قيام دولة تستأنف الحياة الاسلامية عن عقيدة ومبدأ وتطبق الاسلام في المجتمع بعد ان يكون متغلغلا في النفوس متمكنا من العقول بايجاد الاجواء والمشاعر العامة ، وتحمل الدعوة الاسلامية وقيادتها الفكرية للعالم .

ليست الدولة الاسلامية خيالا يداعب الاحلام ، لانها قد امتـلأت بها جوانب التاريخ ، وتعطرت بها انفاسه في مدى ثلاثة عشر قرنا ، فهي حقيقة. كانت كذلك في المـاضي وتكون كذلك في المستقبل القريب لان عوامل وجودها اقوى من ان ينكرها الزمن او يقوى على مصارعتها ، وقد امتلأت بها اليوم الاذهان الواعيـة والعقول المستنيرة من عيون الامـة ، ومن الفئة المختارة من مفكريها ، وهي امنية الامة الاسلامية المتعطشة لمجد الاسلام .

وليست الدولة الاسلامية رغبة تستأثر بالقلب عن هوى ، لانهـا واجب يحتمه الاسلام على المسلمين ، كما يحتمه عليهم تاريخهم ، ويمليه عليهم واقعهم ، اذ كيف تنتهي تبعيتهم للغير ، وكيف يضعون حدا لاستعمارهم واستغلالهم واذلالهم دون ان تكون لهم دولة تمثلهم بوصفهم مسلمين ؟ وبكلمة واحدة : كيف يكونون امة اسلامية وليس لهم دولة اسلامية تطبق الاسلام وتحمل مبدأه وقيادته الفكرية ؟

وليست الدولة الاسلامية حاجة قوم دون آخرين ، بل هي حاجة الاقوام كلها ، لتشمل الناس كافة سعادة تطمئن بها قلوبهم ، وترضى بها نفوسهم ولا يتحقق للناس هذا الا بالاسلام ، لانه لا يطلق لهم ان يحددوا السعادة برغباتهم ، بل يعينها بانها ارضاء الله ، وهذا الارضاء يلازمه نفع العباد دون تمييز او تفريق ، ملازمة نور الشمس للشمس . والدولة الاسلامية حاجة الاقوام كلها ليخلص الناس من هذا التوتر والقلق والاضطراب، الذي انهك اعصابهم واوجد فيهم سعار الحرب ، من جراء الفلسفة المادية ، والنطاح في سبيل المادة ، فانه اذا ظهر الاسلام — وهو لابد ظاهر بعون الله — زال ما يسود العالم من قلق واضطراب ، لان من طبيعة الاسلام — وما بالطبع لا يتخلف — ان لا يكون معه معسكرات عالمية ، فقد امحى المعسكران : الشرقي والغربي حين وجدت الدولة الاسلامية ، وذر قرناهما حين طواها التاريخ ، فحين تعود شمسها للظهور مرة اخرى يمحى هذان المعسكران ايضا، وتمسك هي بزمام المبادرة ، فلا يخشى العالم قلقا ولا اضطرابا .

ولذلك كان ضروريا للعالم ان تقوم فيه الدولة الاسلامية ، لتزيل ما فيه من قلق واضطراب ، وتمنع قيام الحروب العالمية ، ولتحول دون انقسام العالم الى معسكرين . ولتنقذه من هذا الشقاء الذي يتردى فيه، ولتخلصه من الازمات الروحيه والنفسية التي يرزح تحت كابوسها .

وكان لزاما على المسلمين ان يقيموا الدولة الاسلامية ، لانه لا وجود للاسلام وجوداً مؤثرا الا بالدولة ، ولان بلادهم لا تعتبر ديار اسلام ، الا اذا حكمتها دولة الاسلام .

وليست الدولة الاسلامية — مع هذا — من السهولة بحيث يستوزر المستوزرون — افرادا كانوا او حزبا — فيصبحون وزراء يتربعون في دست

الحكم . ان طريقها مفروشة بالاشواك ، محفوفة بالمخاطر ، مملوءة بالعقبات والمصاعب . وناهيك بالثقافة الاجنبية صعوبة وبالزعامات المأجورة عقبة ، وبضغطها على الحركات ، وعدها الانفاس خطورة .

ان الذين يسلكون طريق الدعوة الاسلامية ، لايجاد الدولة الاسلامية ، انما يهدفون للوصول الى الحكم ، ليجعلوه الوسيلة لاستئناف الحياة الاسلامية ، في البلاد الاسلامية ، وحمل الدعوة الاسلامية الى العالم ، وما هذا الحكم الاسلامي ، الا استمرار للدعوة ، التي هي العمل الاساسي للمسلم في الحياة .

اما الحكم الذي هو وسيلة الدنيا ، والاغراض الفانية ، فانهم يرفضونه ، ويسخطون منه ، ويعتبرون قبوله مخالفا لطريقة الاسلام ، بل خروجاً عليها ومعوقا لقيام الدولة الاسلامية .

وبعد فان كتاب (الدولة الاسلامية) هذا لا يقصد به ان يؤرخ للدولة الاسلامية ؛ ولا ان يبين بيانا فقهيا وسياسيا ما يتعلق بالدولة الاسلامية ؛ وقيامها وجهازها ؛ وانما هو وما شاكله من كتب مثل (أسس النهضة) و (رسالة العرب) و (نظام الاسلام) و (النظام الاجتماعي في الاسلام) و (النظام الاقتصادي في الاسلام) و (نظام الحكم في الاسلام) و (الشخصية الاسلامية) و غيرها .. اقول : ان هذا الكتاب وغيره من الكتب المذكورة ، انما هي كتب دعوة ترمي الى انهاض المسلمين – ومنهم العرب – باستئناف الحياة الاسلامية ، وحمل الدعوة الاسلامية .

وهذه الكتب اذا اخذت على هذا الاعتبار ، كانت حرية بان تأخذ سبيلها الى العقل فيحسن تفهمها وادراكها ، والى المشاعر فتصبح عملا يتحرك في سبيل اقامة دولة الاسلام .

داوود حمدان

بسم الله الرحمن الرحيم

ظهور الاسلام

الاصلاح الانقلابي

كانت جميع نواحي الحياة فاسدة عند العرب خاصة وعند العالم عامة . وكان من ضحالة التفكير ان يكون الاصلاح لناحية او نواحي معينة من الفساد ، بل يتحتم ان يكون الاصلاح انقلابياً شاملاً يتناول جميع النواحي، لان نفسية الانسان « معقدة التركيب دقيقة النسج ، كثيرة المنافذ والابواب، خفية التخلص والتنصل ، وانها اذا زاغت واعوجت لايؤثر فيها اصلاح عيب من عيوبها ، وتغيير عادة من عاداتها ، حتى يغير اتجاهها من الشر الى الخير ، ومن الفساد الى الصلاح ، وتقتلع جرثومة الفساد من النفس البشرية» فكانت الحاجة ماسة الى اصلاح العالم كله ، والى اصلاح نفسية الانسان من حيث هو انسان ، اصلاحاً يتناوله جميعه ، ولهذا كانت الرسالة الاسلامية عامة شاملة في مبادئها وتعاليمها ، وعامة شاملة للعالم كله ، وكانت طريقتها انقلابية سريعة ، ولذلك كانت ثمراتها ناضجة نضجاً تاماً سريعاً .

النظرة الى العالم

فان الاسلام نظر الى العالم كمجموعة انسانية واحدة ، لابد لها من نظام يصلحها جميعها ، ونظر الى كل شعب من شعوبها باعتبار انه جزء من العالم ، فلا بد له من عقيدة ينبثق عنها نظام تجمع هذه الشعوب في امة واحدة رابطتها هي هذه العقيدة المنبثق عنها النظام بحيث تنصهر كلها ، وتصبح امة واحدة لاتعرف شعوبية ولا اقليمية ، وهو يسعى لجعل العالم كله امة

واحدة. ونظر الاسلام الى الفرد في الامة الواحدة باعتباره جزءاً منها ، تتسق مصالحه مع مصالحها .

وهكذا كانت فلسفة الاسلام العامة وعقيدته ونظامه عالمية ، تنظر الى الانسانية النظرة الكلية العامة ، وتنظر الى الفرد في الامة النظرة الجزئية للجماعة والنظرة الكلية لذاته .

غير ان الاسلام مع نظرته هذه للعالم ، فانه اتبع في ظهوره البدء بالفرد كجزء من الجماعة ، ثم بدا بواسطة هؤلاء الافراد بالامة الواحدة ، ثم بواسطة هذه الامة بالامم كلها . فهو ينظر الى العالم اولا ثم ينتهي بالفرد ، ولكنه حين يعمل يبدأ بالفرد اولا ثم ينتهي بالعالم .

محمد رسول نبي

وعلى هذا الاساس لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام رجلا اقليمياً ولا زعيما وطنياً ، ولا قائداً سياسياً ، وانما كان رسولا نبياً ، ارسل الى الناس كافة بشيراً ونذيراً . جاء بالاسلام دين الهدى والحق ليقوم ببناء العالم من جديد على اسس متينة من المعرفة والعلم ومن الثقة والايمان والعدالة والكرامة والعزة والسعادة والاطمئنان للنفس الانسانية .

كيفية ظهور الاسلام

بدء الدعوة والتكتل

حين بعث عليه السلام دعا زوجه خديجه فآمنت به ، ثم دعا ابن عمه عليا فآمن به ، ثم دعا صديقه ابا بكر فامن به ، ثم دعا عشيرته الاقربين فلم يؤمنوا به، وسفهوا قوله فصار يدعو للاسلام في مكة جهراً ويتصل بالناس يعرض عليهم دينه ، ويكتلهم حوله على اساسه سراً . واتخذ له داراً يعلم فيها المسلمين الاسلام ويجعلها مركزاً لهذه الكتلة المؤمنة ، ومدرسة لهذه الدعوة الجديدة ، تلك الدار هي دار الارقم بن ابي الارقم ، فقد كان يجمع فيها المسلمين يقرئهم القرآن ، ويبينه لهم ، ويأمرهم باستظهاره وفهمه وكلما اسلم شخص ضمه الى دار الارقم ومكث مدة ثلاث سنوات وهو يربي هؤلاء المسلمين ويثقفهم : فيبعث فيهم السمو الروحي بالصلاة والتلاوة ، ويربي نفوسهم بالايمان بالتفكر والتأمل ، ويثقف عقولهم بمعاني القرآن والفاظه ، ومفاهيم الاسلام وافكاره ، ويأخذهم بالصبر على الاذى ، وقهر النفس ، ويروضهم على الطاعة والانقياد ، حتى سمت ارواحهم ، وصفت قلوبهم ، ودمثت اخلاقهم ، وتحرروا من سلطان الماديات ، وخلصوا بانفسهم الى الله العلي القدير .

التفاعل مع الشعب

حتى اذا أمره الله باعلان أمر الدعوة وقال له « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » انتقل للمرحلة الثانية من مراحل الدعوة ، وهي اظهار امر الاسلام والمسلمين ، والتفاعل مع الشعب ، وكفاح الآراء الخاطئة ، وهدم العقائد الفاسدة ، والمجاهدة في سبيل نشر الدعوة . فقام بذلك خير قيام ،

ومكث عشر سنوات وهو يدعو الى الاسلام بكل صراحة ، لايكني ولا يلوح ، ولا يلين ولا يستكين ، ولا يحابي ولا يداهن ، رغم مالاقاه من قريش من صنوف الاذى والمشقات . ومع انه فرد اعزل لامعين له ولا نصير ، ولا عدة معه ولا سلاح ، فانه جاء سافرا متحديا ، يدعو لدين الله بقوة وايمان ، لايتطرق اليه اي ضعف عن احتمال تكاليف الدعوة ، والقيام باعباء النضال من اجلها ، وظل كذلك حتى اذا ايقن ان المجتمع المكي غير قابل لان يحتضن الدعوة جرب المجتمع الذي حول مكه من مثل الطائف والقبائل المجاورة ، فوجدها جميعها كالمجتمع المكي قسوة قلب ، وبعداً عن الهدى وامعانا في الضلال ، وجمودا على عبادة الاوثان ..

البحث عن نقطة الارتكاز

ولذلك فكر في مجتمع آخر يحمل الدعوة ، وانتظر هداية الله اياه ، الى ان جاءه نصر الله من يثرب فآمن به بعض اهلها ثم تتابع ايمان غيرهم خلال سنة فبعث مصعب بن عمير اليها يعلم اهلها الاسلام وينشر الدعوة هناك . وبعد مكثه مدة سنة كاملة عاد الى مكة وحدث النبي عليه السلام بانه لم يبق في المدينة دار الا وفيها ذكر الاسلام . وبين له كيف اصبح مجتمع المدينة تسيطر عليه اجواء الاسلام ، مما حمله على ان ينتقل بالدعوة الى المرحلة الثالثة ، وهي المرحلة العملية ، فهيأ النواة العسكرية في بيعة العقبة الثانية حتى يؤسس الدولة ، ويعد القوى المادية للدعوة حتى تقوم بحمايتها ، وتزيل الحواجز المادية التي تحول دون نشرها ، لان القوى المادية لايزول الا بقوى مادية مثلها . وهكذا هيأ في بيعة العقبة الثانية اول فئة مؤمنة مجاهدة بايعه رجالها ونساؤها على السمع والطاعة في عسرهم ويسرهم ومنشطهم ومكرههم ، وان يقولوا الحق اينما كانوا واينما كان لايخافون في الله لومة لائم ، وتعهدوا ان يمنعوا رسول الله مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم . وبالجملة فقد بايعوه على

حرب الاحمر والاسود . وكان في هذا التعبير البليغ اشعار بان هذه قيادة فكرية خاصة ستتألب عليها الدنيا . وبعد هذه البيعة التي باع فيها هؤلاء نفوسهم لله أذن النبي لاصحابه ان يهاجروا الى المدينة . ثم هاجر اليها .

التطبيق الانقلابي

وهكذا هيأ خلال ثلاث سنوات مجتمع المدينة بالمسلمين والاجواء الاسلامية ، ثم انتقل اليها . وبدأ حينئذ في المرحلة الثالثة وهي مرحلة الحكم بالاسلام ، واقامة دولة الاسلام ، حتى تقوم هذه الدولة بتطبيق مبادىء الاسلام في الداخل تطبيقاً انقلابياً كاملا شاملا ، ثم تحمل دعوته للخارج لهداية الناس الى الصراط المستقيم .

**** ****

سير الدعوة الاسلامية في مكة

دور التكتل السري

سار الرسول عليه السلام في الدعوة الاسلامية في مكة في دورين متتاليين: اولهما دور التعليم والتثقيف والاعداد الفكري والروحي، وثانيهما دور نشر الدعوة والكفاح. اما الدور الاول فهو دور التكتل السري في الدعوة، وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس الى الاسلام ويلقنهم احكامه، وكان المسلمون الاولون يستخفون من قريش لعلمهم بما تضمر من عداوة لكل خارج على اوثانها، وكان عليه السلام يكتلهم سرا فيجمعهم في دار الارقم بن ابي الارقم، يعلمهم فيها الاسلام، ويحفظهم القرآن، ويشرح لهم معانيه، ويؤمهم في الصلاة. فتثقفت عقولهم، وسمت ارواحهم، وتهذبت نفوسهم، حتى كان كل فرد منهم معجزة بايمانه وعقيدته، وخلقه وتهذيبه، وتزكية نفسه وسمو روحه. ومكث على ذلك مدة ثلاث سنوات من حين البعث يستخفي من قريش حتى امره الله ان يظهر ماخفي من أمره، وان يصدع بما جاء به، ونزل عليه الوحي، قال تعالى في سورة الشعراء «وانذر عشيرتك الاقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» وقال في سورة الحجر «فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين».

شباب دار الارقم

وكان عليه السلام في هذه المدة يدعو من آنس فيه الاستعداد لقبول هذه الدعوة، بغض النظر عن سنه ومكانته، وبغض النظر عن جنسه واصله، حتى آمن به نيف واربعون شخصا مابين رجل وامرأة من مختلف البيئات

والاعمار اكثرهم من صغار الشباب . وكان فيهم الضعيف والقوي ، والغني والفقير ، لانه كان يدعو من يصلح لهذه الدعوة لذاته وصفاته ، ومن يقدر على حملها ، ويستعد لوقف نفسه عليها والموت في سبيلها ، فآمن به كل من (١) علي بن ابي طالب وكان عمره ثماني سنوات (٢) والزبير بن العوام وعمره ثمان سنوات (٣) وطلحه بن عبيد الله وكان ابن احدى عشرة سنة (٤) والارقم بن ابي الارقم وهو ابن اثنتي عشرة سنة (٥) وعبد الله بن مسعود وهو ابن اربع عشرة سنة (٦) وسعيد بن زيد وهو دون العشرين (٧) وسعد بن ابي وقاص وهو ابن سبع عشرة سنة (٨) وسعود بن ربيعه وهو ابن سبع عشرة سنة (٩) وجعفر بن ابي طالب وهو ابن ثماني عشـــرة سنة (١٠) وصهيب الرومي وهو دون العشرين (١١) وزيد بن حارثة وهو في حدود العشرين (١٢) وعثمان بن عفان في حدود العشرين (١٣) وطليب بن عمير وهو في حدود العشرين (١٤) وخباب بن الارت وهو في حدود العشرين (١٥) وعامر بن فهيرة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة (١٦) ومصعب بن عمير وهو ابن اربع وعشرين سنة (١٧) والمقداد بن الاسود وهو ابن اربع وعشرين سنة (١٨) وعبد الله بن جحش وهو ابن خمس وعشرين سنة (١٩) وعمر بن الخطاب وهو ابن ست وعشرين سنة (٢٠) وابو عبيدة بن الجراح وهو ابن سبع وعشرين سنة (٢١) وعتبة بن غزوان وهو ابن سبع وعشرين ستة (٢٢) وابو حذيفة بن عتبه في حدود الثلاثين سنة (٢٣) وبلال بن رباح في حدود الثلاثين سنة (٢٤) وخالد بن سعيد (٢٥) واخوه عمر وكان عمرهما في حدود الثلاثين سنة (٢٦) وعياش بن ربيعه وهو في حدود الثلاثين (٢٧) وعامر بن ربيعة وهو في حدود الثلاثين (٢٨) ونعيم بن عبد الله وهو في حدود الثلاثين (٢٩) وعثمان (٣٠) وعبد الله (٣١) وقدامه (٣٢) والسائب

ابناء مظعون بن حبيب الجمحي وكان عمر عثمان في حدود الثلاثين وعبد الله سبع عشر سنة وقدامه تسع عشرة سنة والسائب في حدود العشرين (٣٣) وابو سلمه عبدالله بن عبدالاسد المخزومي وعمره في حدود الثلاثين (٣٤) عبدالرحمن بن عوف في حدود الثلاثين (٣٥) وعمار بن ياسر فيما بين الثلاثين والاربعين (٣٦) وابو بكر الصديق وهو ابن سبع وثلاثين سنة (٣٧) وحمزه بن عبدالمطلب وعمره اثنتان واربعون سنة (٣٨) وعبيدة بن الحارث وعمره خمسون سنة. كما امن به عدد من النساء.

دور التفاعل والكفاح

ولما أتم هؤلاء المسلمون طلاب الاخرة وقادة الدنيا دورتهم الدراسية في مدة ثلاث سنوات، واطمأن الرسول عليه السلام عليهم، وايقن بنضجهم في عقولهم وارواحهم ونفوسهم وعزائمهم، صدع بأمر الله تعالى، وخرج فيهم صفين اثنين، كان على رأس احدهما حمزة بن عبدالمطلب وعلى رأس الصف الثاني عمر بن الخطاب، وذهب بهم الرسول ص الى الكعبة في نظام دقيق لم تعهده العرب من قبل، فطاف بهم الكعبة، ثم اعلن دعوته، ودخل في الدور الثاني وهو دور نشر الدعوة والكفاح.

ومنذ ذلك الحين اخذ عليه السلام ينشر دعوة الاسلام على الناس كافة، جهارا نهارا، سافرا متحديا. وكانت هذه الدعوة بذاتها تتضمن كفاح قريش والمجتمع المكي، لانها كانت ايجابية في دعوتها لتوحيد الله وعبادته، وسلبية في دعوتها لترك عبادة الاصنام والاقلاع من مفاسد الحياة، ولذلك اصطدمت بقريش اصطداما كليا، اذ قد سفه احلامهم، وحقر آلهتهم، ونقد بجيساتهم الرخيصة، ونعى على وسائل عيشهم الظالمة، فهاجم الربا مهاجمة عنيفة من اصوله، قال تعالى في سورة الروم «وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله». وتوعد الذين يطففون الكيل والميزان «ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون» وهذا

اخذوا يقفون في وجهه ، ويؤذونه واصحابه بالتعـــذيب تارة ، وبالتجويع اخرى ، وبالدعاية ضده وضد دينه . وقد ظل في هذه الدعوة مدة ثلاث عشرة سنة يكافح في سبيلها ، حتى كان من جراء هذا الاحتكاك والكفاح ، ان انتشر ذكر الدعوة في الحجاز كلها ، وتمركز عمليا في المدينة ، وتهيأت الفئة المؤمنة المختارة ، التي تقدر ان تحمل مشعل الدعوة في مكة ، وتهيـأت في المدينة التربة الصالحة ، والفئة المؤمنة ، وتركزت فيها القوة القادرة على حماية الرسول ودعوته ، وسادها الجو الاسلامي سيادة تامة ، حتى خيم على جميع اهلها ، وحينئذ كان لا بد أن تنتقل الدعوة من دور ايجاد الافراد المسلمين الى دور ايجاد المجتمع الاسلامي ، ومن دور الحياة الاسلامية للفرد الى دور الحياة الاسلامية للمجتمع ، ومن دور التعليم والكفاح الفردي الى دور الدعوة والجهاد الجماعي . وبعبارة اخرى قد آن الاوان لانشاء الدولة الاسلامية ، التي تطبق الاسلام دفعة واحدة في المجتمع ، وتحمله دفعة واحدة للناس كافة ، وتحمل علم الجهاد في سبيله . فهاجر الرسول عليه السلام حينئذ الى المدينة ، وهناك بدأ يبني المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية .

سير الاعمال في المدينة

وصل النبي عليه السلام المدينة واستقبله اهلها جميعهم، واحاط به المسلمون ولا سيما اولئك الذين بايعوه لحرب الاحمر والاسود من الناس. وكان الجميع حريصين على استجلاء طلعته ، وكان المسلمون حريصين على خدمته ونوال رضاه ، ولكنه القى بخطام ناقته على غاربها ، الى ان بركت على مربد سهل وسهيل ابني عمرو ، فابتاعه واقام عليه مسجده واقام حوله مساكنه . وبعد ان استقر اخذ يفكر في هذه الحياة الجديدة التي استفتحها ، والتي نقلته ونقلت دعوته من دور الى دور واخذ يفكر في بناء المجتمع الاسلامي في المدينة ، واقامة الدولة التي تحكم المجتمع ، والقوة التي تحمي هذه الدولة ، وتسير بجانب دعوة الاسلام تزيل كل عقبة مادية في سبيلها ، حتى يقوم بتبليغها للناس كافة ، وقد كان المجتمع المدني مؤلفاً من المسلمين - مهاجرين وانصار - ومن المشتركين من الاوس والخزرج ، ومن اليهود .

معالجة المجتمع المدني

وكان هم الرسول (ص) ان يصل بهذا المجتمع الى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل لا عند العرب ولا عند غيرهم ، اي ان يصل به الى ان يكون مجتمعا اسلاميا ، وعلى هذا الاساس بدأ يعالجه معالجة ابدى فيها من المهارة والمقدرة والحنكة ما يجعل الانسان يقف دهشا ويطأطيء الرأس اجلالا واكباراً له ، فقد جعله مجتمعا اسلاميا ، ونقاه من مفاهيم اليهود والمشركين ، وبعث فيه القوة والسلطان .

عمد الى صفوف المسلمين فنظمها تنظيما قويا دقيقاً جعلهم وحدة متماسكة

على اساس الاخوة الصادقة ، التي جعلها الاساس الذي يبنى عليه المجتمع الاسلامي. فدعا المسلمين ليتآخوا في الله اخوين اخوين ، فكان هو وعلي بن ابي طالب اخوين ، وكان عمه حمزه ومولاه زيد اخوين ، وكان ابو بكر وخارجه ابن زيد اخوين ، وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجي اخوين ، ثم آخى بين المهاجرين والانصار اخاء جعل له حكم المؤآخاة في الدم والنسب. وكان لهذه الاخوة الروحية والمبدئية اثر في الناحية المادية فقد اظهر الانصار من الكرم لاخوانهم المهاجرين مايزيد هذه الاخوة قوة وتوكيدا ، فقد اعطوهم الاموال والارزاق ، وشاركوهم في حاجات الدنيا ، فانصرف التجار للتجارة والمزارعون للزراعة ، وكل الى عمله .

اطمأن الرسول الى وحدة المسلمين بهذه المؤآخاة الصحيحة ، ثم عمد الى اليهود فعاهدهم معاهدة حسن جوار ليأمن شرهم وانصرف الى الاعداد العسكري للجهاد ليستكمل بناء الدولة ، وليتمم سير الدعوة ، فبدأ الدور العملي في نشر الاسلام . يقول الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد عن هذه الفترة من عمل الرسول « وهذا الدور من حياة الرسول لم يسبقه اليه نبي او رسول ، فقد كان عيسى ، وكان موسى ، وكان من سبقهما من الانبياء يقفون عند الدعوة الدينية ، يبلغونها للناس من طريق الجدل ، ومن طريق المعجزة ، ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة وذوي السلطان ان ينشروا هذه الدعوة بالمقدرة السياسية ، وبالدفاع عن حرية ايمان الناس بها ولو دفاعا مسلحا فيه الحرب والقتل والقتال .

انتشرت المسيحية على يد الحواريين من بعد عيسى ، فظلوا ومن تبعهم يعذبون حتى جاء من الملوك من لان قلبه لهذا الدين ، فآواه ونشره ، وكذلك كان امر سائر الاديان في شرق العالم وغربه ، فأما محمد فقد اراد الله ان يتم نشر الاسلام وانتصار كلمة الحق على يديه ، وان يكون الرسول والسياسي والمجاهد والفاتح كل ذلك في سبيل الله ، وفي سبيل كلمة الحق التي بعث بها وهو قد كان في ذلك كله عظيماً ، وكان مثل الكمال الانساني على مايجب ان يكون » .

بناء الدولة الاسلامية

قال « در منغم » في كتابه حياة محمد « استقر محمد بالمدينة فاستطاع ان ينظم شؤون العبادة بالتفصيل ، واقام في جزيرة العرب مجتمعاً على اسس جديدة بعيدة عن عصبيات القبائل والعشائر ، مما لم يصنع مثله مؤسسو الديانات الا نادراً فكان محمد بذلك الرسول والمشرع والسياسي والقائد في آن واحد » وقال الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد (وبركت ناقة النبي عليه السلام على مربد سهل وسهيل ابني عمرو فابتاعه ليبنيه مسجداً له ، واقام اثناء بنائه في دار ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري ، وعمل محمد في بناء المسجد بيديه ، ودأب المسلمون من المهاجرين والانصار على مشاركته في بنائه حتى اتموه ، واقاموا من حوله مساكن الرسول ... بني محمد مسجده ومساكنه وأوى من بيت ابي ايوب اليها ، ثم جعل يفكر في هذه الحياة الجديدة التي استفتح ، والتي نقلته ونقلت دعوته خطوة جديدة واسعة ... هنا يبدأ طور جديد من اطوار حياة محمد لم يسبقه اليه احد من الانبياء والرسل ، هنا يبدأ الطور السياسي الذي ابدى محمد فيه من المهارة والمقدرة والحنكة مايجعل الانسان يقف دهشاً ، ثم يطأطىء الرأس اجلالا واكباراً ، كان اكبر همه ان يصل بيثرب موطنه الجديد الى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل) .

البدء في بناء الدولة

وهكذا بدأ عليه السلام في بناء الدولة الاسلامية منذ اللحظة التي حل بها المدينة المنورة ، وفي خلال الاشهر الثانية الاولى من مقامه ركز المجتمع

الاسلامي في المدينة تركيزاً متيناً على اساس الاخوة الصادقة بين المسلمين ، اخوة روحية تجعل الرابط بين الناس العقيدة الصحيحة والايمان الراسخ ، اخوة تجعل المرء لا يكمل ايمـــانه حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه ، قال عليه السلام (لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه) وقال (وتحابوا بروح الله بينكم) وقال الله تعالى في سورة الحجرات « انما المؤمنون اخوة » وقال في سورة آل عمران « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » وعلى اساس هذه الاخوة الصادقة قام المجتمع الاسلامي في المدينة .

البدء في تهيئة القوة

وبعد ان اطمأن عليه السلام الى هذا البناء القوي ، بدأ يهيء اجواء الجهاد في المدينة ، حتى يسير في الدعوة الاسلامية سيراً آخر يتفق مع الحياة الدولية . واذا كانت مهمة المسلم الاصلية في الحياة حمل الرسالة الاسلامية والدعوة لها ، فان مهمة الدولة الاسلامية الاصلية في الحياة هي تطبيق الاسلام كاملا في كافة البلاد التي تحكمها ، وحمل الرسالة الاسلامية ، والدعوة لها خارج حدودها ، وليس معنى حمل الدولة الاسلامية الدعوة الى الاسلام هو التبشير بها فحسب ، بل هو دعوة الناس لها ، وازالة كل حاجز مادي يقف حائلا دون هذه الدعوة بقوة مادية قادرة على ازالته .

وقد كانت قوة قريش حاجزاً مادياً حال دون الدعوة الى الاسلام . فكان لابد من اعداد القوة لازالة هذا الحاجز المادي ، الذي يحول دون هذه الدعوة ، وهذا هو معنى الجهاد في الاسلام ، وهو ازالة كل حاجز مادي من الدول او الفئات الحاكمة ، التي تحول دون الاسلام ونشره . ولهذا بدأ عليه السلام يهيء الجيش ويعـد اجواء الحرب ، حتى ينتقل في دعوتـه الى حالة الجهاد في سبيلها ، فأرسل خلال اربعة اشهر ثلاث سرايا من المهاجرين ، يتحدى

بها قريشاً ، ويرهب بها المنافقين واليهود من سكان المدينة ، فقد بعث عليه السلام عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً من المهاجرين دون الانصار فلقي ابا جهل بن هشام على شاطىء البحر من ناحية العيص في ثلاثمائة راكب وتأهب حمزة لقتاله لولا ان حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني فانصرفوا عن بعضهم ورجع حمزة دون قتال . وبعث عليه السلام محمد بن عبيدة بن الحارث في ستين راكباً من المهاجرين دون الانصار ، فلقي ابا سفيان على رأس جمع من قريش يزيد على مئتين في وادي رابغ ، ورمى سعد بن ابي وقاص العدو بسهم ، ولكن لم يحصل قتال ، وانسحب الفريقان ، ثم بعث سعد بن ابي وقاص بعشرين راكباً من المهاجرين نحو مكة ، ثم رجعوا دون قتال ، وبهذه السرايا وجدت في المدينة اجواء القتال ، ووجدت عند قريش نفسها اجواء الحرب مما بعث فيها الرعب وجعلها تحسب لمحمد حساباً لم تكن لتحسبه من قبل ، ولم تكن لتدركه لولا هذا السرايا . ثم ان النبي عليه السلام بعد ذلك ، اي بعد اثني عشر شهراً من هجرته ، استعمل على المدينة سعد بن عبادة ، وخرج بنفسه الى غزوة الابواء يريد قريشاً وبني ضمرة ، فلم يلق قريشاً ، وحالفته بنو ضمره . ثم بعد شهر خرج على رأس مئتين من المهاجرين والانصار الى بواط يريد قافلة يقودها امية بن خلف ، فلم يدركها ، ثم بعد ثلاثة اشهر من عودته استعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد ، وخرج في اكثر من مئتين من المسلمين الى العشيرة يريد قافلة قريش وعلى رأسها ابوسفيان ، واقام هناك اربعين يوماً تقريباً ، ففاتته القافلة ورجع دون قتال . ومع انه عليه السلام لم يلق حرباً في هذه الغزوات ، لكنه وصل فيها الى نتائج عظيمة ، فانه - علاوة على القائه الرعب بسببها في نفوس اليهود والمنافقين في المدينة مما يمنعهم ان تحدثهم نفسهم بالشغب عليه - كسر نفسية قريش بتحديه اياها ، وقوى

روح المسلمين ، وهيأ الجيش الذي يلقى به العدو لينتصر النصر المبين . وما ان مضى على وجوده في المدينه عام ونصف العام ، حتى بدأ في ٨ من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بخوض المعارك الكبيرة ، التي يحطم فيها كل قوة تقف في سبيل دعوته ، وتتابعت غزوات الرسول عليه السلام ، وظل المسلمون في جهـــاد مستمر بينهم وبين قريش تارة ، وبينهم وبين اليهود تارة اخرى .

تركز الدولة في المدينة

والاسلام اثناء ذلك يزداد انتشاراً ، ويزداد قوة ، وآيات الاحكام تنزل تعالج مشاكل الحياة ، والمسلمون يزدادون كل يوم قوة واصالة في الحـــكم والدولة الاسلامية تزداد كل يوم عظمة الى عظمتهـا في نفوس العرب عامة ، وفي نفوس قريش خاصة ، فقد طهرت المدينة من اليهود ، وقذف الرعب في قلوب قريش ولم تعد قادرة على المقاومة ، وانقضت ست سنوات على هجرته عليه السلام فسار الى مكة للعمرة وعقد صلح الحديبية ، وعاد الى المدينة وقد اطمأن الى الدعوة الاسلاميه في الحجاز كله .

السياسة الخارجية

ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل لحمل الدعوة الى خارج الحجاز فأرسل رسله الى عامل كسرى في اليمن ، والى الحارث الغساني في الشام ، والى كسرى في فـارس ، والى هرقـل في بيزنطه (القسطنطينية) ، والى المقوقس في مصر ، والى النجاشي في الحبشة ، لان الاسلام دين الناس كافة ، ولان الرسول عليه السلام ارسل الى العالم كله ، قال تعالى في سورة الانبياء « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وقال تعالى في سورة سبأ « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وقال في سورة التوبة « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ولذلك كان على الرسول بعد ان اطمأن الى تركيز الدولة والدعوة ان يبدأ بالاتصال الخارجي

ولاسيما بعد ان نزل من الاحكام مايكفي لمعالجة مشاكل الانسان ومشاكل الحياة ، قال الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد (والحق ان الدعوة الاسلامية كانت قد بلغت يومئذ من النضج مايجعلها دين الناس كافة ، فهي لم تقف عند التوحيد ومايقتضيه التوحيد من عبادات ، بل انفرج ميدانها وتناولت من صور النشاط الاجتماعي كلها مايوازي بينها وبين سمو فكرة التوحيد ، وما يجعل صاحبها ادنى الى بلوغ مراتب الكمال الانساني ، والى تحقيق المثل الاعلى في الحياة) .

وهكذا بدأ عليه السلام في الاتصال الخارجي ، او السياسة الخارجية ، بابلاغ دعوته مع السفراء ولم يبدأ عليه السلام بارسال السفراء الا بعد ان اطمأن الى تركيز السياسة الداخلية ، وهيأ القوة الكافية لسند السياسة الخارجية . فبعد ان رجع الرسل من تبليغ الدعوة اخذ يهيء الجيش لحماية هذه الدعوة ، وازالة الحواجز المادية من طريقها بقوى مادية مثلها ، ولهذا ارسل في جمادي الاولى من السنة الثامنة للهجرة جيشاً قوياً مؤلفاً من ثلاثة آلاف من خيرة رجاله بقيادة زيد بن حارثه ، وقال (ان اصيب زيد فجعفر ابن ابي طالب على الناس ، وان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحه على الناس) وسار الجيش الاسلامي حتى وصل معان ، ثم دارت في « مؤته » بينه وبين مئتي الف من جيش الروم معركة حامية الوطيس ؛ كان من نتائجها استشهاد القواد الثلاثة للجيش الاسلامي ، وانسحابه الى المدينة بقيادة خالد بن الوليد. فكان ذلك اول اتصال بين الدولة الاسلامية والدولة الرومانية وانه وان كان المسلمون لم ينتصروا انتصاراً عسكرياً ، الا انهم انتصروا انتصاراً سياسياً ، وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفكر في امر الدولة الفارسية والدولة الرومانية ، ولم يشغله فتح مكة وحنين والطائف والقضاء على

المقاومات الداخلية جميعها عن الناحية الخارجية ، وظل يرقب الانباء الخارجية حتى بلغه - في السنة التاسعة للهجرة - ان الروم تريد غزو حدود الحجاز الشمالية ، فاستعد للقائهم بجيش عدته ثلاثون الف مقاتل ، يتقدمهم عشرة الاف فارس ، وخرج به الى حدود الشام حتى ايله (العقبة) « وكانت غزوة تبوك قال الدكتور هيكل (ولم تكن ناحية من نواحي شبه الجزيرة الا بدأت تحس سلطان محمد ، ولم تحاول طائفة او قبيلة ان تقاوم هذا السلطان الا بعث النبي اليها قوة تحملها على الاذعان بدفع الخراج (الظاهر انها الجزية) والبقاء على دينها ، او بالاسلام ودفع الزكاة .

وفيما كانت عينه على بلاد العرب جميعاً ، حتى لا ينتقض فيها منتقض ، وحتى يستتب الامن في ربوعها من اقصاها الى اقصاها ، اذ اتصل به نبأ من بلاد الروم انها تهيىء جيوشاً لغزو حدود العرب الشمالية ، غزواً ينس الناس انسحاب العرب الماهر في مؤته ، وينسى الناس ذكر العرب وسلطان المسلمين الزاحف في كل ناحية ، ليتاخم سلطان الروم في الشام وسلطان فارس في الحيرة ؛ واتصل به هذا النبأ مجسماً ايما تجسيم ، فلم يتردد هنيهة في تقرير مواجهة هذه القوى بنفسه ، والقضاء عليها قضاء يقضي في نفوس سادتها على كل امل في غزو العرب او في التعرض لهم . . وانطلق الجيش بعد ذلك قاصداً تبوك ، وكانت الروم قد بلغها امر هذا الجيش وقوته ، فآثرت الانسحاب بجيشها الذي كانت وجهته الى حدودها ليحتمي داخل بلاد الشام في حصونها ، فلما انتهى المسلمون الى تبوك ، وعرف محمد امر انسحاب الروم ، ونمي اليه ما اصابهم من خوف ، لم ير محلا لتتبعهم داخل بلادهم ، واقام عند الحدود يناجز من شاء ان ينازله او يقاومه ، ويعمل لكفالة هذه الحدود ، حتى لا يتخطى من بعد ذلك اليها احد ... لم يبق محمد في حاجة الى القتال بعد انسحاب

الروم وبعد معاهدة البلاد الواقعة على الحدود معه وبعد امنه عودة الجيوش البيزنطية هذه الناحية) .

وهكذا ركز عليه السلام الناحية الخارجية بتأمين حدود الدولة من جهة وبالقاء الرعب في قلوب اعدائه ، ووضع الخطة الاولى للخلفاء من بعده ، ليحملوا دعوة الاسلام للعالم خارج جزيرة العرب ، وما ان انتهى من غزوة تبوك حتى كان جنوب الجزيرة من اليمن وحضرموت وعمان ، قد اقبل على اعلان اسلامه ، والانضمام للدولة الاسلامية ، وما ان جاءت السنة العاشرة حتى كانت الوفود المتتابعة تفد على النبي عليه السلام في المدينة تعلن اسلامها واسلام قومها ، وبذلك تم تكوين الدولة الاسلامية في جميع جزيرة العرب وتم تأمين حدودها من جهة الرومان ، ولم يبق فيها الا المشركون الذين لايزالون على شركهم ، والذين يستطيعون ان يحجوا الى بيت الله ويعبدوا فيه الاصنام بسبب العهد العام الذي قطعه الرسول عليه السلام للناس ، الا يصد عن البيت احدا جاءه ، ولا يخاف احد في الشهر الحرام .

تصفية السياسة الداخلية

واذا كانت الجزيرة كلها قدمت الطاعة لمحمد عليه السلام ، وخضعت لاحكام الدولة الاسلامية ولكن بقي فيها من يعبد غير الله من المشركين ، فهل يتركون على حالهم ؟ وهل يترك بيت الله الحرام يجتمع فيه الناس هذا الاجتماع المتناقض ، الذي يضم الثائرين على الوثنية والشرك من المسلمين ، والمقيمين على الوثنية والشرك من المشركين ؟

وهل يستطيع احد ان يفهم اجتماع عبادتين متناقضتين حول بيت الله ، احداهما تحطم فيها الاصنام ، والاخرى تعبد فيها الاصنام التي حطمت ؟

اذن لابد ان يقضي على هذا الشرك في كافة انحاء الدولة ، ولا بد ان يحال بين المشركين وبين هذا البيت ، ولذا نزلت سورة براءة وتلاها سيدنا

علي رضي الله عنه يوم الحج على الناس كافة ، كما تلاهـــا عليهم في منازلهم ، واعلن لهم قائلا : (ايها الناس انه لايدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ؛ ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته) .

وبهذا تم امر ربـــك في جزيرة العرب باقامة كيان الدولة الناشئة على الاساس الروحي الا وهو العقيدة الاسلامية ، لان الدولة لابـد ان تكون لها عقيدة واحدة عامة يؤمن بها اهلوها ، ويدافعون جميعاً عنها بكل ما اوتوا من قوة وبنزول سورة براءة ، وبوضع حـد للمشركين جميعاً ، تم تكوين الدولة الاسلامية بالقضاء على المقاومات الداخلية ، وتأمين الحدود الخارجية ، واتمام التشريـع ، واكمال الدين ، فنزل قوله تعالى في سورة المائدة « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

اساس الدولة الاسلامية

كانت الدولة الاسلامية قوية قوة خارقـــة للعادة ، وكانت قوتها تلفت النظر ، وتكاد تشبه المعجزات ، اذ بعد ان كانت في المدينة وحدها ، صارت تشمل الحجاز بأكمله ، ثم تشمل الجزيرة العربية كلها . وكل ذلك خـلال مدة عشر سنوات فحسب . وقد استكملت في هذه المدة الوجيزة جميع الاسباب حتى باشرت - بعد ذلك - الانطلاق في الكرة الارضيـة لتحمل للعالم رسالتها الاسلامية ، حملا قويا جعلها تحمل مصباح الهدى باليد ، ووسائل القوة المادية لحماية هـــذا النور في اليد الاخرى ، وتهاجم المعسكرين العالميين - في ذلك الزمن - : فارس والروم ، بالقوى المادية ، وتتحداهما معا بالجيش ، وتحمل اليها الدعوة بكل صراحة ووضوح ، وبكل جرأه واقدام . فما هي هذه القوة التي كانت لهذه الدولة الفتية ؟ هل هي الكثرة العددية ؟ وقد كانت في المدينة وحدها وعددها ضئيل بالنسبة لعدد العرب كلهم ، حين كانوا في جملتهم ضدها وليسوا معها . وقد كانت بعد ذلك في جزيرة العرب وحدها وعـددها قليل بالنسبة لامبراطوريتي فارس والروم ، اللتـــين فتحت بلادهما وقضت على دولتيهما . وهل هي قوة السلاح الذي عندها ؟ وقد كان سلاحها في المدينة دون السلاح الذي عند العرب في النوع والعدد ، وكان السلاح عنـد العرب دون السلاح الذي عند الامبراطوريتين في النوع والعـدد ايضا . وهل هي قوة المال والغنى ؟ وقد كانوا في المدينة فقراء معوزين لايساوي مالهم شروى

نقير بجانب مال اعدائهم ، الذين كانوا يحاربونهم من العرب واليهود ، وكانوا في الجزيرة العربيـة كلها فقراء مدقعين بجانب كنوز كسرى وقيصر وغنى فارس والروم .

قوة المسلمين في عقيدتهم

اذن ليست قوة الدولة الاسلامية هي هذه القوى المادية من عدد وسلاح وغنى ، ولا شيئا منها ، ولا شيئاً يشبهها ، وانما كانت قوتها الاساس الروحي الذي بنيت عليه ، فكانت نواتها المدينة ، المدينة المنورة فحسب ، ثم الحجاز ، ثم الجزيرة ، ثم العالم الاسلامي الذي يكون الامة الاسلامية عربا وغيرعرب والدولة الاسلامية التي تعتـــبر مفخرة التاريخ ومفخرة الانسانية حتى تقوم الساعة . نعم ان قوة الدولة الاسلامية هي الاساس الروحي الذي بنيت عليه ، وهو العقيدة الاسلامية . التي هي روح الدولة الاسلامية ، وروح الامـــة الاسلامية ، وروح الجماعة المسلمة ، وروح الفرد المسلم ، والتي هي وحدة الحياة للفرد والجماعة ، وللامة والدولة . هذه العقيدة التي احدثت في العرب انفجاراً بعد احتراق في الفكر والشعور ، فأوجد التلهب المضطرم ، والحماس المتأجج ، فأنار البصائر والابصار ، وأحرق كل نزعة من نزغات الشيطان ، وصهر النفوس حتى صفاها من جميع الادران ، فكانت طاقات اسلامية مشعة متلهبة ، تنـير للناس طريق الهدى ، وتحرق من امامهم عناصر الفساد والضلال .

اثر العقيدة في الانسان

هذه العقيدة التي تأتي للانسان الذي هو ذرة صغيرة من ذرات الكون ، لاقيمة له بالنسبة لاجرامه ، ولا وزن له بالنسبة لافلاكه وعوالمه ، تقول هذه العقيدة للانسان : انك ايها الانسان سيـد الوجود ، وانت مسؤول عن رقي الحياة ، وعن الاستفادة من هذا الكون بجميع ماخلق الله فيه ، لان الله سخره كله لك ، قال تعالى في سورة البقرة « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » وقال في سورة ابراهيم « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم

الليل والنهار » وقال في سورة لقمان « ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض » . واذا كان الله سخر له هـذا الكون ، وجعله في نطاق فكره ، وفي متناول يده يقضي منه حاجاته ، فهو - وان كان ذرة بالنسبة للكون - اكبر من الكون ، وأعظم من السموات والارض ، لان الله سخر له ما فيها ، وذلل له الارض .

قال تعالى في سورة الملك « هو الذي جعل لكم الارض ذلولا » وعلى ذلك فالانسان ليس هو هذه الذرة التي في الكون ، وانما هو هـذه الطاقة البشرية التي سخر لها الكون ، فهو اعظم منه . واذن فعليه ان يندفع لاداء رسالة الله ، وعليه ان يسير قدماً الى الامام في الحياة . وبذلك نقلته هـذه العقيدة من انسان هو ذرة في الكون ، الى انسان اعظم من الكون كله .

هذه العقيدة التي تأتي الى الانسان ، الذي لا يساوي عمره بالنسبة لعمر الزمن ومضة من الومضات ، فتقول له : ان الحياة الاخرة حياة خالدة ، وهذه الحياة الدنيا هي الحياة الفانية ، والانسان ليس هو الفاني ، لانه حين يموت لا يفني ، وانما ينتقل من هذه الحياة الى الحياة الاخرى نقلة سريعة ، ويخلد في الحياة الاخرى ، في حين ان الزمن يفنى ، والكون يفنى . واذن فعمر الانسان ليس ومضه ، وانما هو اطول من عمر الزمن واكبر من عمر الكون ، واذن فلا ضير على الانسان ان يتقدم الى الحياة والى الكون بخطى ثابتة جريئة لا يعرف الخوف ولا يتطرق اليه الوجل ، لان اقصى ما يناله من اذى في طريقه هو الموت ، وهو ليس فناء وانما هو انتقال الى دار ارحب واسعد ، والى جنات الخلد له فيها نعيم مقيم بما يقدم من عمل فيه رضوان الله .

وبهذا يصبح هذا المؤمن مندفعاً في الحياة ، يبني ما تهدم منها ، ويصحح ما اعوج من امورها ، ويقيم ما مال من شؤونها بقوة وعزم وجرأة واتقان ، لانه

يطمع بنعيم الاخرة ، ولا يخاف في سبيل الله اي شيء حتى ولا الموت ، لانه ادرك حقيقة عمره من عقيدته .

هذه العقيدة هي سر النور الذي انار للعرب ظلمات الحياة فسيطر عليها ، وهو الاساس الذي بنيت عليه الدولة الاسلامية ، وهو القوة التي دفعتها ، والطاقة التي جعلتها تصدم الكرة الارضية فتهزها ، وهي وحدها السر الوحيد للعظمة الخارقة التي تجلت في دولة الاسلام .

مهمة الدولة الاسلامية

تغيير مفاهيم العرب

جاء الاسلام للعالم بمفاهيم جديدة عن الكون والانسان والحياة ، تخالف المفاهيم القديمة كل المخالفة . والعرب جزء من العالم وناس من بنى الانسان ، وقد نزل فيها الاسلام باعتبارهم الانساني فقط ، لا باعتبارهم عرباً ولا بأي اعتبار اخر . ولذلك جاءهم بمفاهيم جديدة تخالف مفاهيمهم عن الكون والانسان والحياة ، وعن القيم بأكملها ، وعن السعادة ، وعن الممثل المثل الأعلى الذي يحملونه ، وغير عندهم هذه المفاهيم تغييراً كلياً ، وحملهم مسئولية تغييرها عند باقي الناس حين حملوا لهم دعوة الاسلام . ولذلك فانا حين ننظر الى تغيير الاسلام لمفاهيم العرب ، لا ننظر الى هذا التغيير بالنسبة للعرب ، وانما هو نفسه تغيير لمفاهيم العالم ، ولكن بدىء بتغيير مفاهيم العرب بوصفهم جزءاً من الانسانية التي لا بد ان تصحح عندها هذه المفاهيم المغلوطة بالمفاهيم الصحيحة الصادقة .

لقد عمد الاسلام الى قيم الاشياء المعروفة عند الناس فغيرها ، حتى ارتفعت قيمة اشياء وانخفضت قيمة اخرى ، واصبحت مقومات الحياة بعد الاسلام غيرها قبل الاسلام ، وقيم الاخلاق بعد الاسلام غيرها قبل الاسلام ومعنى السعادة بعد الاسلام غيره قبل الاسلام .

فمثلا كانت السعادة في نظر العربي اعطاءه نفسه متع الحياة ونعيم الجسد ولذة الشهوة ، فصارت السعادة طمأنينة النفس ورضوان الله ، قال تعالى في سورة الفجر « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » .

وقال في سورة التوبة « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر» وكان التفاخر بالاموال والاحساب، فصار ميزان التفاضل التقوى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وكانت قيمة الانسان بما يملك من عرض الدنيا ، فصارت قيمته بالفقه والعلم والتقوى ، وكانت قيمة الحياة ان يقضيها الانسان في متع الدنيا ولذائذها في معاقرة خمر ومغازلة نساء ، فصارت قيمتها ان تقضى في جهاد في سبيل الله ، وعبادة في بيت الله ، وتعلم او تعليم في كتاب الله وسنة رسول الله ، وكان ولاء العربي لقبيلته ، فصار ولاؤه للاسلام ودولته وكان طمعه في ناقة او شـــاة عند قبيلة يسلبها ، فصار طموحه ان ينال شرف الجهـــاد ليحظى باحدى الحسنيين ، نصر على الاعداء ، أو استشهاد في سبيل الاسلام .

وهكذا كانت للعرب مفاهيم مغلوطة كثيرة غيرها الاسلام وصححها ، وجعل مكانها المفاهيم الصحيحة الصادقة . وقد عبر عن شيء مما غير الاسلام من هذه المفاهيم خير تعبير ، في قول منسوب الى جعفر بن ابي طالب ، قيل انه قاله لملك الحبشة (ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية : نعبد الاصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسي الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منـــا ، نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث ، واداء الامانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وامرنا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا) الخ ... وهكذا استبدل الاسلام بجميع

المفاهيم المغلوطة مفاهيم صحيحة ، وغير لهم المثل الاعلى في الحياة ، فقد رسم الاسلام للعرب وللعالم مثلا اعلى في الحياة ، يختلف كل الاختلاف عن المثل الاعلى الذي يضعه كل واحد لنفسه .

مهمة المسلم الاصلية في الحياة

فقد جعل المثل الاعلى للحياة عند المسلم رضوان الله ، ولنواله كانت مهمة المسلم هداية الانسانية الى الاسلام ، والاستعداد لتحمل الموت والاستشهاد في سبيل هذه الهداية ، ومن هنا كانت مهمة المسلم الاصلية في الحياة هي حمل الرسالة الاسلامية والدعوة لها، ومن ثم كانت هذه هي المهمة الاصلية والاصيلة للدولة الاسلامية في الحياة ، لان الدولة الاسلامية لم توجد لمجرد الحكم والسلطان ، ولا للادارة والسياسة ، وانما كانت هذه وسائل لحمل الدعوة ، ولهذا كانت مهمة الدولة والسبب الذي من اجله وجد الحكم ، ان يقوم السلطان بتطبيق النظام الاسلامي في البلد الذي يقوم عليه وان تحمل الدولة الاسلامية الاسلام دعوة «عالمية» للعالم كله تدعوه اليه . ولهذا كانت فتوحات المسلمين من اجل الدعوة الاسلامية وفي سبيلها فحسب .

هكذا كان شأن الدولة الاسلامية منذ تأسست في المدينة ، الى آخر دولة اسلامية ، فان الرسول عليه السلام حين اقام الدولة في المدينة هيأ الجيش لحماية الدعوة الاسلامية ، ولازالة الحواجز المادية التي تقف دونها ، ثم حمل هذه الدعوة فكانت قريش هي الحاجز المادي الذي يقف في سبيل الدعوة الاسلامية ، ولذلك صمم على ازالته ، فعمد الى اموال قريش في تجارتها ، وهي من اهم الحواجز المادية التي تسند قريشاً للوقوف في وجه الدعوة عمد اليها لازالتها فجاءت قريش لحمايتها، وكانت معركة بدر ثم تتالت الوقائع وكلها لازالة قريش وغيرها ممن يقف في سبيل هذه الدعوة الى ان عمت الدعوة الاسلامية جميع العرب ثم بدأت الدولة الاسلامية تطرق باب الامم الاخرى لتنشر رسالتها بينهم ، فوجدت

الفئات الحاكمة لهذه الامم تحول حاجزاً مادياً دون الدعوة ، فكان لا بد من ازالة هذه الفئات الحاكمة او الدول من وجه الدعوة والوصول الى الشعب نفسه ، ليدعى الى الاسلام بالتي هي احسن دون اكراه ولا اجبار ، قال تعالى في سورة النحل « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » وقال في سورة البقرة « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي »

ولا بد ان تكون الدعوة الى الشعب دعوة عملية يرى فيها نور الاسلام ، ولذلك كان لابد ان يحكم الشعب بما أنزل الله ، ليسعد في دنياه ، ويرشد الى خير طريق للسعادة ، ويدفع عنه الظلم والاستغلال والاذية ، وان تحفظ دماء الشعب ونساؤهم واموالهم ، لانهم اصبحوا في ذمة المسلمين ، قال عليه السلام « من آذى ذمياً فانا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » وولى عليه السلام عبد الله بن ارقم على جزية اهل الذمة ، فلما ولى من عنده ناداه فقال « ألا من ظلم معاهدا ، او كلفه فوق طاقته ، او انتقصه ، او اخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه ، فانا حجيجه يوم القيامة » وروي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال :

اوصي الخليفة من بعدي باهل الذمة خيراً : ان يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وان لا يكلفوا فوق طاقتهم ، وقد جعل عمر رضي الله عنه للعجزة والمكفوفين والمقعدين من اهل الذمة رزقاً في بيت المال ، كما انه رضي الله عنه حين فتح العراق وجد بعد الفتح اناساً يملكون اراضى ولكن لا يقدرون على استغلالها ، فابقى الارض في ايديهم واعطاهم من بيت مال المسلمين مالاً كافيا ، ليستغلوا به ارضهم ؛ وبهذا الحكم المثالي للشعوب غير الاسلامية ؛ وبالدعوة الحكيمة للاسلام ، دخلت هذه الشعوب - من فارسية ورومية وقبطية وبربرية - في دين الله ، ولبت دعوة الاسلام على اختلاف

قومياتها واديانها ، وصارت مع العرب امة اسلامية واحدة . وكان دخول هذه الامم في الاسلام نتيجة لقيام الدولة الاسلامية برسالتها « وهي الدعوة » وفهمها لحقيقة هذه الرسالة ، وقيامها بها خير قيام على اكمل وجه .

وانما كانت مهمة الدولة الاسلامية حمل الرسالة الاسلامية للعالم ، لان رسالة محمد عليه الصلاة والسلام للناس كافة « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » « يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم » والامة الاسلامية وارثة لهذه الدعوة ، مفروض عليها ان تتم هذه الرسالة بتبليغها لمن لم تبلغه ، وحملها لمن لم تصله من الناس في كل جيل وفي كل زمان حتى تكون دين البشرية عموماً ولذلك كان لا مفر من أن تحمل هذه الدعوة ، وكان لزاماً عليها ان تقوم بهذا الواجب ، قال تعالى في سورة الاحزاب « يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيراً » وقل في سورة الاحزاب « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً » « والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ؛ ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » « يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وان الرسول صلى الله عليه وسلم قام بالخيف من منى فقال : « نضر الله امرءاً سمع مقالتي فاداها كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه » وقال عمر بن الخطاب : (اللهم اني اشهدك على امراء الامصار ، فاني انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم) وهكذا كانت المهمة الشرعية والاصلية للدولة هي حمل الدعوة وتبليغها . على ان من طبيعة هذه الدعوة انها تقسر الانسان والدولة على القيام بتبليغها ، لان الرسالة الاسلامية نور

وهدى . واذا تجسد الاسلام في شخص ، لم يطق ان يبقى هذا الاسلام حبيسا في نفسه ، فيدفعه شعوره بالسعادة واحساسه بالهدى ان يقوم بدعوة الناس اليه . فالاسلام بطبعه حين تعتنقه الدولة يدفعها لتبليغه للناس كافة . وحملها للمثل الاعلى يوجب عليها ان تنير للناس طريقهم بالاسلام ، وتعطيهم مما منحها الله من تعاليمه ، لتجلب لهم السعادة ، ولتمتعهم بالهناء كما تمتعت به ، شعوراً بما للانسان من واجب على اخيه الانسان . قال ليوبولد فايس في كتابه « الاسلام على مفترق الطرق » (فعلى كل مسلم ان ينظر الى نفسه على انه مسؤول شخصياً عن نشر كل انواع السعادة حوله ، وان يسعى الى اقرار الحق ، وازهاق الباطل في كل زمان وفي كل ناحية ونحن نجد مصداق ذلك في اية من القران الكريم « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » . هذا هو التبرير الادبي للنشاط الظالم في الاسلام ، اي تبرير الفتوح الاسلامية الاولى ، او ما يسمونه بالتوسع الاستعماري اذا لم يكن بد من استعمال هذا التعبير . ولكن هذا النوع من الاستعمار لم يحث عليه حب السيطرة ، وليس فيه شيء من الانانية الاقتصادية او القومية ، ولا شيء اخر من الطمع في ان تزيد اسباب رفاهيتنا الخاصة على حساب شعب اخر ، ولم يقصد منه في يوم من الايام اكراه غير المومنين على الدخول في الاسلام)

وهكذا كانت مهمة الدولة الاسلامية منذ اللحظة الاولى لانشائها ومهمتها اليوم والى ان تقوم الساعة ، هي تطبيق الاسلام ، وحمل رسالته للعالم حتى يعم الناس جميعهم . ومن هنا كان المسلمون قادة الدنيا وكانت الدولة الاسلامية فائدة العالم لخيره وسعادته لما في الاسلام من مؤهلات العبادة واسباب السعادة .

مؤهلات القيادة في الاسلام

جاء الاسلام للناس كافة ، فلا بد ان يعمل في كل مكان ، وهو لا يستطيع ان يعمل الا ان تكون القيادة له ، لانه بطبيعته عقيدة استعلاء ومنهج قيادة . ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يدعو الى الاسلام ، ويهيء المسلمين تهيئة خاصة تؤهلهم لقيادة الامم ، وتجعلهم قادرين على ان يضمنوا لها سعادتها ونجاحها في ظل هذه القيادة الاسلامية .

وقد كان الاسلام في فكرته وطريقته يهيئهم تهيئة طبيعية لان يكونوا الاوصياء على العالم ، المنقذين له من الضلال الذي يتخبط في دياجيره وان يكونوا القادة له المتزعمين حركاته وكانت هذه التهيئة كامنة في اسسه ومبادئه فمن الاشياء التي اهلتهم للقيادة مايلي :

العقيدة الاسلامية

١ ـ ان الاسلام قد حل العقدة الكبرى وهي الفكرة عما وراء هذا الكون والانسان والحياة وبحلها انحلت جميع العقد ، لانها هي التي يبنى عليها وعلى وجهة نظرها حل جميع المشاكل وذلك ان الاسلام حين بين العقيدة الحقة بيانا شافيا بانها عقيدة التوحيد ؛ انتصر على الجاهلية العالمية بما فيها الجاهلية العربية ؛ فكان بعدها منتصراً طبيعيا في كل معركة من معارك الفكر والخلق والنظام لانها كلها قائمة على العقيدة ؛ اذ هي الاساس الذي يرتكز عليه كل شيء وهو حين وضح العقيدة عقليا ومنطقيا ؛ قد حدد وجهة نظر المسلم بما قبل الحياة (وهو الله) وبما بعد الحياة (وهو يوم القيامة) وفي الحياة

نفسها ؛ وفي علاقتها بما قبلها وما بعدها وقد حدد في الحياة نفسهـــا معنى السعادة ؛ وبين انها رضا الله ومقاييس هذا الرضا نفع عباد الله ؛ والحرص على سعادة خلقه ورفاهتهم ؛ وهي تتمثل في طمأنينة النفس « يا أيتهـــا النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » وهذه العقيدة التي حلت بها العقدة الكبرى عند الانسان قد كونت عنده تلك العقلية الكاملة الواضحة ، التي تجعله مدركا كل الادراك ماذا يريد ان يعمل ، وكيف يقوم بالعمل ، ولماذا يعمل ؛ وبهذا صار اهلا لقيادة الانسانية الى السعـادة .

الفلسفة الاسلامية

٢ ـ ان الفلسفة الاسلامية التي تضبط اعمال الانسان هي الجمع بين المادة والروح وعدم الفصل بينهما ، وتوجب مزجهما معاً في كل جزئية من جزئيات الحياة وتنكر فصلهما عن بعضهما كل الانكار ، ولذلك لا يعتبر الاسلام اي حياة تقوم على المادة وحدها ، ويراها حيـاة شر وخراب ودمار للانسان وتعجيل بفناء الحياة ، ويرى ان كل مدنية تقوم على اساس المادة وحدها ، هي مدنية مخصبة في الحديد والرصاص ، والورق والقماش ، مجدبة في القلوب والارواح ، والفضيلة والاخلاق ، وما مثلهـا الا كجسم ضخم منتفخ يملأ العين بشكله ، وهو في حقيقته عليل هزيل ؛ لا نفع منه ولا خير فيه .

وكذلك لا يعتبر الاسلام اي حياة تقوم بالروح وحدها بل انه لا سبيل الى قيام اي حياة بالروح ؛ اللهم الا الحياة الخاملة الهزيلة ؛ والحياة الروحية المنفردة عن المادة تكون نتيجتها هدم الحضارة ؛ وتقويض المدنية ، وتخريب المدن ؛ وايجاد الخلل في نظـــام الحياة ؛ واهدار للوجود الانساني ؛ بل للحيـــاة الانسانية الحقة .

ولذلك يمتاز المسلمون الاولون بانهم كانوا جامعين بين المـــادة والروح ؛ فجمعوا بين السمو الروحي ، والطهارة الخلقية ، وبين القوة والسياسة ، حتى تمثلت فيهم الانسانية بجميع نواحيها وشعبها .

التشريع الاسلامي

٣- ان التشريع الاسلامي عميق الجذور ، متين الاساس ، قدتركزت فيه الاهداف العليا للحياة ، وثبتت فيه الخطوط العريضة لكافة الانظمة ، وتركت فيه الخطوط الدقيقة للمسائل التفصيلية للانسان ، ليجاهد ويناضل بعقله ، ليضع هذه التفصيلات حسب تطور الحوادث والاحداث . ولذلك كان تشريعا متسعا في نصوصه وقواعده وأحكامه لان يشمل جميع المعالجات لكافة مشاكل الحياة . وهو فوق ذلك ؛ ليس مأخوذاً من الانسان ؛ وانما هو منزل من عند الله تعالى . فهو باعتبار نصوصه محكم لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يداخله الخطأ والظلم كما هو الحال في التشاريع الارضية . ومثل هذا هو الذي يصلح للانسانية . ولذلك كان المسلمون الاولون يفتحون البلاد المختلفة القوميات والاديان واللغات والتشاريع والقوانين ؛ وما يلبثون فيها مدة يطبقون فيها تشريعهم ؛ حتى يجد الناس انفسهم منقادين لهذا التشريع ، سعيدين بأحكامه ، كل ذلك لان الفكرة الاسلامية كانت تحمل لهم مؤهلات القيادة . هذا في الفكرة . وأما الطريقة :

العزة للمؤمنين

١- فان الاسلام يجعل لاهله العزة ؛ ويفرض عليهم تولي الحكم والقيادة ، قال تعالى في سورة النساء « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » وقال في سورة المنافقين « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون » وقال في سورة فاطر « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » ولكن الله لايعطيهم هذه العزة ، ولا يوليهم الحكم والقيادة الا بعد اعداد ثقافي ، وتزكية نفس ، وطهارة ؛ حتى يكون الحكم وسيلة لتطبيق الاسلام ، ليحقق للانسانية سعادتها ، وحتى يكون الاسلام مجسداً في هؤلاء الحكام بنفوسهم وأعمالهم .

المسلمون حملة رسالة عالمية

٢ ـ ان هؤلاء المسلمين ليسوا خدمة جنس ؛ ولا رسل شعب ووطن ؛ وانما هم خدمة الانسانية ، ورسل العالم ؛ قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الاخرة ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فالامم عندهم سواء والناس كلهم من ادم وادم من تراب .

تلخيص القيادة من يد الاشرار

٣ ـ ان المسلم يرى حقا عليه ان يجاهد ويبذل مافي وسعه لاخذ قيادة الحياة من يد الاشرار الطغاة ؛ حتى يوجه هو الحياة حسب احكام الاسلام فعلى كل مسلم في البلد الاسلامي ان يجاهد ليأخذ قيادة الامة الاسلامية من ايدي الفساق والفجار ؛ ليجعلها حياة سامية على ايدي المؤمنين ان يناضل في سبيل تخليص باقي الاقاليم الاسلامية من ايدي الطغاة والفساق ؛ حتى يوحدها في دولة هي الدولة الاسلامية .

وعلى الدولة الاسلامية ان تحول القيادة في العالم من ايدي الطغاة والكفار الى ايدي المؤمنين العادلين ، ولذلك فان العالم الاسلامي يرى لزاما عليه ان يأخذ القيادة العالمية من الايدي الاثيمة الحمقاء ، لينقذ العالم من الخطر الذي يهدد الانسانية بالدمار ، وبهذه الغيرة وهذا الطموح يستحق المسلم القيادة للانسانية جمعاء .

الدولة وتنفيذ النظام الاسلامي

الاسلام دين سماوي نزل لتنظيم علاقة الانسان بخالقه وبنفسه ، وبغيره من بني الانسان ويكون ذلك بنظام عام يشمل جميع نواحي الحياة .

المخاطبون بالاسلام

وقد خاطب الله بالاسلام جميع الناس بوصف الانسانية فقط ، لا بأي وصف آخر قال تعالى « يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » وقد اعتبر علماء اصول الفقه ان المخاطب بالاحكام الشرعية هو كل عاقل يفهم الخطاب ، سواء اكان مسلماً او غير مسلم . وقد قال الامام الغزالي في كتاب المستصفي في الاصول : (ان المحكوم عليه هو المكلف ، وشرطه ان يكون عاقلا يفهم الخطاب ، وان اهلية ثبوت الاحكام في الذمة تستفاد من الانسانية التي بها يستعد لقبول قوة العقل الذي به فهم التكليف) . وعلى ذلك كان المخاطب في الاسلام جميع بني الانسان ، خطاب دعوة وخطاب تكليف ، اما خطاب الدعوة فالمقصود به دعوة الناس الى اعتناق الاسلام ، واما خطاب التكليف فالمقصود به الزام الناس بالعمل بمبادىء الاسلام . هذا بالنسبة للناس عامة .

اما بالنسبة للناس الذين تحكمهم الدولة الاسلامية فان الاسلام يسير معهم بوصف الانسانية ؛ فيخاطبهم جميعاً بالاسلام على شرط العقل وفهم الخطاب الا ان من اسس هذا النظام في قواعده الكلية لمعالجة مشاكل الحياة ؛ انه لا بد من

ملاحظة وجود الجزاء على العمل بالثواب او العقاب ؛ وان يكون هذا الجزاء معجلًا ومؤجلًا . وان يلاحظ في الجزاء المعجل ان ينفذ بالتشريع من الدولة الاسلامية . وان يلاحظ في الجزاء المؤجل ان يتصور تنفيذه من قوة عليا هي الله ؛ لانه هو الذي خاطب الناس بالشريعة.

اعتبار الاسلام للمحكومين

اما ناحية الدولة التي تقوم بتنفيذ هذا النظام ؛ فهي ناحية تتعلق بنظام الحكم . وذلك ان الاسلام يعتبر الجماعة التي تحكم بموجب هذا النظام وحدة انسانية . بغض النظر عن طائفتها وجنسها وقوميتها . ولا يشترط فيها الا التابعية (وهي الولاء للدولة والنظام) . ولذلك لا توجد فيه الاقليات. بل جميع الناس باعتبار انساني فقط هم مواطنون في الدولة الاسلامية ماداموا يحملون التابعية .

وينظر الاسلام للنظام المطبق عليهم باعتبار تشريعي لا باعتبار ديني روحي ، اي باعتبار الاحكام الشرعية لا باعتبار ناحية التدين . وذلك لان الاسلام قد لوحظت في تشريعه الناحية التشريعية فقط ؛ لا الناحية الدينية الروحية ، وتلاحظ فيه دائمًا المصلحة العامة عند التشريع ، كما يلاحظ فيه المنطق والاستدلال العقلي . والدولة هي التي تنفذ هذا التشريع بالجزاء المعجل ، وتترك الناحية الدينية الروحية لله تعالى في الاخرة وبعبارة اخرى تترك الجزاء المؤجل لله تعالى « يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء » .

وبناء على هذا التفريق بين الجزاء المعجل و الجزاء المؤجل ، كان من اسس هذا النظام ان تختص الدولة بتنفيذ الجزاء المعجل وان يكون ذلك وفق التشريع بالاعتبار القانوني لا الروحي وعلى اساس هذا الاعتبار كانت واجبات الدولة في تنظيم علاقات الانسان حسب هذا النظام تختلف ناحيتها الدينية (الروحية) عن

ناحيتها الدنيوية (العقوبات والمعاملات) بالنسبة للمحكومين لها ، والخاضعين لتشريعها ، لان طبيعة التشريع ليست دينية روحية ، وانما هي دنيوية ، ولذلك فرق الاسلام بين من يعتقدون عقيدته ، وبين من لايعتقدونها بالالتزامات في الشريعة والتشريع .

تنفيذ الاسلام على المحكومين

فالذين يعتقدون عقيدة الاسلام - اي المسلمين - يكون اعتناقهم له واعتقادهم به هو الذي يجعلهم ملتزمين بجميع التزاماته ، فهو لهم شريعة وتشريع وهم مجبرون على القيام بالتزاماتهم هذه ، سواء المتعلقة بعلاقتهم مع الله او بعلاقتهم مع انفسهم ، او بعلاقتهم مع غيرهم . وذلك لان اعتقاد الاسلام والايمان به ، لابد له من ثمرة تظهر في ناحيته الروحية ، وتكون مهذبة للنفس مكملة لها ، تقوي الايمان وتزيده ، وهذه الثمرة هي العبادات ، وهي فروع لهذه العقيدة ايضا ، وهي من نوع علاقة الفرد بخالقه ، لان هذه العلاقة تتضمن الايمان بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، كما تتضمن عبادة الله ، ولذلك كانت العبادة والعقيدة من علاقة الانسان بخالقه ، ولهذا كان واجبا على المسلم ان يقوم بشعائر العبادات وجوباً دينيا وتشريعيا ، ويعاقب على ترك القيام بهذه الشعائر وفق نظام العقوبات . وعلى الدولة ان تقوم بتنفيذ هذه الشريعة على المسلم كما تقوم بتنفيذ التشريع عليه ، لان القيام بالتزامات المسلم امر تقوم الدولة على تنفيذه والتزام القيام بحق الله كالتزام القيام بحق العباد بالنسبة للمسلم هو من واجبات الدولة ، ولا يقال ان هذه الناحية تركت لله تعالى ، فان الذي تركه هو الثواب والعقاب المؤجل اما تنفيذ الشريعة والقيام بالتزاماتها ، فهو من قبيل الجزاء المعجل بالنسبة للمسلم الذي اعتقد الاسلام واما غير المسلمين فانهم بعدم اعتقادهم

عقيدة الاسلام لم يلتزموا تعاليمه ، لانهم لايكرهون على اعتناقه ، ولذلك لايكون للدولة عليهم سلطان من هذه الناحية لانه لاتوجد لهاعليهم التزامات التزموها فلا يكلفون بالشريعة ، ويتركون وما يدينون وما يعتقدون وما يعبدون ، ويسار معهم بموجب منطوق الاية « لا اكراه في الدين »وعلى هذا يكون المواطنون في الدولة الاسلامية قسمين اثنين بحسب عقائدهم ، احدهما الذين اعتنقوا الاسلام واعتقدوه ديناً لهم شاملا لعقائدهم ونظم حياتهم ، والثاني غير المسلمين ، وهم الذين لم يعتقدوا الاسلام مهما كانت العقيدة التي يحملونها .

تنفيذه على المسلمين

اما القسم الاول - وهم المسلمون — فانهم بحكم الاجتهاد في الاسلام مذاهب مختلفة ، ولكنهم متفقون في العقيدة الاسلامية الجوهرية ، ولا يضر اختلاف المذاهب الفقهية والفرق الاسلامية ، وذلك ان الاسلام يمتاز عن غيره بما سنه من حرية الرأي ، ولوادى ذلك الى الخلاف ضمن حدود الاسلام. وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام ان للمجتهد اذا اخطأ اجراً واحداً ، واذا اصاب اجرين اثنين وفتح الاسلام باب الاجتهاد ، ولذلك لم يكن عجيباً ان يكون هنالك اهل السنة والشيعة والمعتزلة او غيرهم من الفرق الاسلامية التي تتفق جميعها بالجوهر ، وكلها تعتنق عقيدة واحدة هي عقيدة الاسلام ، وهؤلاء جميعاً يعتبرون مسلمين ، وعلى الدولة ان لاتتعرض لهذه الفرق الاسلامية ولا لاتباع المذاهب الفقهية مادامت لاتخرج عن عقيدة الاسلام .

تنفيذه على غير المسلمين

واما غير المسلمين فهم من يعتنقون عقيدة غير العقيدة الاسلامية وهم :

١ — الذين يدعون انهم مسلمون ويعتقدون عقيدة تناقض عقيدة الاسلام.

٢ — الذين هم من اهل الكتاب .

٣ - المشركون ويشمل الصابئه والمجوس والهندوك والدهريين والذين لايعتقدون بالله ، وجميع من ليسوا من اهل الكتاب .

وهؤلاء جميعا تترك لهم الحرية في عقائدهم وعباداتهم ويسيرون في احوالهم الشخصية حسب عقائدهم وفي الاخلاق حسب عقائدهم ايضاً ولكن ضمن النظام العام .

هذا مايتعلق بعلاقة الانسان بخالقه وبنفسه واما مايتصل بعلاقته بغيره من الناس وهو العقوبات والمعاملات اي جميع انظمة الحياة ، فان جميع المواطنين على اختلاف مذاهبهم واجناسهم وقومياتهم ، مخاطبون باحكام الشريعه الاسلامية من ناحيه تشريعية لامن ناحية دينية (روحية) ،مادامو ا يحملون التابعية الاسلامية . ولذلك تقام العقوبات على غير المسلمين كماتقام على المسلمين ، وتنفذ وتفسخ معاملات غير المسلمين كمعاملات المسلمين سواءبسواء من غير تفريق او تمييز بين مواطن وآخر .

هذا هو موقف الاسلام ممن يحكم من حيث الشريعة والتشريع ، وهو يتلخص فيما يلي :

١ - المسلمون على اختلاف مذاهبهم وفرقهم مطالبون من قبل الدولة بالقيام بالتزامات الاسلام جميعها ، سواء العقيدة والعبادات ، ويستحقون العقوبات على مخالفتها جميعها .

٢ - غير المسلمين على الاطلاق لهم الحرية في عقائدهم وعباداتهم ،ويسيرون في الاخلاق والاحوال الشخصية حسب عقائدهم .

٣ - جميع المواطنين ممن يحملون التابعية الاسلامية - مهما كانت مذاهبهم واديانهم واجناسهم وقومياتهم - مطالبون من قبل الدولة بجميع النظام المتعلق بعلاقة الانسان بغيره من بني الانسان في العقوبات والمعاملات و كافة انظمة الحياة ، ويطبق في حقهم جميعهم النظام الاسلامي كنظام حكم ونظام حياة بوصفهم الانساني فقط لابأي وصف آخر .

سر الفتوحات الاسلامية

كان العرب قبل الاسلام ضعافاً امام الفرس والروم ، وكانوا يتضاءلون امام هاتين الامبراطوريتين ، وكان لهما في نفوسهم هيبة وسلطان ، وكانت بعض مناطق بلادهم خاضعة لنفوذهمـــا، وبعضها مستعمرلهما . فما الذي جرأ العرب على الفرس والروم ، وبعث فيهم قوة جعلتهم يتقدمون الى هاتين الدولتين ويثلون عرش قيصر ويطيحون بايوان كسرى ؟ كان العربي لا يعرف من العالم الا ما جاور بلاده ولا يهتم من العالم الا بما يلزمه في معاشه ، فما الذي رسم في ذهن العربي خريطة العالم وجعله يعمل لفتحه؟ وما الذي اثار فيه الاهتمام بالعالم لحكمه وهدايته ؟ هل كان احد يصدق العربي وهو يراه راكبا ناقته ، متوشحا سيفه يخرج من المدينة وهو يقول : اني ذاهب لفتح العراق وفارس في الشرق وافريقيا والاندلس في الغرب ؟ هل كان احد يصدق خياله هـــذا ويؤمن بقدرته على تحقيق مايقوله ؟ اذن فمـا الذي جعله يحقق هـذا الخيال ويملي على الناس ان يؤمنوا بقدرته ؟

ان الذي بعث في العربي قوة يستولي بها على امبراطوريتي فارس والروم ورسم في ذهنه خريطة العالم ليفتحه ويحمل له هدايته ، وجعله يحقق خياله ويملي على الكون ارادته ، ان الذي احدث به ذلك ومثله من المعجزات ، انما هو حمله القيادة الفكرية للاسلام حين اعتنق عقيدة لاسلام ، هذه العقيدة هي وحدها سر المعجزة الخارقة التي ظهر بها العرب في فتوحاتهم ، وهي وحدها سر بقاء عروبة جميع البلاد

العربية بعد ان كانت رومية وقبطية وبربرية . وسر بقاء اسلام جميع البلاد التي فتحها المسلمون بعد ان زال عنها سلطان المسلمين ودولتهم . نعم ان العقيدة الاسلامية وحدها هي سر الفتوحات الاسلامية كلها ، وهي التي جعلتهم يحملون القيادة الفكرية للعالم ، ويؤمنون بواجب هدايته حين حملوا دعوة الاسلام .

حمل الشعوب غير العربية للدعوة

ولم تقتصر هذه القوة على العرب وحدهم ، بل ان جميع الذين اخذوا في ذلك العهد بمبدأ الاسلام واعتنقوا عقيدته وحملوا دعوة الاسلام – قيادة فكرية – قد بث فيهم الاسلام هذه القوة الخارقة ، وقلب احوالهم حين قلب مفاهيمهم ، واحال فيهم الضعف قوة والانحلال تماسكا ، والهبوط ارتفاعاً وها هي الشعوب التي فتح العرب بلادها ودخلت في دين الله من اهل فارس والشام ومصر وشمال افريقيا ، كانت قبل فتح المسلمين بلادها امماً منحلة متداعية ، لم تثبت امام جيوش المسلمين ، ولم تقف في وجه الفاتحين . حتى اذا اعتنقت الاسلام وانضمت الى صفوف العرب اذا هي شعوب اسلامية فاتحة ، تتحول الى صدق في الجهاد ، وتشبث بنصرة الدين ، واخلاص لراية الاسلام ، واستماتة في سبيل اعلاء كلمة الله .

توحيد الشعوب في امة واحدة

وهذه العقيدة الاسلامية وحمل قيادتها الفكرية ؛ هي التي جعلت العرب الخارجين من الجزيرة وغيرهم من عرب وعجم وروم وقبط وبربر – جعلتهم امة واحده ، تجمعها عقيدة واحدة ، تنبثق عنها انظمة تعالج جميع مشاكل الحياة وتحمل قيادة فكرية واحدة ، وهذا مامكنهم من تتابع الفتوح ، واستمرار الجهاد والا فكم هو عدد العرب الذين خرجوا من الجزيرة بجانب جميع الامم المفتوحة ماهو الا عدد ضئيل بجانب عدد تلك الشعوب .

ونظرة استعراض خاطفة لنشأة الدولة الاسلامية ، ترينا السر واضحاً في

جميع الفتوحات الاسلامية ، وما هو الا الايمان الراسخ الذي اوجد القوة المعنوية ، التي ادركت امامها جميع القوى ، واوجد الفكرة التي اكتسحت جميع الامبراطوريات ، واحتلت البلاد التي دخلتها احتلالا ابديا الى يوم الدين .

نشأة الدولة الاسلامية

اما كيف نشأت هذه الدولة الاسلامية ، وكيف تكونت ، فذلك امره يرجع الى نشأة الاسلام وتأثيره في نفوس العرب .

لقد انبثق فجر الاسلام في مكة ؛ واشرقت شمسه في المدينة ، فاعتنقه العرب . وباعتناقهم له اصبحوا خلقا جديدا غير خلقهم الاول . ذلك ان الاسلام انشأهم نشأة جديدة ، وبث فيهم روحاً جديدة ، اذ احتل منهم مناطق عقائدهم ؛ ومحاريب عباداتهم ؛ وصميم وجدانهم ، بعد ان اقتحم عقولهم وافكارهم فاحتلها ، وتصرف بمفاهيمهم فغيرها ، وغير جميع ما في عقولهم ، وكل ما في قلوبهم ووجدانهم ، فغير ما في نفوسهم ؛ فتغيروا واستحالوا خلقاً جديداً .

لقد القى في العرب بذرة التوحيد حين دعاهم الى توحيد الله تعالى ، فاعتنقوها بعد ان ادركوها بعقولهم ، واقبلوا عليها بقلوبهم ، اذ وجدوها نقية من كل شائبة ، بسيطة كل البساطة ، والفوها — في نفس الوقت — عميقة كل العمق ، مفعمة بالمنطق والادراك . واذا كان يكفي الانسان ان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ليدخل في حظيرة الاسلام ؛ فان عليه ان يعمل عقله ومنطقه حتى يدرك بعقله كما يؤمن بقلبه ، انه جل جلاله لا اله الا هو ، حتى يقبل منه ذلك الايمان . وباقبال الانسان على هذه العقيدة — بعد نظره فيها بعقله وقلبه — يصبح انساناً مستنير الفكر ، طاهر النفس . وكذلك اصبح العرب بعد الاسلام متحرري النفس من قيود الاوهام والخرافات ،

طاهري القلب من رجس الاوثان ، يشعرون شعوراً عميقاً بأنهم متصلون بالله وانه لاحجاب بينهم وبين الله. وهذا الايمان هو الذي اخذ بمجامع القلوب ، فجمع بينها برابطة واحدة ، وجعل العقول تصدر بتفكيرها عن شيء واحد يظهر فيها جميعها بمظهر واحد ، وهو الذي نزع مافي صدور العرب من غل؛ وجعلهم اخواناً في الله يحب احـــدهم لاخيه مايحب لنفسه ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصه ، وهو الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب اليهم من أنفسهم وأموالهم وولدهم ، وهو الذي جعل الجهاد في سبيل الله أحب اليهم من ابائهم وابنائهم واخوانهم وعشيرتهم واموالهم وتجارتهم ومساكنهم ، وهو الذي جعلهم يبيعون انفسهم لله يطلبون الجنة ، فيقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون . من هذه النفوس الكريمة كون عليه السلام الدولة اسلامية ؛ وانشأها على الاساس المتين الذي لايتطرق اليه ادنى خلل او اقل تصدع . واقامها من هؤلاء المؤمنين على نظام المجتمع متين ، قدانبثق عن العقيدة ، فكان مثلها الاعلى (رضوان الله) جامعاً بين البساطة والقوة، وكان هو الموجه لشؤون المجتمع ، حتى كان المسلم ينفذ الاسلام بوحي من ضميره ، وبتشريع من دولته ، ويستعد لحمـــل عقيدته وتشريعه يدعو اليه الناس ، وينفذه عليهم ، وبذا نشأت الدولة الاسلامية نشأة قوية متركزة ، نشأة اتساع ونمو ، نشأة انتشار وفتح ، فكانت بذرة انشائها بذرة انشاء دولة عالمية لادولة محلية ، لان فكرتها عالمية اذ ان عقيدتها عقيدة عالمية ، ونظامها نظام عالمي فكان طبيعياً ان تنتشر ، وكان طبيعياً ان تفتح البلاد ، لان طبيعة نشأتها توجب ذلك وتحتمه .

نشر الاسلام

ولذلك كان طبيعياً ان يكون سبب فتوحاتها نشر الاسلام وحمل الدعوة الاسلامية ، وكان طبيعياً ان لاتفرق في فتحها للعالم كله بين ان تفتح مصر بخيراتها وسهولة فتحها ، وبين ان تفح شمال افريقيا على صحراويتها وفقرها ، وصعوبة فتحها ، ومشقة نشر الاسلام فيها . لانها انما تفتح لنشر الاسلام وحمل دعوته . وذلك يقتضيها ان تدخل كل بلد — مهما كان فقره او غناه — وان تواجه كل شعب — مهما كان استسلامه او مقاومته — لان نشر الاسلام وحمل دعوته للناس لايعرف فقر بلد او غناه ، ولا قبول اهله او رفضهم ، وانما يعرف شيئاً واحداً ، وهو حمل القيادة الفكرية الاسلامية لجميع الناس في جميع البلاد ، وعلى ذلك فالاصل في الفتوحات الاسلامية ، انها في سبيل اعلاء كلمة الله ، لان الدولة الاسلامية انشئت على هذا ، ووجدت من اجل هذا ، وهيئت لهذا وحده . فطبيعة نشأتها ان تنمو على هذا الاساس ، وان تتسع في نطاق دعوة الاسلام وفي سبيلها .

نواة الجيش الاسلامي

فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بيعة العقبة الثانية ، بيعة عسكرية ؛ يبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس ولو ادى ذلك الى فناء الاموال وقتل الاشراف ، يبايعونه على السمع والطاعة في عسرهم ويسرهم ، ومنشطهم ومكرههم ، وان يقولوا الحق اينما كان ، واينما كانوا لايخافون في الله لومة لائم ، يبايعونه على الموت وليس لهم مقابل ذلك كله الا الجنة والا رضوان الله وهؤلاء هم نواة جيش الدولة الاسلامية ؛ التي حملت الاسلام . فكيف يكون هذا الجيش الذي بايع هذه البيعة ؟ وماهي مهمته الحربية التي تبدو في هذه البيعة ؟ اليست هي مهمة حمل دعوة الاسلام ؟ وهي وحدها التي جاؤا من اجلها ، وبايعوا عليها ؛ واستعدوا للموت في سبيلها .

ثم ها هو عليه الصلاة والسلام يضع خطة نشر الدعوة الاسلامية خارج الجزيرة ، بعد ان قامت الدولة الاسلامية في الجزيرة . يضع هذه الخطة في كتبه التي ارسلها في السنة السابعة للهجرة ، الى قيصر والى كسرى ، والى غيرهما من الملوك والامراء ، يدعوهم جميعاً الى الاسلام . وهـا هم اولاء صحابته ينفذون هذه الخطة ، حين يخرجون بجيوشهم يحملون الدعوة الاسلامية فيحققونها في جميع البلاد التي كانها بينهم محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحققون الدعوة اينما حلوا ، في اي مكان استطاعوا ان يصلوه ، وهكذا نشأت الدولة الاسلامية لتطبيق الاسلام وحمل رسالته ، وهكذا سارت تطبق الاسلام وتحمل رسالته . فكان بديهياً ان لايكون سبب لفتوحاتها سوى نشر الاسلام بل يكون السر في معجزة هذه الفتوحات بهذه السرعة وهذا التأثير الفريد في بابه بين تواريخ العالم ، هو الاسلام ونشره وحمل دعوته .

آيات القتال

على ان المسلمين حين يفتحون البلاد انما يسترشدون بقرآنهم ، ويسيرون على هداه ماداموا مسلمين معترفين بالاسلام يبين لهم اسباب القتال وفريضه الجهاد ، بانها لاتكون الا في سبيل الاسلام وحمل رسالته للعالمين . وهناك آيات مستفيضة الكثرة تأمرهم بالقتال من اجل الاسلام قال تعالى في سورة الانفال « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله » وقال في سورة الانفال « يا ايها الذين آمنوا اذ لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وقال في سورة التوبة « قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون » وقال سورة التوبة « انفروا

خفافاً وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » وقال فيها « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون » وقال فيها ايضاً « يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » وقال فيها ايضاً « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقال فيها ايضاً « يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين » .

فهذه الآيات وغيرها هي التي كان يحملها المسلمون للناس حين يفتحون البلاد، وهي التي كانت تدفعهم لهذه الفتوحات ، وهي التي كانت السر العظيم في انتصارهم الساحق على اعدائهم ، وهي التي حببت اليهم الاستشهاد في سبيل الله ، فاقبلوا على الموت متدافعين يطلبون الجنة ورضوان الله .

واذن فطبيعة نشأة الدولة الاسلامية ونص الاوامر والنواهي الاسلامية وسير الفتوحات الاسلامية كلها، تجلو السبب في فتح المسلمين صريحاً واضحاً، بأنه من أجل الدعوة الاسلامية ، ومن اجل نشر الاسلام ، وان سره هو عقيدة الاسلام ، وهي سبب الفوز في النضال ، وهي سر النصر في القتال ؛ وهي التي تورث صاحبها من القوة مايجعله يأتي بالمعجزات ، ويفعل الخوارق ؛ ويحقق مايراه الناس خيالا ، ويبرز للوجود مايظنه الناس من غير الممكنات . وبهذه العقيدة فتح العرب العالم ؛ وكونوا دولة الاسلام في سبيل الله ، ومن اجل دين الله .

هذا هو سر الفتوحات الاسلامية ، وهو سببها ؛ وهو السر الذي يعيد للمسلمين دولة الاسلام ، يستأنفون بها حمل رسالته للناس كافة ، لانه وان ذبلت اغصان الشجرة ، فان جذعها وجذورها لاتزال قوية الحيوية ، سليمة التكوين ، قادرة على ان تنشىء فروعاً اكثر نضارة تلك الجذور هي العقيدة الاسلامية وفلسفة الاسلام ، وذلك الجذع هو هذا العالم الاسلامي بأمكانياته ومن فيه من المؤمنين ، واذا ماتت دولة الاسلام فان الاسلام الذي انشأها لايزال قادراً على ان ينشىء دولة اسلامية تحمل رسالته للعالمين .

تركيز الفتوحات الاسلامية

ان طبيعة الاسلام هي التي جعلت روحه تتمثل في المسلمين حين مست نفوسهم ، ونبهت عبقرياتهم ، وهيأتهم لان يكونوا قادة وفاتحين ، كما ان طبيعة الاسلام هذه ، هي التي مكنتهم من فتح البلدان بتلك السرعة الفائقة الخارقة ، وركزت هذه الفتوحات بتركيز الاسلام فيها ، حتى كان فتحهم لأي بلد - فتحاً ابدياً الى يوم الدين - قد سلخ هذا البلد واهله عن حالهم الاول ، واحالهم من كفار الى مسلمين ؛ كما احال مجتمعهم بكليته من حاله الاولى - حال الكفر - الى الحال الاسلامي ؛ وذلك :

عقيدة الاسلام واحكامه

١ - ان الاسلام عقلي في عقيدته ؛ فكري في مبادئه ؛ فهو يفرض على معتنقه ان يؤمن به عن طريق العقل ، وان يدرك احكامه عن طريق الفكر ولذلك كان مجرد اعتناقه يحيل الانسان الى انسان عاقل مفكر ؛ حين يثير فيه المنطق باستعمال القضايا والبراهين لأدراك وجود الخالق ووحدانيته ، وينبه فيه الفكر لأدراك المسائل الاسلامية ادراكاً يمكنه من الايمان والعمل في آن واحد .

القراءة والدرس

٢ - يقضي الاسلام على معتنقه بالقراءة والتعليم والدرس ، واول كلمة نزلت في القرآن كلمة « اقرأ » وليس يكفي المسلم ان ينطق بالشهادتين ليتعلم الاسلام ويفهمه ، بل لابد من تعلمه والتثقف فيه بعمق وحسن ادراك حتى

يصح الايمان ؛ وحتى يمكن العمل باحكامه ؛ وهذا التعلم يوسع افق المسلم ، وينمي معارفه ؛ ويخصب عقليته ، ويجعله معلماً لغيره استاذاً لسواه .

طريقة الاسلام التعليمية

٣ ـ ان طبيعة مبدأ الاسلام واحكامه الشرعية توجب ان تكون طريقة تعلمها ارتقائية مؤثرة في المتعلم وفي الوسط الذي يعيش فيه ولذلك كان المسلمون يتعلمون الاسلام للعمل به ؛ وكانوا يتلقون احكامه تلقياً فكرياً ، فكان هذا مؤثراً في مشاعرهم ، ولذلك كان احساسهم بالحياة وتبعاتها احساساً ناتجاً عن فكر مؤثر ، فنتج عنه ما كان يشاهد في المسلمين من التلهب والحماس في نفوسهم للاسلام ، ومن الفكر والمنطق وغزارة المعرفة وسعة الافق ، لان العقيدة الاسلامية قد غرست في نفوسهم غرساً ، ولان تعاليم الاسلام قد اخذوها علماً ومعرفة بعد درس وتمحيص ، ولان الناحية العملية كانت هي المسيطرة على العقيدة والمبدأ .

فهم لم يتعلموا الاسلام لمجرد العلم فقط ؛ والا لكانوا مجرد كتب تحوي معلومات عن الاسلام ، ولا سمعوه مجرد سماع كموعظ وارشادات ، والا لكانوا سطحيين لا حرارة للايمان عندهم ، بل تجنبوا هاتين الناحيتين الخطرتين وهما تعلم الاسلام كحقائق مجردة للتعلم فقط ؛ واخذه كموعظ وارشاد . وحصروا طريقه اخذهم المفاهيم والاحكام بطريقة الاسلام ، التي هي اخذ الاسلام بعمق وتفهم ووضوح ، لتطبيقه عملياً في معترك الحياة .

الالتزامات الاسلامية

٤ ـ ان الاسلام ارتقائي يأخذ بيد معتنقه ليسير به في طريق الكمال ، فهو يفرض التزامات معينة على المسلم ، منها ما هو سلبي يحول بينه وبين الاندفاع وراء نزعاته الجسدية ؛ ومنها ما هو ايجابي يجبره على القيام بها ليثير

فيه اشواقه الروحية ، وهذه الالتزامات ذات تكاليف مالية وجسدية ونفسية ، والقيام بهذه الالتزامات يكون لغاية معينة هي الاخذ بيد الانسان الى مرتقى من الكمال يتمتع فيه بالسمو الروحي ، والاطمئنان النفسي ، والسعادة الحقة ، ويجعل الانسان ثابتاً على هذا المرتقى لاينحدر عنه ، وانه وان كان الارتقاء في طريق الكمال الى المرتقى العالي صعب ، فان الثبات عليه اصعب ، ولذلك كانت هذه الالتزامات دائمية وليست مؤقتة ، حتى يظل الانسان في سموه وارتقائه .

وهذه الالتزامات هي اجتناب مانهى الله عنه ، واتباع ما امر به والقيام بالعبادات والفروض والواجبات من قبل جميع الناس يحقق حداً مشتركا من الرقي لابد منه والقيام فوق الفروض والواجبات من قبل اولئك الذين آتاهم الله استعدادات ممتازة في الحس والادراك والروح ، يحفزهم على الاندفاع في طريق الكمال ليقطعوا شوطا اكبر ، ومسافة اكثر من غيرهم .

وليس القيام بهذه الالتزامات بالامر الشاق العسير ، ولا بالشيء المرهق المضني ، وليس فيه حرمان من متاع الدنيا وملذاتها ، واعراض عن مباهجها ومسراتها ، وكبت للغرائز ومخالفة للطبائع ، كلا ، وانما القيام بهذه الالتزامات من فروض وواجبات امر ميسور لكل انسان مهما كانت قواه ومهما كانت ارادته ، وهي لاتحول بينه وبين زينة الدنيا ؛ كما ان القيام بما فوق هذه الفروض والواجبات امر اختياري ، ولذلك يقوم بها اولئك المسلمون بشوق وشغف ، ويقبلون على العمل والسمو ليقوموا بأكثر مما فرض ، وهم يحسون اللذة التي لاتفوقها لذة من الاستمتاع الروحي ، والشعور العميق بأنهم منعمون برضوان من الله .

معاملة المسلمين للبلاد المفتوحة

٥ - كان المسلمون يفتحون البلاد لحمل الدعوة الاسلامية اليها ، ونشرها فيها ، لا لمجرد الفتح ، ولذلك كانوا يشعرون انهم رسل رحمة وهداية ، لا رجال فتح واستعمار ، ولهذا كانوا يدخلون البلد فيحكمونها بالاسلام ، فيعدلون بين الناس في الحكم ، ويساوون الناس بأنفسهم في الحقوق والواجبات الانسانية ، وبمجرد دخول اهل البلاد في الذمة ، يصبح لهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم ، ويصبح لتلك البلد المفتوحة من الحقوق والوجبات في الدولة ما لأي بلد آخر من أجزاء الدولة ، وتصبح قطعة منها ، لان نظام الحكم نظام وحدة ، ولهذا لم يكن اهل البلاد المفتوحة يشعرون بانهم مستعمرون ، ولا يحسون بأي ناحية تشم منها رائحة الاستعمار ، هذا علاوة عما كانوا يجدونه في الحكام وفي احوالهم المعاشية من انسانية ومساواة على وجه لا يميز الحاكم عن اي شخص من الناس ، لا في نفسه ولا في اسرته ، ولا في اي نوع من انواع الحياة ، ولذلك لم يكن عجيبا ان يقبل الناس على الاسلام بعد ان رأوا - عمليا - حقيقة الاسلام في الكيفية التي يحكم بها المسلمون .

وجوب تعميم التعليم

٦ - ان مبدأ الاسلام واحكامه عامة لجميع الناس ، ويباح تعلمها لجميع الناس ، بل يفرض تعليمها لجميع الناس حتى يتذوقوا حلاوة الاسلام ويدركوا حقائقه ، ولذلك كان الرسول عليه الصلاة السلام يرسل الولاة والحكام والمعلمين يحكمون الناس بالاسلام ، ويعلمونهم احكامه ، وكذلك كان المسلمون من بعده ، يفتحون البلدان ويقيمون بها الحكام والمعلمين ، ويفقهون الناس في الاسلام ، ويعلمون احكام القرآن فأقبل اهل البلاد المفتوحة على المعارف الاسلامية حتى اصبحت عقليتهم جميعا عقلية اسلامية في تفكيرها وعلمها ، حتى اولئك الذين لم يعتنقوا الاسلام .

شمول الشريعة لمعالجة المشاكل الانسانية

٧ - ان الشريعة الاسلامية شريعة عالمية كاملة . ولذلك كان المسلمون حين يفتحون البلدان ، لايحتاجون الى تعرف شريعة اهلها وقوانينهم ، ولا للتوفيق بين مايحملونه من احكام لمعالجة مشاكل الحياة ، وبين القوانين التي كانت تطبق على البلاد ، بل كانوا يفتحون البلد ومعهم الشريعة الكاملة ، فكانوا يطبقون الاسلام من اول يوم يحتلون فيه البلاد . وكانت طريقتهم في التطبيق انقلابية ، ليس فيها تدريج او ترقيع ، ولا يراعون الواقع الذي يجدونه ، لانهم انما فتحوا البلاد لتبليغها الاسلام ، وليغيروا واقعها الفاسد وحياتها المضطربة ، وهو يقضي برفع النظام القديم ووضع النظام الجديد وضعاً شاملا ، ولهذا كان يسهل عليهم حكم البلاد من اول يوم ، وكان يتركز حكمهم تركزاً تاماً ، ولم يعانوا أزمة قانونية ، ولا حالة انتقالية ، لانهم يحملون دعوتهم ، وهي عقيدة تنبثق عنها الانظمة والقوانين والأحكام ، وهي شريعة انسانية تطبق على كل انسان .

• • •

الدعوة الاسلامية والثقافة

يقوم الاسلام على اساس الفكر والثقافة ، كما يقوم على اساس الروح والعقل ، ولذلك كان ارتباط الفكر بالشعور امراً أساسياً في تكوين العقلية الاسلامية والنفسية الاسلامية ، ولهذا كان العلم والثقافة الاداة الوحيدة لتعلم الاسلام ولحمل الدعوة الاسلامية ، ومن هنا كان التعليم والتثقيف هو وسيلة فهم الاسلام وهو وسيلة نشره وافهامه للناس . نعم ان الاسلام دين الفطرة ، واحكامه في منتهى البساطة ويكفي الانسان ان يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ليكون مسلماً . ولكن فهم الاسلام فهماً يمكن من نشره والدعوة له ، يحتاج الى فكر عميق . ولذلك كان اول خطاب من الله لرسوله عليه السلام كلمة « اقرأ » وكان اول عمل لرسول الله عليه السلام مع من يدعوهم الى الاسلام ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ، فانه عليه الصلاة والسلام لما بدأ في الدعوة لدين الله امضى ثلاث سنوات يدعو الى الاسلام جهراً ويجمع الذين يدخلون الاسلام في دار الارقم بن ابي الارقم ويكتلهم سراً ، وكان يعلمهم الاسلام ويقرئهم القرآن ، ويحفظهم الى عملية فكرية مضنية يدركون فيها حقيقة الاسلام ، ومعنى آيات القرآن ، حتى يثبت في نفوسهم ويستقر في عقولهم ، ويتجسد فيهم ؛ واتخذ عليه السلام كتاباً للوحي يكتبون القرآن الكريم ، ولما بايع مسلمو المدينة الرسول في مكة بيعة العقبة الاولى ، انفذ معهم مصعب بن عمير الى المدينة يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم في الدين ، ومكث عندهم سنة كاملة يقوم بتثقيف المسلمين بالاسلام والدعوة له .

الدعوة الى الاسلام تحتاج الى الثقافة

وحين اصطدم المسلمون باليهود في المدينة بالمناقشات والمجادلات حول الاسلام ، كانت قوة المسلمين بالاسلام وفهمهم له، هي التي ساعدتهم على قوة حجتهم ، ودحض خصومهم وكانت هذه الثقافة هي المرشح الوحيد للاضطلاع بالمسؤوليات وحمل مهام الاعمال ، وان النبي عليه السلام أمر وولى عثمان ابن ابي العاص على وفد ثقيف ، وكان من احدثهم سنا امره عليهم على حداثة سنه ، لانه كان احرصهم على الفقه في الاسلام ، وتعلم القرآن بشهادة ابي بكر والسابقين في الاسلام . وجعل الرسول عليه السلام كاتبه يهودياً ، لانه كان يحسن اللغتين : العبرية والسريانية ، الى ان كانت غزوة بني النضير وجلا اليهود عن المدينة ، فخاف النبي ان يستعمل في اسراره غير مسلم ، فأمر فتعلم زيد بن ثابت احد شباب المدينة المسلمين اللغتين المذكورتين ، وجعله كاتبه في كل شؤونه .

جعل الثقافة مقياس قيم الرجال

وهكذا كان عليه السلام يجعل الثقافة هي المقياس لقيم الرجال للقيام بالاعمال وكان عمر بن الخطاب يعظم الرجل في عينه بمقدار ثقافته ، فقد جاءه وفد فيه الاحنف ، فتركهم جميعا واستفتح ماعنده من الحديث فأعجبه واعظم قدره ، وعقد له الرئاسة عليهم، وعلى هذا المنوال سار الخلفاء ورجال الدولة الاسلامية ، يجعلون الثقافة اساس نباهة الرجل وسبب تقديمه .

على ان طبيعة الاسلام وطبيعة الدعوة اليه تحتاج الى الثقافة، فان القرآن الكريم وان كان عربيا لايكفي لفهمه ان يعرف قارئه اللغة العربية ، بل لابد من درجة من الرقي العقلي ، ومن ثقافة حسنة، حتى يتسنى فهمه وادراك معانيه ، والوقوف على احكامه . وكذلك السنة الشريفة . ولئن كان العرب في حاجة الى ثقافة لفهم الاسلام والدعوة له ، ان غيرهم ممن دخلوا في دين الله او استظلوا براية الاسلام وخضعوا لاحكامه ، لفي حاجة امس الى ثقافة

اوسع ولذلك اتسعت الثقافة باتساع رقعة الدولة الاسلامية ، واشتدت حاجة المسلمين اليها بدخول الامم غير العربية في دين الله ، فاحتج الى وضع علوم للغة العربية لفهم القرآن وحماية المسلمين من الخطأ فيه ، واحتيج الى وضع التاريخ لمعرفة سيرة النبي عليه السلام وغزواته وفتوح المسلمين ، ووضع علم الفقه لمعرفة احكام الله الواردة في القرآن والحديث ، وكان التفسير لفهم آيات الله وحديث رسول الله ومصطلح الحديث لمعرفة الحديث الصحيح ، وغير ذلك كثير .

وهكذا وضعت معارف كثيرة في سبيل فهم الاسلام ونشره ، لتساعد على الدعوة له ، وشرحه للناس ، فكانت الثقافة بذلك اساساً من اسس الدعوة الى الاسلام ، بل هي الاساس لها ، ولا سبيل الى الدعوة الصحيحة بدونها ، ومن هنا كانت الدولة الاسلامية — سواء في ايام الرسول عليه السلام او الخلفاء الراشدين او الامويين او العباسيين ومن بعدهم — تعنى العناية الكلية بالثقافة والمعارف من اجل الاسلام ، ومن اجل الدعوة الاسلامية اولا وبالذات ، لانها كانت مقياس جميع الثقافات ، سواء الاسلامية اوغير الاسلامية ، وبذلك كانت الثقافة والتثقيف جزءاً من الدعوة او الاداة الرئيسية لهذه الدعوة .

المسلمون والثقافة

ومادام الاسلام لابد له من ثقافة ، وما دامت الدعوة الاسلامية من لوازمها الضرورية الثقافة ، فليس غريباً ان نرى المسلمين قد اقبلوا على الثقافة ، فأن الكثرة الوافرة من الآيات والاحاديث تحثهم عليها ، الا ان هـــذه الثقافة كانت مبنية على اساس الاسلام وحماية المسلمين ، وبعث القوة للدولة الاسلامية ، وكانت تتطور هذه الثقافة بتطور العصور ، وتتسع فروعها باتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وتنمو بنمو الاسلام ، وتزداد بازدياد المسلمين ، فانه وان كان الاسلام قد ظل اساس الحركات الثقافية منذ بعثة الرسول عليه السلام الى أيام آخر دولة اسلامية ، وسيظل هو اساس الثقافات الى آخر الدهر .

تمركز الثقافة كلما تمركزت الدولة

فانه مع ذلك كانت الثقافة تتمركز كلما تمركزت الدولة ، وتكون عريقة بعراقتها . والدولة حين تأسيسها تكون في حاجة الى المبادىء والافكار والتشريعات والقوانين ، أكثر من حاجتها الى المعارف والعلوم . وتكون مكتفية من الثقافة بما يقيمها ، ويحفظ كيانها ، وينمي وجودهـا . والدولة الاسلامية نمت فيها العلوم والثقافة نمواً طبيعياً حسب ازدياد قوتها وسعة رقعتها ، وعلى قدر تركيزها وعراقتها ، فالثقافة والعلوم كانت في عصر الخلفاء الراشدين اكثر منها في عصر النبي عليه السلام ، وكانت في عصر الامويين اقوى منها في عصر الراشدين ، وفي عصر العباسيين كانت اوضح واكثر واوفر منها في عصر

الامويين . وسر ذلك ان الرسول عليه السلام كان ينشىء دولة ، فكان يصحح الافكار ، وينير البصائر والابصار ويشرع الاحكام ، وينظم الاسس ، فلم تكن حاجته الى العلوم بقدر حاجته الى بقاء الكيان . وفي أيام الخلفاء الراشدين كانت الدولة قد اسست ؛ واندفعت في الفتوحات ، فكانوا الى العلوم والمعارف احوج ؛ وان كانوا مشغولين بالفتح معتنين بما يعزز هذا الفتح ؛ ويركز السلطان في البلاد المفتوحة ، ويعزز الاسلام وينشره بين الناس . وفي ايام الامويين كان الاستقرار قد اخذ يبدأ في الدولة . فصارت الحاجة الى العلوم اكثر ؛ والى المعارف أشد ، فكان لا بد من ازدياد العلوم .

الا ان اساس العلوم والمعارف كان خاضعاً لثلاثة عوامل : احدها مفاهيم الاسلام التي ظلت تعمل وتنتشر في البلاد المفتوحة ؛ والثاني انتشار اللغة العربية ، والثالث الحاجة الماسة الى معرفة الدراسات الدنيوية التي كانت معروفة في ذلك العصر من طب وصناعة وكيمياء ، الا ان ذلك كله كان بمثابة بداءة للعصر الذي يليه : عصر العباسيين الذي تركزت فيه الدولة الاسلامية في جميع البلاد التي فتحتها ، واخذت دورها من العراقة والاستقرار ، فنمت فيها العلوم الاسلامية ، وازدهرت فيها اللغة العربية ، وفاضت على الناس المعارف الكونية من علوم ورياضيات وطب وفلسفة . فكان العصر العباسي ازهى العصور في العلوم والمعارف جميعها . نعم ان الامويين اكثر فتحاً للبلدان ، وكان القواد والفاتحون في ايامهم فيهم الدعاة الى الاسلام وفيهم العلماء . وكان الفتح نشراً للدعوة الاسلامية ؛ وتعليماً لاصول الاسلام وفروعه ووضعاً للنظم الاسلامية ، وتعليماً للغة العربية ، الا ان ذلك كله كان بمثابة تمهيد للعباسيين

ومقدمة لاعمالهم ، فان العباسيين وجدوا البلاد مفتوحة وشؤون الدولة مهيأة ؛ فتسلموا الحكم وكل شيء جاهز للعمل ، فشمروا عن ساعد الجد واخذوا يبذلون الجهد في سبيل الاسلام . وذلك يستدعي - طبعا - بذل الجهد في سبيل الثقافة والعلوم ، فاتسعت افاقها ، وتعددت معارفها وفروعها ؛ وكانت وجهتها مطبوعة بطابع الاسلام ، كما كانت لغتها الرسمية هي اللغة العربية ، التي وضعت قواعدها ، ونمت آدابها ، ودونت نصوصها ؛ فكان ان ازدهرت هذه الثقافة وهذه اللغة ، كما تقدمت العلوم العقلية والكونية ، مما يستدعيه كيان الدولة الاسلامية والامة الاسلامية ؛ وتستدعيه كذلك الدعوة الاسلامية ، فكان بذلك عصر العباسيين من ازهى العصور العلمية والثقافية في التاريخ الاسلامي .

الثقافة والعلوم

التفريق بين العلم والثقافة

كان المسلمون يفرقون بين العلم والثقافة ، فيأخذون الثقافة حسب وجهة نظر الاسلام ، ويعتبرون العلم عالمياً لايختص بأمة من الامم ، فيأخذونه عاماً ، والسبب في ذلك هو انهم كانوا يجعلون الاسلام اساساً للثقافة ، كما هو اساس لكل شيء ، فاذا عرضت مشكلة تشريعية او ثقافية رجعوا الى الاسلام وجعلوه هو مقياس حل المشكلة وساروا حسب احكامه ، هكذا كانوا يفعلون في كل عصر وفي كل جيل ، وهكذا يجب ان يفعلوا في كل عصر وفي كل جيل ، لان الانسان في مادة تكوينه الاصلية هو الانسان ، يوم بعث محمد عليه السلام ، واليوم ، والى ان تقوم الساعة ، ومادة عقل الانسان ، ومادة غرائزه ، والمادة الاصلية لعواطفه وميوله ، هي هي لاتتغير . والحياة كذلك والاسلام جاء ليعالج مشاكل الانسان والحياة ، وقد عالجها بالفعل ونجحت هذه المعالجة نجاحاً باهراً ، جعل الدولة الاسلامية والحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية اقوى واعلى وارفع من جميع دول العالم حضارة ودولة وثقافة واستمر امتيازها على جميع العالم حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ، فتخلف حين تساهلت في تطبيق الاسلام وقصرت في حمل دعوته .

الاسلام اساس لحل مشاكل الحياة والثقافة

ولذلك لابد ان نعود ونجعل الاسلام نفسه - الاسلام فقط - هو الاساس لحل كل مشاكل الحياة ، وهو الاساس للثقافة . وان نجعل القانون اسلامياً ، والثقافة اسلامية ، وكل شيء اسلامياً ، اسلامياً فحسب . لا أن نأخذ مايتفق مع الاسلام ، او مالا يتعارض مع الاسلام ، بل نأخذ الاسلام ونستنبط القواعد الاسلامية والاحكام الاسلامية وان نجعل كل شيء اسلامياً .

هكذا يجب ان يفعل المسلمون ، وهكذا كانوا يفعلون : يجعلون الاسلام اساس الثقافة جميعها ؛ لانه هو نفسه ثقافة ، ويأخذون العلم مطلقا ، يقول ابن خلدون في كتابه المقدمة (ان العلوم صنفان صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره ، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه . والاول هو العلوم الحكمية والفلسفية ، وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعه فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها ، وانحاء براهينها ، ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها ، من حيث هو انسان ذو فكر ، والثاني هو العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول) وقال (ان العلوم العقلية او الطبيعية مشتركة بين الامم ، لان الانسان يهتدي اليها بطبيعة فكره ، واما العلوم النقلية فمختصة بالملة الاسلامية واهلها) .

وهكذا كان المسلمون يفرقون بين العلوم التى لاتؤثر على وجهة النظر في الحياة ؛ وبين العلوم والمعارف التي تؤثر عليها ، فيأخذون العلوم التي لاتؤثر على وجهة النظر في الحياة اخذاً مطلقاً ، كالطبيعة والكيمياء والطب والرياضيات ولا يأخذون المعارف التي تؤثر على وجهة النظر في الحياة ، وان كانوا يدرسونها لاخصاب الثقافة وتنميتها ، وبعبارة العصر الحديث كانوا يفرقون بين العلم والثقافة .

الثقافة والعلوم في العصر العباسي

تغير الفئة الحاكمة لايؤثر على امتداد الثقافة

لاتوجد حدود فاصلة بين انتقال زمام الحكم من الامويين الى العباسيين، لان الدولة واحدة، تغيرت فيها فئة حاكمة، وتربعت على كراسي الحكم فئة اخرى، وانما الدولة فظلت كما هي، وبذلك ظلت الثقافة سائرة كما هي في طريق الرقي الطبيعي، لان العباسيين جاؤا والامة الاسلامية سائرة في الحركة الثقافية، فان عقيدة الاسلام التي هي اساس الثقافة الاسلامية، ظلت تعمل وتنتشر وتؤثر في البلاد المفتوحة منذ بعثته عليه السلام، ولذلك لم يكن قيام العباسيين واستيلاؤهم على الحكم الا امتداداً لهذه الثقافة، ونشراً للغة العربية، كما هي الحال قبلها. وانما ترقت المعارف والثقافات والعلوم بحكم تركز الدولة واستقرارها وتفرغ الامة للعلوم والمعارف وبحكم عمل الدولة على نشر الاسلام، وتثقيف الشعب بثقافته، قياماً بمهمة حملها لرسالة الاسلام وقيامها على تطبيقها؛ وبحكم ما احاط بالامة باكملها من بيئة علمية وثقافية واجتماعية وبحكم نشاط المسلمين في ذلك العصر بالدراسة والبحث، واقبالهم على العلم، واهم الثقافات في ذلك العصر هو الحديث والتفسير والتشريع او الفقه وعلوم اللغة العربية والتاريخ وعلم الكلام (حسب الاصطلاح القديم في تسميتها علوماً).

الحديث

شمول الحديث

كان الحديث هو المادة الواسعة التي تشمل جميع المعارف الاسلامية ، وكان يشمل التفسير ويشمل التشريع ؛ ويشمل التاريخ ، وكان راوي الحديث يروي حديثاً فيه تفسير لآية من القرآن الكريم ، وحديثاً فيه حكم فقهي ، وحديثاً فية غزوة من الغزوات ، وهكذا ..

جمع الحديث وتدوينه

ثم اخذ المسلمون يجمعون الاحاديث ، وصار تدوين الحديث بعدان استقر الرأي على تدوينه ، وأول من امر بذلك عمر بن العزيز ، فقد كتب الى ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان يجمع الحديث ، وكان ذلك في اواخر القرن الاول للهجرة حول السنة المئة ولما جاء العصر العباسي بدأ التأليف في الحديث في امصار مختلفة ، وجمعت مجموعات متعددة من الحديث ، اشهرها موطأ مالك ، ثم روعي في جمع الحديث ان يفرد حديث الرسول عن كل ماسواه .

استقلال الحديث عن الفقه والتفسير

وبذلك استقل الحديث عن الفقه ، كما استقل عن التفسير ، وكان ذلك على رأس المئتين ، حتى اذا كان القرن الثالث الهجرى نشطت حركة جمع الحديث وتمييز الصحيح من الضعيف ، وتشريح الرجال والحكم لهم او عليهم . والفت كتب الحديث ، فألف البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ . كتابه الجامع الصحيح والف مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ . صحيحه .

التفسير

نشوء التفسير

نشأ التفسير في اول امره فرعاً من فروع الحديث ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي يفسر القرآن الكريم ، فلما جاء الصحابة فسروا آيات القرآن وشرحوا في كثير من الاحيان اسباب نزول الآية وفيمن نزلت ، فجاء التابعون وروا كل ماذكره الصحابة وما رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من التفسير ، كما انهم فسروا بعض آيات القرآن وذكروا اسباب نزولها.

اعتبار التفسير علماً

وهكذا ظل التفسير ترويه طبقة عن طبقة ، ولم يتخذ شكلا منظماً ، بأن تذكر آيات القرآن مرتبة كترتيب المصحف ثم تتبع بتفسيرها ، بل كان شرحاً لآيات متفرقة ، ثم عني بجمع تفسير كل عالم على حده ، فجمع ماورد من تفسير ابن عباس ، ثم عد التفسير علماً قائماً بذاته ، ورضع التفسير لكل آية من القرآن او جزء من آية مرتبة حسب ترتيب المصحف ، وأول من تعرض لتفسير القرآن آية آية حسب ترتيب المصحف وفسرها على التتابع هو الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ . وأشهر التفاسير في ذلك العصر تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية ، ثم أخذ التفسير دوره من التوسع في استنباط الاحكام وبيان العقائد وغير ذلك .

التشريع «الفقه»

اقسام الفقه

كان اظهر مميزات الفقه انقسامه الى قسمين : فقه اهل الرأي ، وفقه اهل الحديث ، وكان يحمل مذهب الحديث الحجازيون ، وعلى رأسهم الامام مالك ابن انس ، ويحمل مذهب اهل الرأي العراقيون ، وعلى رأسهم ابو حنيفة النعمان ، وكان هنالك جماعة من الأئمة والمجتهدين يعملون بالحديث والرأي ، ومنهم الامام الشافعي ، واحمد بن حنبل ، والاوزاعي ، وغيرهم .

واصل ذلك هو ان القرآن الكريم جاء بالاسس التي تستنبط منها لقواعد الكلية للنظم جميعها ، وان الرسول عليه السلام فسر هذه الاسس وجاء باحكام جديدة لمعالجة المشاكل القائمة . وكان تطبيقه لذلك وتفسيره وشرحه وحديثه تعتبر كلها تشريعاً كالقرآن قال تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ثم كان الصحابة يسيرون على خطة اقرها عليه السلام ، وهي ان يحكم القاضي بكتاب الله ، فان لم يجد فبسنة رسول الله ، فان لم يجد يجتهد رأيه . وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك كتاب الله وسنته من حديث وعمل وتقرير . وقد شاهد ذلك كله اصحابه وسمعوا منه ، ثم تفرقوا في البلدان المفتوحة . وكان كل عالم ينزل بلداً يروي ماسمع ومارأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتاوي الصحابة

ثم كان كبار الصحابة تعرض عليهم المشاكل التي لانص فيها من كتاب ولا سنة ، فيجتهدون فيها برأيهم ، ويقولون فيها قولا ؛ فيصبح هذا القول

واستنباط الاحكام الشرعية

حكماً شرعياً . وجاء عصر التابعين فكانوا يستنبطون الاحكام حسب اجتهادهم ، وكانوا ينظرون اولا في كتاب الله ، ثم في سنة رسول الله ، فان لم يجدوا فيها يدرسوا فتاوى الصحابة للانتفاع بها في استنباط الاحكام . وكانت لهم آراء في فتاوى الصحـــابة ، وآراء في تقدير الصحابة ، وتقويمهم من الناحيـــة الفقهية . ويرجحون قولا على قول ، ويأخذون بقول بعضهم . ثم جاء تابعو التابعين وساروا في الفقه واستنباط الاحكام على ذلك المنوال . وكان بعض الائمـــة يتحرجون في رواية الحديث ، وبعضهم يتحرج من الرأي ، كما كانت رواية الحديث في الحجاز اكثر ، وروايته في العراق اقل . ومن هنـا نشأ اهل الحجاز على الحديث ، واهـل العراق على الرأي . ونشأ أئمة آخرون على الاخذ بالرأي والحديث .

نمو الفقه

وقد نما الفقه في العصر العباسي نمواً كبيراً ، لان الامم المفتوحة كانت لها عادات وتقاليد وكانت لها مشاكل عديدة ، فلما حكمت بالاسلام واعتنقته ديناً صارت تعالج هذه المشاكل بالاسلام فقط دون اي تأثر بالاحكام القديمة ، وبذلك وجدت احكام جديدة لمشاكل جديدة .

نشوء المذاهب

وقد اختلف الفقهاء في هذه الاحكام كل حسب اجتهاده . ونشأت في هذا العصر المذاهب ، ودون الفقه واعطيت الحرية المطلقة في الاجتهاد وفصلت الاحكام تفصيلا تاماً وبذلك كان الفقه والتشريع في هذا العصر مزدهراً ايما ازدهار .

علوم اللغة العربية

مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية

لما خرج المسلمون من جزيرة العرب يفتحون البلاد ، كان هدفهم الاول نشر الاسلام ، وحمل الدعوة الاسلامية ، ولذلك كانوا يفتحون البلدان ، ويعلمون الناس الاسلام ، وكانوا يعلمون اللغة العربية لفهم الاسلام ، فكانوا يعلمون الناس القران الكريم ، والسنة النبوية ، واللغة العربية ، ولذلك كان الاسلام سبباً في انتشار اللغة العربية ، وعاملا فعالا في نموها وسعتها وانتشارها .

نشوء علوم اللغة

وكان الفتح سبباً في اختلاط الاعاجم بالعرب في جميع شؤون الحياة ، فأثر ذلك على اللغة ، وأخذ الفساد يدب حتى للسليقة العربية ، ففشا اللحن ، وخيف على اللغة ، فحمل ذلك العلماء على وضع قواعد لحفظ العربية ، فكان النحو وكان علم اللغة ، ثم جمعوا النصوص الادبية من قصائد وخطب .

تعريب بعض الكلمات

الا ان العرب – مع حرصهم على اللغة العربية – قد عربوا كلمات في البلاد المفتوحة واستفادوا منها ، كما كان يفعل الجاهليون ، فكما ان الاعشى استعمل كلمة (شاهنشاه) اي ملك الملوك ، واستعمل امرؤ القيس كلمة (السجنجل) وهي المرآة واستعمل القرآن كلمات : زنجبيل وسجل وسجين ، واستعمل الرسول عليه السلام كلمة (الاريسيين) وهي كلها كلمات غير عربية ؛ كذلك استعمل ايضا المسلمون في البلاد المفتوحة الفاظاً كثيرة ، فقد اخذوا

عن الفرس اسماء نباتاتها وحيواناتها وطنافسها وما عونها ، وفعلوا كذلك في مصر والعراق وكل بلد من البلدان التي فتحوهـــا ، مثل برذون وكمثرى ونرجس وابريسم وفالوذج وزنبق وفيروز وبركار وفنجان وغير ذلك مما لايعد ولا يحصى . وبهذا نمت ثروة اللغة بالفاظها ، ونمت اللغة بقواعدها ، ودونت كلماتها بكتب المعاجم ، ودون الادب بدواوينه ، وازدهر الشعر بما جد فيه من المعاني والاخيلة والتشبيهات واتسعت علوم العربية ايما اتساع .

السيرة والتاريخ

اول ماعني به من التاريخ الاسلامي سيرة النبي صلى الله عليه عليه وسلم وما تبعها من مغازى ، وكان تاريخ النبي داخلا في الحديث ، فلما رتبت الاحاديث في الابواب ؛ جمعت السيرة في ابواب مستقلة ، ثم انفصلت هذه الابواب عن الحديث ، والفت فيها الكتب الخاصة ؛ ودونت وحدها تدويناً خاصاً ، ومن اشهر كتاب السيرة ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، وابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، والطبري ، وهناك ناحية اخرى عنى بها المؤرخون الى جانب السيرة ، وهي تاريخ الحوادث الاسلامية من حروب بين المسلمين بعضهم مع بعض ، ومن حروب بينهم وبين غيرهم من الامم . وما تبع ذلك من فتوح وأحداث ، وقد كانت هذه الحوادث الاسلامية التي رواها التاريخ الاسلامي مادة من المواد التي كان يأنس بها الفقهاء عند استنباط الاحكام وبيان العقائد . فأعمال ابي بكر الصديق وسيرة عمر بن الخطاب في البلاد المفتوحة واعمال علي بن ابي طالب ، تعتبر من اخصب المواد التي يستفاد منها حين النظر في التشريع وكذلك كان لحوادث الخلاف بين المسلمين اثر في عقائد كثيرين من اصحاب الفرق الاسلامية ؛ ومن اشهر المؤرخين لهذه الحوادث ابو مخنف الازدى المتوفى سنة ١٥٧ هـ ، وعلى بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ، والزبير ابن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ .

ولم تقتصر عناية المسلمين على هذين النوعين من التاريخ ؛ وان كانا من ادق ماعنوا به ، فقد عنوا بتاريخ الانساب كما عنوا بتاريخ الامم الاخرى ، وتاريخ الرجال وتراجمهم ولهم في ذلك مؤلفات كثيرة .

علم الكلام (التوحيد)

في العصر العباسي البحث في العقائد وتشعب ، وأخذت هذه البحوث تتركز حتى تكون منها علم جديد ، هو علم الكلام ، او علم التوحيد ، وهو علم يبحث في العقائد الاسلامية بالادلة العقلية ، ولعل سبب نشأة هذا العلم يرجع الى تشعب العلوم الاسلامية ، والى الاستعانة به في الدعوة الاسلامية ، وذلك ان مهمة الدولة الاسلامية ، وعملها الاصلي هو الدعوة الى الاسلام ، وهذه المهمة هي ايضاً مهمة المسلمين ، ولاسيما العلماء وقد كانت الدولة لا تكره الناس على الاسلام ؛ فبقيت بعض الاديان كاليهودية والنصرانية ، وكانت قد تسلحت بالفلسفة اليونانية ، ولكن كان لابد من دعوة هؤلاء وغيرهم ؛ والرد عليهم بمثل سلاحهم ؛ فجرى تعليم الفلسفة ، والمنطق للرد عليهم ، وصيغت ادلة العقائد بقوالب المنطق والفلسفة ، فنشأ عن ذلك علم الكلام . على ان القرآن الكريم قد عرض لاهم الفرق والاديان التي كانت منتشرة حينئذ ، وعرض دعوته الى التوحيد عرضاً عقلياً ، وردعلى المخالفين بمختلف الدلائل .

وحث على استعمال العقل والتفكير ، فتوسع العلماء في فهم هذه الآيات ، ونهجوا على منهج القرآن في بيان التوحيد ، وساعد ذلك على نشأة علم الكلام .

الثقافة الاسلامية في ادوارها المختلفة

الدور الاول كان الصحابة علماء بالشريعة، فقد تعلموا القرآن وتلقوا الحديث واطلعوا انفسهم على تفهيد تعاليم الاسلام، باختلاطهم بصاحب الرسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وكانوا اذا اشكل عليهم امر يرجعون الى الرسول. وكان الرسول والخلفاء من بعده يبعثون الى الامصار بالعلماء والقضاة، يحكمون بين الناس ويعلمونهم دينهم. فنزلوا في كل بلد، حتى لم تخل بلدة او مصر من البلاد التي دخلها الاسلام، من بعض الصحابة الذين كانوا لاهل البلاد مناراً، وعلى الشريعة امناء، وفي الدعوة الى الاسلام مؤمنين صادقين، يقرئون القرآن ويعلمون الناس الشرائع والاحكام. وكانوا يسيرون في تعليم الثقافة الاسلامية سيراً عملياً، فيعلمون الناس الاسلام واحكامه، والطريقة التي ينتفعون بها في معالجة مشاكل الحياة بتلك الاحكام. فكانوا حكاماً ومعلمين، اذ كانوا يعلمون كتاب الله وسنة رسوله، ويعملون بها. وما لم يجدوه فيها اجتهدوا رأيهم، ووضعوا الاحكام الشرعية المستنبطة، وعلموها للناس، وطبقوها عليهم. وكانوا يسيرون في تنمية الثقافة الاسلامية بشرح آيات الله وحديث رسوله شرحاً عملياً، مستقى من نفس الاية والحديث، ومن تطبيقهما على الحادثة المماثلة. وكانوا يستنبطون منها الاحكام الشرعية. ولم يكن لهم نهج معين، ولا طريقة ملتزمة، بل بقدر ما يحدث للناس من حوادث كانت تتفرع المسائل، وبقدر ما يرد على العالم من اسئلة واستفسارات كان يعطي

الشرح والجواب . ولم يكن لهم اسلوب معين لا يجوز تعديه ، بل ترك لكل شخص الخيار في اختيار الاسلوب الذي يلائمه . واقبل الناس على الصحابة يتلقون عنهم الثقافة ، ويأخذون الاسلام ، ويفهمون الاحكام . وقد اطلق على ما بينوه من اراء في الاحكام (فتاوى) . وحفظت الفتوى عن مئة ونيف وثلاثين من اصحاب الرسول ما بين رجل وامرأة . وكان اكثرهم في ذلك علماً واعظامرأى سبعة اطلق عليهم انهم المكثرون . وهم عمر وعلي وابن مسعود وعائشة وزيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر . وكان الخلفاء الراشدون والولاة والحكام فقهاء في الاحكام ، علماء بالشريعة ، مشتغلين بالفتاوى . فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادراً ، في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ولذلك كان الاسلام يتجسد فيهم ، فعقولهم عامره بثقافته ، وافكارهم تصدر عن هذه الثقافة ، وهم الذين ينفذون الاوامر والنواهي والاحكام . فكان الخليفة والوالي هو الفكر المستنير ، والعضل القوي ، يفكر ويعمل ، ويفهم ويحكم . ولذلك كانت اعمالهم صائبة ، ، وامورهم مستقيمة ، ونفوسهم سامية ، ولهجاتهم في الحديث الى الناس صادقة ، واحكامهم ملتزمة خطة الاسلام بكل دقة . الا انهم لم يكونوا يدونون هذه الثقافة ولا يكتبونها ، يقول السرخسي في كتابه المبسوط (مرجع الناس في امر دينهم ودنياهم كتاب الله وسنة رسوله ، فاذا اشتبه عليهم امر من الامور رجعوا الى الخلفاء وفقهاء الصحابة ، واستخاروا الله فيه ، واستظهروا باجتهادهم رأيا عملوا به . وقد كانوا لا يكتبون اقوال النبي وفتاوى الصحابة ، خشية ان يجرهم ذلك الى الاعتماد على الكتب واهمال حفظ القرآن الكريم والسنة ، ولأن الكتاب عرضة للضياع والتحريف) وهكذا انقضى عهد الصحابة ، والاسلام قد اندفع في الكرة الارضية ، وعم فارس والعراق والشام ومصر وشمال افريقيا ، واندفعت

الثقافة الاسلامية في العالم ممثلة في كتاب الله وسنة رسول الله واللغة العربية؛ وغزت عقول البلاد المفتوحة ففتحتها كما فتحت بلادهم ، واتصلت بالعالم اتصالا مباشراً . واصبحت في مدة وجيزة هي وحدها ثقافة البلاد المفتوحة ، وخمدت ثقافة هذه البلاد القديمة واختفت من معترك الحيـــاة . وصارت السيادة والرواج للثقافة الاسلامية وحرص المسلمون على الثقافة الاسلامية حرصاً جعلهم يتمسكون بها وحدها ، ويجعلون الدعوة لها حين يحملون الدعوة للاسلام . وتشددوا في امر اللغة العربية ، ولم يعيروا جانب الثقافات الاخرى التي كانت للبلاد المفتوحة اي اهتمام في اول الامر . فاندفعت الامة والدولة بقوة اندفاع الاسلام وقوة اندفاع اللغة ، حتى وجد الناس انفسهم في وضع يحتم عليهم تعلم اللغة العربية لتعلم الاسلام وفهمه ، وتلاوة القرآن واستظهاره . وكان لما في طبيعة الاسلام من قـوة الاندفاع والانتشار ، ولما في طبيعة اللغة العربية من قوة الاندفاع والانتشار ايضاً ، ما سهل اندفاع الثقافة الاسلامية وانتشارها في البلاد المفتوحة ، حـتى كانت لتعاليم الاسلام طاقة ، وللغة العربية طاقة ، اندفعتا معاً طاقة واحـدة ، هي قوة الاسلام بثقافته ، التي تعتبر العربية ـ من حيث كونها لغة ـ قوالب لهذه الثقافة . ولهذا كان اتصال الثقافة الاسلاميـة بالعالم اتصالا متغلغلا من اول الامر ، لما صحب انتشارها ورواجها من قـوة طبيعتها ، وتمـسك اهلها بها ، وسيادتها على غيرها ، وكونها كانت وحدها هي ثقافة الحياة العملية ، وثقافة الدولة . وساعدها على ذلك تلك البساطة الـتي تتجلى بها ، والعمق الذي في فكرتها ، والجزالة وحسن الجرس في لغتها ، وكونها ثقافة عملية يتعلمها الناس ليعملوا بها في معترك الحياة ، وليعالجوا مشاكلهم بها وحسب احكامها .

ولما جاء التابعون ساروا على نفس الطريق وعلى ذات الاسلوب ، فظلت الثقافة محتفظة بكيانها وقوتها ، وببساطتها وسهولة تفهمها . الا ان التابعـــين

اخذوا عن الصحابة وبينوا آراءهم في كثير من المسائل. فنمت بذلك الثقافة الاسلامية وصار لبعض التابعين آراء خاصة، واكثروا من رواية الحديث وكانوا يعتبرون جميع المعارف الاسلامية علماً واحداً وثقافة واحدة، فكانت القراءة والتفسير والفقه والحديث علماً واحداً. ثم جعلت تتميز على مر الايام، وكان اصحاب الفقه يسمون القراء تعظيما لشأن القراءة، ثم سمي بعد ذلك اصحاب الفقه بالفقهاء. ثم جاء من بعد التابعين تابعو التابعين، وكلهم كان يحمل الدعوة الاسلامية للناس، ويعلم الاسلام ويحكم به. وكان ان دون الحديث ودونت شروح للقران الكريم، وبدأت تدون بعض المعارف خدمة للاسلام لفهمه وتفسيره وشرحه، وكان هؤلاء الصحابة والتابعون وتابعو التابعين يختلفون في المسائل، ولكن اختلافهم كان في الفروع، وفي فهم الآية والحديث، وكيفية الاستنباط منها. ولم يكن هذا الاختلاف جوهريا، لانه كان لا يتعدى الفروع. اما الاصول فكل اهل القبلة متفقون عليها، يقول ابن القيم (ان الصحابة تنازعوا في كثير من الاحكام، ولكن لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال اي المسائل التي تتعلق بالايمان) وصرح الذهبي في رسالته بان الصحابة وان غلطوا كما غلط غيرهم من الثقات، فما هم بمعصومين، وما كاد يسلم احد من الغلط، لكنه غلط نادر لا يضر ابداً، اذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه العمل. اما التابعون فيكاد يعدم فيهم من يكذب، ولكن لهم غلط واوهام، وجاء في كتاب الفرق بين الفرق لابي منصور البغدادي، ان المسلمين في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين كانوا كلمة واحدة في ابواب العدل والتوحيد، والوعد والوعيد، وفي سائر اصول الدين، وانما كانوا يختلفون في فروع الفقه كميراث الجد مع الاخوة والاخوات، وكمسائل العول والكلالة والرد وتعصيب الاخوات من الاب والام، او من الاب

مع البنت او بنت الابن ، وما شابه ذلك من المسائل الفرعية . اما المسائل الجوهرية الاصلية فان اهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث ، وفقهاء هذين الفريقين وقراءهم ومحدثيهم ، ومتكلمي اهل الحديث منهم ، كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع ، وفي النبوة والخلافة ، وفي احكام العقيدة ، وفي سائر اصول الدين . وانما يختلفون في الحلال والحرام من فروع الاحكام . ثم نتج عن هذا الخلاف ان جاءت طبقة الفقهاء ، فانه لما تم تأثير الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعي التابعين في البلدان التي نزلوها ، اتى بعد التابعين فقهاء الامصار كأبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم ، فاتبع اهل كل مصر مذهب فقيهه في الاكثر ، وكان هؤلاء الفقهاء يخالف بعضهم بعضاً ، كما كان الصحابة والتابعون من قبلهم يخالف بعضهم بعضاً ، فقد خالف عبد الله بن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت مع انه اخذ عنهم . وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة ، وانما اخذوا العلم عنهم . وخالف مالك كثيراً من اشياخه ، وخالف الشافعي مالكا في كثير من المسائل مع انه اخذ عنه ، فقد كان اكبر اساتذته . وهكذا كان العلماء يخالف بعضهم بعضاً ، والتلاميذ يخالفون اشياخهم واساتذهم . وما كانوا يعدون ذلك سوء ادب . او خروجاً عن اشياخهم ، وذلك لان الاسلام امر باستعمال العقل ، ونهى عن التقليد ، واعطى الحرية الفكرية في الاجتهاد ولذلك كان لكل عالم ان يفهم وان يجتهد ، وان لا يتقيد بصحابي او تابع ، ولا برأي شيخ او استاذ وبظهور الفقهاء اصحاب المذاهب من الائمة والمجتهدين تركزت الثقافة الاسلامية تركزاً تاما ولا سيما من الناحية التشريعية وبلغت اوجها اذ بعد ان كانت ممثلة في القران الكريم والحديث الشريف ، نمت حتى شملت فتاوى الصحابة وآراءهم ، ثم نمت بظهور التابعين ، ومعالجتهم لمشاكل الحياة

المتطورة المتجددة . ثم نمت حتى كان عصر الفقهاء والمحدثين واهل الرأي ، واتسعت باتساع رقعة الدولة ، واستوت على سوقها . وصار الفقه يسير باستنباطه ومعرفة احكامه على طريق معين . ووضع علم اصول الفقه ، كما اخذ الفقه نفسه طريقه الخاص ، حين اخذ كل علم من علوم الثقافة الاسلامية طريقا خاصا . ويرى بعض علماء الغرب بعد دراستهم للثقافة الاسلامية مثل الدكتور يوسف شاخت الاستاذ في جامعة كونكسبرج ان عمل الصحابة ولا سيما الفقهاء السبعة المكثرين لا ينحصر في استنباط الاحكام من الكتاب والسنة بل كان عملهم اوسع من هذه الدائرة واشمل ، فانه يرمي الى وضع نظام للفقه يعالج حاجات العصور المختلفة ، والى ادخال المبادىء الاسلامية ، في قانون ويعملون على رقي الحياة باسرها ومنها الحياة التشريعية وكانوا يخضعونها للقواعد الاساسية التي كانوا يستمدونها ويستنتجونها قبل كل شيء من الآيات القرانية ، ثم من الاحاديث الشريفة ، فكان ان اشتمل نظام من الاوامر والنواهي على جميع ابواب الحياة القانونية ، حتى التي لم ينص عليها القران الكريم صراحة ، ويمتاز هذا النظام بانه منبثق عن عقيدة ، وبانه يؤخذ كحرام من الله او حلال منه ، في الوقت الذي يؤخذ تشريعا لمعالجة مشاكل الحياة . وبتدقيق هذا النظام يتضح ما للتقدير الروحي وما لتسيير الروح للاعمال من اهمية ، ومن اولوية على الصفات القانونية المحضة في الشرع الاسلامي ، لان الانسان يسير بهذا التقدير الروحي حين يطبق عليه التشريع والقانون . وليس ذلك خاصا في عصر الصحابة او التابعين او الفقهاء ، ولكنه عام في جميع الثقافة الاسلامية ، ولا سيما الناحية الفقهية . الا ان عصر الصحابة والتابعين كان اساساً صارت فيه المسائل الشرعية والثقافة الاسلامية الى تركزت في عصر الفقهاء واصحاب المذاهب والمجتهدين ، الذي يعتبر ازهى العصور للثقافة الاسلامية ، ولا سيما الناحية التشريعية .

الدور الثاني كان الدور الاول للثقافة الاسلامية يمتاز بقوة ثقافة المسلمين ، وشمول هذه الثقافة ، فلم يكن يقتصر العالم على دراسة نوع معين من الثقافة الاسلامية بل كانوا يدرسونها جميعها ، ففي الوقت الذي يدرسون فيه القرآن والحديث يدرسون الآداب والتاريخ ، وان كانوا يشتغلون اكثر وقتهم بالفقه والتشريع وانه وان كان الخلفاء والحكام يستعينون في اواخر الدور الاول بالفقهاء ، لكن هؤلاء الخلفاء والحكام كانوا على علم بالشريعة الاسلامية والثقافة الاسلامية ، ولذلك كانت قوة الثقافة الاسلامية ظاهرة في جميع انحاء الدولة الاسلامية ، وما ان انتهى الدور الاول واتى الدور الثاني . حتى كانت الامم المفتوحة قد استكملت دخولها في الاسلام ، وصار ابناؤها يجتهدون في الاسلام ويتقنون العربية ، حتى كان منهم اعظم الائمة في الفقه ، كالامام ابي حنيفة النعمان ، واشعر الشعراء كبشار بن برد ، وابلغ الكتاب كابن المقفع ، وكان قد ادرك المسلمون الفاتحون بوجه عام ما في العلوم الاجنبية من حقائق . وكانت الحركة العلمية ولا سيما حركة الترجمة قد ازدهرت ونشطت ، فاقبل المسلمون على هذه العلوم يدرسونها ويفهمونها . وكان كثير من اصحاب هذه العلوم لم يسلم ، ومنهم من اسلم منافقا فصار يثير الشبه والشكوك . فنتج عن ذلك وعن اسلام الاعاجم والبربر وتعلمهم اللغة العربية ، ان اخصبت الثقافة الاسلامية بما وجدت من معاني في الثقافات الاخرى ، وبما صادفت من مناقشات ومجادلات مع اصحاب الثقافات الاجنبية والاديان الاخرى ، وبذلك تفرعت الثقافة الاسلامية ، ولم تعد مقتصرة على الكتاب والسنة وفهمهما وشرحهما واستنباط الاحكام منهما ، بل شملت معارف اخرى صار لا بد من تعلمها لخدمة الاسلام ونشره ، وبهذا غزرت الثقافة الاسلامية بوجه عام ، الا ان اختلاف الائمة والقضاة والحكام ادى الى الاختلاف في الاحكام ، كل يحكم برأيه او أبري

فقيه يرى رأيه ، فحدث من ذلك وجود قضيه مختلفة في الدولة ، وكان من جراء هذا ان وجد في بعض العلماء ميل ظاهر نحو توحيد الاحكام التي يقضي بها ، واصدار امر من الدولة بالتزامها مع اعطاء الحرية الكاملة للاجتهاد والاستنباط . ولذلك كان بعض العارفين يرى وضع كتاب جامع يرجع اليه رجال القضاء وغيرهم ، تخفيفا عن القضاة وتيسيراً للمتقاضين . وقد كتب ابن المقفع الى الخليفة المنصور كتابا في هذا الشأن جاء فيه (ومما ينظر امير المؤمنين فيه من امر هذين المصرين : البصرة والكوفة ، وغيرهما من الامصار والنواحي ، اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها امراً عظيما في الدماء والفروج والاموال ، فيستحل الدم والفرج بالبصرة ، ويحرمان بالكوفة ، ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة ، فيستحل في ناحيه منها ويحرم في ناحية اخرى ، غير انه على كثرة الوانه نافذ في المسلمين في دمائهم وحرمهم ، يقضي به قضاة جائز امرهم وحكمهم ... فلو رأى امير المؤمنين ان يامر بهذه الاقضية والسير المختلفة ، فترفع اليه في كتاب ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة او قياس ، ثم نظر امير المؤمنين في ذلك وامضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه ويعزم عليه ، وينهى عن القضاء بخلافه وكتب بذلك كتابا جامعا ، لرجونا ان يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطأ ، حكما واحداً صواباً ، ورجونا ان يكون اجتماع السير قربة لاجماع الامر برأي امير المؤمنين وعلى لسانه ، ثم يكون ذلك من امام آخر آخر الدهر ان شاء الله) الا ان هذا الكتاب لم يعمل به المنصور وان تأثر به ، وحمله تأثره على حمل الفقهاء والمحدثين على تدوين ما وصل اليهم ، حتى اصبح للناس مراجع يرجعون اليها . وسبب عدم عمل المنصور برأي ابن المقفع في وضع دستور للدولة يجمع الناس على احكام معينة ، ما حصل بينه

وبين مالك ، فقد روى ابن سعد في الطبقات عن مالك بن أنس قال (لما حج المنصور قال لي : قد عزمت على ان آمر بكتبك هذه التي وضعتها فتنسخ ، ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم ان يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره ، فقلت : يا امير المؤمنين ، لا تفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به ؛ فدع الناس وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم) ولم توحد المذاهب والآراء ، وبقيت للناس حرية الاجتهاد وحرية الرأي في اخذ الحكم الذي يريدون ، والحرية المطلقة للقضاة ان يحكموا بما يرون . وكان من جراء هذه الحرية ان كان لكل امام من ائمة الفقه تلاميذ صاروا يتبنون آراءه ، ويشرحون مذهبه . وتغيرت النظرة لهذا الخلاف فصار علماً خاصاً - سموه علم الخلاف يتدارسونه كما يتدارسون اصول الفقه ، وقالوا ان اختلاف الائمة رحمة . وكان تلاميذ كل امام يتوسعون في الفروع . وكان هذا التوسع هو الذي أبقى مذاهب بعض المجتهدين وسبب انقراض بعضها . فالاوزاعي والحسن البصري والثوري وابن جرير من اكبر الائمة واوسعهم اجتهاداً ، ولكن لم يتوسعوا في الفروع ، واقتصروا على الاصول ، ولم يكن لهم تلاميذ يشرحون مذاهبهم ، ولذلك لم يعمل بها ولم تنتشر ، بخلاف المذاهب الاخرى ؛ فان ابا حنيفة رحمه الله كان له تلاميذ كثيرون اشهرهم ابو يوسف وزفر ومحمد بن الحسن الشيباني ، واليهم يرجع الفضل في تدوين مذهب ابي حنيفة ، وكذلك الامام مالك ، فانه كان في المدينة وكان له تلاميذ كثيرون ، وكان مشهوراً شهرة واسعة ، وخاصة في تدقيق الاحاديث ورجالها ، ولا سيما في كتابه الموطأ . وقد كان تلاميذه من بعده يدونون

آراءه وفتاوية ، ويتوسعون في الفروع ، ويطولون في المسائل . واليهم مع شهرته يرجع الفضل في انتشار مذهبه . وأما الشافعي فانه اقام صرح شهرته بيده في علم الفقه ، يدل عليه ما يبدو من النظام الباهر في كتابه الكبير المسمى (الام) الذي يعتبر - مع كتابه (الرسالة) في اصول الفقه ؛ ذلك العلم الذي يعتبر الشافعي مؤسسه - يعتبر اول بعث لليقظة الفكرية في الفقه ، وفتح الباب على مصراعيه للاجتهاد ، بعد ان مهد طرقه ووطأ اكنافه وقعد قواعده مع عدم التقيد باستنباط من سبق من الفقهاء . وجاء تلاميذه من مثل الربيع والمزني وساروا على هذه الطريق ، وبثوا آراءه وشرحوا مذهبه فانتشر ايما انتشار . وكذلك كان الامام احمد بن حنبل فانه - مع غلبة الحديث على مذهبه - كان له تلاميذ شرحوا مذهبه وبينوا آراءه . ثم اندفع العلماء من كل جهة يدرسون الثقافة الاسلامية في جميع فروعها ، كما اندفع الفقهاء خاصة في دراسة الفقه وشرحه ، ولا سيما علم الاصول الذي هو الاساس الحقيقي للفقه وظل امر الثقافة الاسلامية يتسع ، ولا سيما الناحية الفقهية ، حتى نضج الفقه في القرن الرابع الهجري نضوجاً تاماً ، وظل على نضجه حتى نهاية القرن السادس الهجري ، حيث يبدأ الدور الثالث من الثقافة الاسلامية ويعتبر الدور الثاني من ارقى ادوار الثقافة الاسلامية بوجه عام . وانه وان كانت قد وقفت فيه روح الاجتهاد بالفقه ، لكن روح البحث والتنقيب والشرح كانت رائعة مشرقة ، كما كانت احوال الثقافة الاسلامية لباقي الفروع (من تفسير وحديث وفلسفة وتوحيد) ممتازة . ويرجع السبب في ذلك الى الخصب والنماء اللذين كانا للثقافة الاسلامية ؛ بسبب اقبال العلماء على دراسة العلوم والمعارف الاجنبية ، دراسة وعي وابتكار ، حتى هضموها واستخدموها ؛ وانتفعوا بها في انماء الثقافة الاسلامية ، والفوا وكتبوا

ودونوا هذه الثقافة كثقافة اسلامية رائعة. وبذلك كانت صلة الثقافة الاسلامية بالمعارف الاجنبية صلة مباركة ، لم تؤد الى محو الثقافة الاسلامية ولا الى احياء الثقافة الاجنبية ، بل ادت الى سعة افق المسلمين واتساع مداركهم وتوقد اذهانهم ، وادت الى خصب الثقافة الاسلامية وانمائها ، حتى استطاع المسلمون ان ينبغوا في كافة العلوم والرياضيات ، وان يتقدموا في اخصاب الثقافة الاسلامية والعمل على نشر الاسلام ونشر معارفه وثقافته .

الدور الثالث

في اوائل القرن السابع الهجري كان حكم الدولة الاسلاميه في يد من لم يقدروا اللغة العربية حق قدرها ، ولم يعرفوا مكانها من الاسلام ، وسرها فيه كعنصر اساسي لفهمه ، فكان ان اهملوها ، وكانت الثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية مكتوبة باللغة العربية . وكان القرآن نفسه - الذى هو المصدر الاول للاسلام - عربياً . وكان بعض الائمة مثل الشافعى قد منعوا ترجمته ولم يجيزوا الصلاة بقراءة الفاتحة بغير العربية . وكان الحديث نفسه عربيا . ولذلك كانت اللغة العربيه جزءاً جوهريا من الثقافة الاسلامية . ولذلك فاهمال اللغة العربية من قبل الخلفاء والحكام قد ادى الى ان تسير الدولة بدون حضارة ، لان الحضارة - وهي مجموع المفاهيم من الحياة - ولا يتيسر ادراك هذه المفاهيم ادراكا دقيقاً من اصولها الكتاب والسنة الا بمعرفة اللغة العربية . وقد اتي اهم هذه المفاهيم من الاجتهاد . ولا يمكن الاجتهاد في الاسلام بدون لغته . فاهمال اللغة ادى الى انعدام روح الاجتهاد بين العلماء ، لان الاجتهاد يحتاج الى فهم القران والحديث ، ولا سبيل الى فهمهما الا باللغة العربية ، فباهمال اللغة العربية فقد الاجتهاد في الامة ، ومتى فقد الاجتهاد في اي امة من الامم فقد فقدت فيها روح النهضة والتقدم ، واخذت

ترجع الفهقرى بسبب الجمود والتقليد . وكذلك كان شأن الامة الاسلامية منذ اوائل القرن السابع الهجري ، فانها بسبب اهمال اللغة العربية هبطت الامة ، وهبط مستوى العلماء ، اذ صاروا يدرسون العلوم الاسلامية دراسة سطحية موجزة مضطربة ؛ يقتصرون في دراستها على بعض الفروع ، ولا يتجاوز الفقيه حد النقل عن امامه الذي اخذ عنه وحده ؛ دون اتقان للادب والعربية والتاريخ والحديث والاصول والفلسفة . وصار الفقه مجرد حفظ الفقيه احكاما شرعية عن امامه وتقليده بها . وصار يعتبر فقيها من عرف بعض احكام تقليدية ، مع انه في العصر الفائت لم يكن يحرز الرجل لقب فقيه عند الناس الا بالرحلة والتلقي من علماء الامصار سوى علماء بلاده . وكان العلماء يرحلون في تلقي الحديث والفقه ، وكانت مكة تجمعهم في الموسم فيستفيد كل من الاخر ماعنده من علم وحديث وفكر . ولكنهم في هذا العصر جمدوا وضعفت ملكاتهم ، وصاروا يقنعون من العلوم بالقشور ؛ واصبحت العلوم الاسلامية ظاهرة الضعف ليس فيها الا شرح كتاب المتقدمين ؛ او ذيل على شرح لاحد المشهورين ، او جمع متفرق ، او اختصار مطول ، وقلما تجد فيها اثرا للبحث او للعقل ، واصبحوا غير قادرين على استخراج الاحكام بانفسهم ؛ فقالوا باغلاق باب الاجتهاد ، ومنعوا بذل الجهد في استنباط الحكم الشرعي ، مما اعتبره الشارع دليلا عليه ، وهو الكتاب والسنة ، وقالوا بالاخذ بالتقليد ، وامروا بحصر ذلك بتلقي الاحكام من امام معين ؛ واعتبار اقواله نصوصاً يلزم المقلد اتباعها كانها من الشارع . وبذلك حجروا على العقل ، وجعلوا الشريعة قاصرة لاتقوم بمصالح العباد ، محتاجة الى غيرها ، وسدوا على انفسهم طرقاً صحيحة من طرق معرفة الحق ، وتغالوا في هذا التقليد حتى قرروا ان المتأخر ليس له

ان يقول بغير ما يقول به المتقدم ؛ وجعلوا ذلك عقيدة ونشوروه بين الناس وكان الخلفاء والحكام ممن يجهلون الثقافة الاسلامية والشريعة الاسلامية ، فكانوا يستعينون بالفقهاء ويستخدمونهم في امور الاسلام ؛ وكان هؤلاء الفقهاء من المقلدين ، وممن ضعف الايمان في نفوسهم ، فسخروا لمصلحة الطغاة من الحكام عن جهل من جهة ، وعن ضعف من جهة اخرى . ولذلك بثوا بين الناس الآراء المغلوطة عن الاسلام والفقه ، فقد اقنعوا الجهلة من المسلمين بانهم لانظر لهم في الشؤون العامة ، وان كل ماهو من امر الجماعة والدولة هو مما فرض النظر فيه على الحكام دون غيرهم ؛ ومن تعرض لشيء من ذلك فقد تدخل فيما لايعنيه ، وان مايظهر من فساد الاعمال واختلال الاحوال هو تحقيق لما ورد في الاخبار من احوال اخر الزمان ؛ وانه لاحيلة في اصلاح ، وان الاسلم هو تفويض الامر الى الله ، وما على المسلم الا ان يلزم خاصة نفسه ؛ وان يقتصر على ذلك . ويصاروا يؤولون ظواهر الالفاظ في بعض الاحاديث ، ويروون احاديث مكذوبة يستعينون بها على بث هذه الاباطيل والاوهام . وبذلك تأخر المسلمون بضعف الثقافة الاسلامية . وسبب ذلك انحطاط المسلمين ، يقول الاستاذ محمد المهدي في حالة المسلمين الاجتماعية (هذا الجمود في احكام الشريعة جر الى عسر حمل الناس على اهمالها : كانت الشريعة الاسلامية ايام كان الاسلام اسلاماً سمحة تسع العالم بأسره وهي اليوم تضيق عن اهلها حتى يضطروا لان يتناولوا غيرها وان يلتمسوا حماية حقوقهم . فيما لايرتقى اليها واصبح الاتقياء من حملتها يتخاصمون الى سواها)

وكان في اواخر الدولة التركية من الجهل بالاسلام ومن جهة الفقهاء ما كان السبب الاكبر في تأخر المسلمين ، فقد كان هنالك فقهاء جامدون مستعدون للفتوى

بتحريم كل جديد، وتكفير كل حر التفكير ، ومن طريف ماوقع في ذلك من المضحكات المبكيات أن ظهرت قهوة البن ، فأفتى بعض الفقهاء بتحريمها ، وظهر الدخان فأتوا بتحريمه ، ولبس الناس الطربوش فافتى الفقهاء بتحريم لبسه ، وظهرت المطابع وعزمت الدولة على طبع القرآن الكريم فحرم الفقهاء طبعه ، وجرت غير ذلك امور حتى آل الامر في الثقافة الاسلامية الى حد ان جهلت جهلا تاماً عند المسلمين ، ولم يقتصر هذا الجهل على الفقه ، بـــل تعداه الى سائر العلوم الاسلامية من تفسير وحديث ولغة وادب ونحو وغير ذلك .

★ ★

الطاقة الاسلامية

حين حصل في اوائل القرن السابع الهجري تفكك بين الطاقة العربية والطاقة الاسلامية أدى هذا التفكك الى اندفاع الطاقة الاسلامية وحدها فجر ذلك الى انفصال الطاقة العربية عنها انفصالا جزئياً ، بدأ في الحكم ثم أخذ يدب الى جميع اجزائها في مختلف نظم الحياة ، الا ان هذا الانفصال لم يؤثر على الدولة ، لانه لم يكن انفصالا كلياً ، ولان الاسلام في طبيعته قوة الاندفاع ، وفيه القدرة الخارقة على الانتشار ، ولكن بعد ان كان العالم الاسلامى كلا لايتجزأ يسير بالعروبة كلغة وبالاسلام كمبدأ ، اصبح بعد انفصال العروبة عن الاسلام في الحكم عالماً اسلامياً مجزءاً ، واصبح العالم العربي جزءاً منه ، واستمر الحال كذلك ، الا ان الدولة ثبتت لجميع الزعازع ، وثبتت الامة الاسلامية بما فيها الامة العربية امة ودولة لكافة الاحداث الخارجية ، وظلت الدولة الاسلامية قوية الشكيمة مرهوبة الجانب تمثل في العالم المعمور الشطر الاكبر والاقوى فيه ، الى ان تسلمت الدولة العثمانية حكم اكثر العالم الاسلامي في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي . وفي القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادى - ضمت اليها العالم العربي ، فعنيت بقوة السلطان وتنظيم الجيش وأبهة الحكم ، ولم تعن العناية الكافية واللازمة بأمر الطاقة الاسلامية كنظام للحياة وللدولة ، من ناحية كونها مبدأ ومن ناحية كونها حضارة . وكان

عناية الدولة بالقوة دون العلم

لاهمال امر العروبة كلغة الاثر الاكبر في ضعف عناية الدولة بهذه الناحية وبسبب ذلك كانت الدولة قوية قوة ظاهرية ، ولكنها من ناحية نظام الحياة ونظام الدولة ، ومن ناحية الحضارة الاسلامية كانت ضعيفة متأخرة ، وهذا التأخر لم تلاحظه الدولة الاسلامية حينئذ ، لانها كانت في عنفوان مجدها وفي أوج عظمتها وفي منتهى قوتها العسكرية ، ولانها كانت تقيس انظمتها وحضارتها وتشريعها ونظام حياتها بانظمة اوروبا وحضارتها ، فتراها خيراً منها واصلح للحياة وللنهضة ، لان اوروبا في ذلك الوقت كانت تتخبط في دياجير الجهالة وظلام الفوضى والاضطراب وتتعثر في محاولاتها للنهضة ، وتفشل في كل محاولة تقوم بها . ولذلك كان قياس الدولة العثمانية حالها بحال اوروبا يريها انها في وضع حسن ، وعلى نظام صالح ، وذات حضارة فائقة . وقد اعماها عما عليه حالتها الداخلية من ضعف الحضارة وضعف العلوم وجمود النظام انتصارها على اوروبا وافتتاحها اياها ، واستيلاؤها على البلقان والجزء الجنوبي الشرقي من اوروبا ، بما اثار الرعب في جميع دول اوروبا من الدولة الاسلامية

ظهور المسألة الشرقية ومعناها

وظهرت المسألة الشرقية للوجود . وكان معناها حينئذ انقاء الخطر من زحف العثمانيين كدولة اسلامية تحت قيادة محمد الفاتح في القرن الخامس عشر ومن خلفه من السلاطين ، ذلك الزحف الذي استمر الى أواخر القرن التاسع عشر على يد سليمان القانوني ، وتركز تركزاً قويا حتى أواسط القرن الثامن عشر . وفي هذه المدة كانت قوة الاستمرار في النظام الاسلامي - بالرغم من اساءة تطبيقه - عاملا فعالا في اعطاء الدولة هذه القوة الخارقة . وساعدها على ذلك فساد الحضارة وفقدان النظام عند باقي الامم والدول . وكان من الممكن ان تعيد الدولة النظر في تطبيق النظام الاسلامي ، وان تحاول ان

تفهم الاسلام على وجهه الصحيح كمبدأ ونظام ، وان تعيـــد النظر في امر العروبة كلغة ، وان تحلها محلها اللازم لها في الاسلام ، فتعيد مزج طاقتها بالطاقة الاسلامية ، حتى يحصل تركيز هذه الدولة الاسلامية الكبرى ، وحتى تنطلق هذه الطاقة القوية في الكرة الارضية انطلاقـة اخرى ، تفتح بهـا باقي اجزاء العالم حاملة لهم رسالة الاسلام ، وتركز بذلك دولتها وتطبع العالم بحضارتها ، وتنقذه مما هو فيه من فساد وشرور ، الا ان شيئاً من ذلك لم يحـدث ، ولم يكن تشجيع اللغة العربية سوى اعطاء العرب بعض مناصب التدريس وبعض المناصب العلمية ، مما لم يكن له اي أثر في تقوية العربية كلغة ، لانـه لم يعمل لاحياء هذه اللغة ولجعلها وحدها لغة الدولة ولغة النظام كما هـو الواجب في كل دولة اسلامية . ولذلك لم تؤثر هذه الحركة الضعيفـة المغلوطة في تشجيـع العروبة ، وظل الحال سائراً في سبيله المعوج ، فمـــا لبث الامر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حتى تحول ، وبدأ الضعف الداخـلي يبرز ، لان جهاز الدولة كان قائماً على غـير حضارة حقيقيـة ، وعلى بقايا نظام اسلامي ، وكان الحـكم في جملته في جو النظام الاسلامي اكثر منه في نظام الاسلام ، من جراء اساءة تطبيق الاسلام ومن جراء فصل العروبة عن الاسلام ، اي فصل اللغة العربية في الحياة عن الاسلام . ولما ان جاء القرن التاسع عشر حتى كان ميزان التاريخ بين الدولة الاسلامية والدول غير الاسلاميـــة في تأرجح ، فأخذت كفة العالم الاسلامي تخف في الوزن وكفة العـالم الاوربي ترجح عليها شيئاً فشيئاً .

ضعف جهاز الدولة

اثر الانقلاب الفكري والصناعي في اوروبا

فقد بدأت اليقظة في اوروبا ؛ وبدأ التحول في العثمانيين . وذلك ان القرن التاسع عشر شاهد انقلابا خطيراً في مباديء المدنية الاوروبية على اثر المجهود العظيم الذي بذله الكتاب والمفكرون ، والتغيـــير الشامل الذي طرأ على

الفكر الاوروبي لاحياء الشعوب ، فنشأت الحركات المتعددة في احداث آراء جديدة في وجهة النظر في الحياة ؛ وكان من اهم ماوقع تعديل الانظمة السياسية والتشريعية ، وكافة انظمة الحياة : فقد زال شبح الملكية المستبدة تدريجياً في اوروبا ، وحطت محلها انظمة حكومية جديدة قائمة على الحكم النيابي وسيادة الامة ، فكان لهذا اثر كبير في توجيه النهضة الاوروبية ، كما كان للانقلاب الصناعي الذي ظهر في هذا القرن في اوروبا الاثر الفعال ، كما ظهرت الاختراعات المتعددة ؛ فكان لذلك في مجموعه الاثر الفعال في ترجيح كفة العالم الاوروبي رجحانا عظيما ؛ فتغير مفهوم المسألة الشرقية ، فلم تعد مسألة اتقاء الاخطار الاسلامية على اوروبا ، وانما صارت مسألة الابقاء على الاملاك العثمانية او توزيعها حيث اختلفت عليها الدول تبعا لاختلافها في المصلحة وكان هذا الانقلاب في مفهوم المسألة الشرقية ، وما طرأ على أحوال اوروبا من الاخذ بوسائل النهضة ، وما طرأ على العثمانيين من الضعف والتفكك ، كل ذلك أدى الى هذا الانقلاب السياسي بين الشرق والغرب ؛ وتغيير كفتي الدهر تغييراً كلياً ، حيث خفت كفة الشرق ورجحت كفة الغرب .

وكان سبب هذا الانقلاب السياسي في حالة اوروبا محاولة المفكرين فيها للوصول الى نظام للحياة ، وقد كان اتخاذهم وجهة نظر في الحياة واعتناقهم النظام على اساسها هو الذى قلب مفاهيم الاشياء في انفسهم ، وقلب مراتب القيم عندهم ، مما ادى الى الانقلاب العام الاسلامي او في الدولة العثمانية التي كانت تتزعمه ، فانها بدل ان تنظر في نظامها النظرة الصحيحة ، وتفكر في مبدئها التفكير العميق ، وتعالج مشاكلها حسب احكامه ، بدل ان تفعل ذلك ، اصابتها حيرة وقلق مما حصل في اوروبا ، ووقفت جامدة من جراء

هذه الحيرة ، ونتج عن ذلك تخلف تركيا في الرقي المـادي ، فتخلفت عن باقي الامم والدول .

سبب عدم تأثر المسلمين بالانقلاب الاوروبي

والسر في ذلك هو ان الدولة التركية دولة مسلمة ، والشعب الذي تحكمه شعب مسلم ، والاسلام تقضي فلسفته الكبرى بمزج المـادة بالروح . فهو يأمر بالرقي المادي واخذه ، ولكن بجعله مسيراً بالروح ، التي هي ادراك الانسان لصلته بالله ، وموجهـا بالمثل الاعلى الذي هو رضوان الله ، ومنتجـا القيمة المقصودة من العمل ومن الرقي . فكان على الدولة التركية ان تدرك ذلك وان تدرك ان الحضارة الاسلامية - التي هي مجموع المفاهيم عن الحيـاة من وجهة نظر الاسلام حضارة روحية ، حتى توجه النهضة على هـذا الاساس ، ولكنها لم تفعل ؛ ولم تدرك ان الفلسفة الاسلامية والحضارة الاسلاميـة هي التي تدفع المسلمين للرقي المادي ، على اعتبار ان هذا الرقي المادي يتقرب فيه الانسان الى الله لنيل رضاه حينما يوجهه المثل الاعلى ، وانه ينتج عنهـا وعن مفاهيم الاسلام مفاهيم خاصة عن الحياة هي الحضارة الاسلامية ، وهي التي اظهرت المدنية الاسلامية في العالم ، فكان لابد من ادراك ذلك لرقي الحياة ولكن هذه الفلسفة كان قد ضعف ادراكها ، والحضارة قد وقفت عجلتها ؛ وسارت الدولة بدونها . وذلك بسبب اهمال العروبة كلغة . فكان الاساس الذي تقوم عليه انظمة الدولة وحياتها غير واضح لديها ؛ والحضارة التي هي حياة الامة وسبب رقيها غير مقترنة باعمـال الدولة ، فسبب ذلك وقوف الاتراك مبهوتين امام ماشاهدوه في اوروبا ، فلم يقطعوا بأخذه ، ولم يميزوا بين مايجوز ان يأخذوه من علوم وصناعات واختراعات ، وبين مالايجوز ان يأخذوه من فلسفة تعين وجهة النظر في الحياة ، وحضارة هي مجموع المفاهيم

عن الحياة ؛ وبذلك جمدوا ولم يتحركوا ، فكان هذا الجمود سببا في وقوف عربتهم ، ورجوعها الى الوراء ، في حين كانت عجلة التاريخ تمشي وتتقدم في خصومهم ، وما ذلك كله الا بسبب عدم فهم الفلسفة الاسلامية الكبرى فهماً دقيقاً ، وتعمية حقيقة مبدأ الاسلام عنهم بسبب اهمال اللغة العربية .

وهذه التعمية هي التي جعلت الامة والدولة تعيش كيفما اتفق دون ان تعنى بما عندها من نظام ، في حين ان خصومها تمسكوا بنظام وساروا عليه وبذلك صارت اوروبا صاحبة مبدأ مهما كانت فلسفته ، وصارت الامة الاسلامية - صاحبة المبدأ الحقيقي - تعيش في خيال هذا المبدأ الذي يطل عليها من وراء القرون . ومع ان الرسول عليه السلام يقول : (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتي) ومع ان الدولة اسلامية والامة اسلامية ، ومع ان الثروة الفكرية التي كانت منبثة في العلوم الاسلامية والكتب الاسلامية ، والتي كانت حية في الحضارة الاسلامية ، كانت في متناول الايدي ، الا ان الدولة لم تفهم معنى هذا الحديث ومغزاه لترجع الى الاسلام في اصوله كمبدأ ونظام ، ولم تنتفع بهذه الثروة الفذة التي لامثيل لها عند الامم .

انفصال الطاقة العربية عن الطاقة الاسلامية

نعم لم تنتفع بذلك لانه لما انفصلت الطاقة العربية عن الطاقة الاسلامية ضعفت الحضارة ، وتخلفت العلوم الاسلامية ، وبقيت الكتب والثروات العلمية محفوظة في خزائنها ، ولم يعد هنالك علماء مفكرون الا قليلون ، وكان علماء العربية والشعراء والادباء اقل ، وقلت الرغبة في البحث والتنقيب عن الحقائق العلمية . وصارت المعارف لاتطلب للعمل بها في الدولة في معترك الحياة ، لان الدولة لاتشجعها كثقافة اسلامية اساسها العروبة كلغة ، بل صار العلماء يطلبون العلم والثقافة اما للترف العقلي ويطلقون عليه انه طلب العلم للعلم - او للارتزاق

وقل منهم من يطلب العلم لنفع الامة والدولة به . وبسبب هذه الحال لم تعد هناك حركة علمية او تشريعية او مبدئية ولذلك كان طبيعيا ان يعمى على الناس سر مزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية كعنصر اساسي من عناصره حتى يندفع المسلمون برسالتهم للعالم ، فيوجدوا له الدولة المثالية الكبرى ؛ والحضارة الحقيقية للانسانية كلها . وكان من عدم فهم هذا السر ؛ ومن عدم فهم العلة التي من اجلها منع الشافعي ترجمة القرآن وقال بعدم جواز الصلاة بغير العربية ؛ كان من جراء ذلك اضطراب فهم الاسلام اضطراباً ادى الى فصل الروح عن المادة في ذهن المسلم . فعميت عليه فلسفه الاسلام مما وقف اثر هذه الفلسفة في رقي المسلمين المادي وحرم الامة من الانتفاع بها في الحياة ونتج عن ذلك ان صار المسلمون يفهمون الاسلام فهماً « روحياً » اكثر منه فهماً تشريعياً وسياسياً ؛ اذ عميت عليهم فكرته الاصلية ، وطريقته التي تنفذ بها هذه الفكرة . فعمي عليهم فهم كتاب الله وسنة رسوله . ومع ان الواجب ان يروا انه النظام العالمي لكافة شؤون الحياة ، صاروا يفهمون انه مجرد دين يساعد على التقدم .

ويقارنون بينه وبين باقي الاديان بما له من مميزات عليها كأديان روحية ، بدل ان ينظروا اليه كمبدأ ونظام لجميع شؤون الحياة . ولذلك لم يكن غريباً ان تقف الامة الاسلامية ومنها العرب تحت قيادة الدولة العثمانية موقف الجمود والحيرة والقلق من الحركة الانقلابية التي حصلت في اوروبا وان تظل متأخرة تأخراً ظاهراً دون ان تتأثر بالرقي الاقتصادي الذي شمل اوروبا ، ولا بتعدد الاختراعات التي كانت فيها ، ولا بالحركة الصناعية التي سادتها ، اللهم الا تأثراً جزئياً بشكل مضطرب مشوش لم تكن له فائدة ، ولم يمكنها من التقدم ، بل لم يمكنها من وقف عجلة التأخر التي كانت تهوي بها الى الانخفاض والضعف والانحطاط . وسبب ذلك محاولتهم لمحاكاة المدنية الغربية محاولة

تقليدية ، واهمالهم الاختراعات والعلوم والصناعات ، وسوء فهمهم للاسلام ، واعتبارهم اياه ديناً يمتاز عن باقي الاديان في كونه يساعد على الرقي والتقدم، ولان كثيرين منهم كانوا يفهمونه متعارضـــاً مع بعض العلوم التي هي من اسس الرقي المادي ولو قدر للعالم الاسلامي الوعي الصحيح في ذلك الوقت، وفهم الاسلام كمبدأ ونظام لاستطاعت تركيا ان تنهض من كبوتها، واستطاع العالم الاسلامي على ضوء مبدئه ان يجعل من الرقي الاوروبي المادي وسيلة لرقيه ، بان ينتفع بـكافة العلوم الطبيعية والاختراعات والصناعات، وان يعيد للاسلام دولته ، وللمسلمين عزهم ، وللحضارة الاسلامية مـكانتها الممتازة بين كافة الحضارات . ولكن كان الامر على عكس ذلك ، فقد عـاشت الدولة والامة دون رســـالة او مبدأ ، سواء في الحكم او السيـاسة او الاجتماع او الاقتصـاد .

فـكان من جراء هذا الضعف ان اخذت اجزاء الدولة تقتطع جزءاً جزءاً، وهي عاجزة مستسلمة ، واخذ الغزو التبشيري باسم العلم يتغلغل في كيانها الداخلي، يفرق صفوف شعبها ، ويشعل نار الفتنة في داخل بلادها ونجحت الحركات المتعددة التي تهدم في جسم الدولة ، وظهرت فكرة (القومية العربية) وما ان جاء عام ١٩١٤م حتى كانت الدولة على شفا جرف هار ، فدخلت الحرب وخرجت منها مهزومة . وبذلك ذهبت دولة الاسلام ، كما ذهبت بذهابها دولة العرب والمسلمين ، وصار الحكم في البلاد العربية والاسلامية غير اسلامي وغير عربي ، بل صار المسلمون ومنهم العرب تحت راية الكفر والاستعمار . وبذلك اختل امرهم وساءت حالهم ، وصاروا يعيشون على غير نظام ، ويعملون في ظلام ، ويحاولون تقليد الامم لينهضوا من كبوتهم ، وليتحرروا من عبوديتهم ، ولكنهم اخفقوا في جميـع محاولاتهم لبعدهم عن الاسلام ، ولتأصل التقليد في نفوسهم . وهيهات ان ينهض المقلدون

الغزو التبشيري

اخذت اوروبا تغزو العالم الاسلامي غزواً تبشيرياً باسم العلم ، ورصدت لذلك الميزانيات الضخمة . او غزواً استعمارياً عن طريق التبشير باسم العلم والانسانية . وذلك لتمكين دوائر الاستخبارات السياسية، ودوائر الاستعمار الثقافي من التمركز في البلاد ، حتى كانت طليعة الاستعمار الغربي ، وبهذا فسح المجال لهذا الاستعمار ، وفتح باب الشرق على مصراعيه ؛ وانتشرت الجمعيات التبشيريه في الشرق العربي. وكان معظمها جمعيات انكليزية وفرنسية وامريكية . فتغلغل النفوذ الفرنسي والبريطاني عن طريقها ، واصبحت هذه الجمعيات مع الزمن هي الموجهة للقومية العربية . واصبحت هي المسيطرة على توجيه المتعلمين من العرب ، او توجيه القومية العربية لغرضين رئيسيين : الاول فصل العرب عن الدولة العثمانية المسلمة ، للاجهاز على دولة الاسلام ، واطلقوا عليها اسم (تركيا) لأثارة النعرة الجنسية ، والثاني ابعاد المسلمين عن الرابطة الحقيقية التي لم يكونوا يعرفون سواها وهي رابطة الاسلام . وقد زال الغرض الاول وبقي الثاني قائماً . ولذلك سيظل التوجيه الى القومية هو الاسفين الذي يفرق وحدة المسلمين ، ويعميهم عن مبدئهم . وقد مرت هذه الجمعيات بأدوار عديدة ، وكان اثرها بليغاً في المجتمع العربي ، ومن نتائجه مانعانيه اليوم من ضعف وانحطاط ، لانها كانت اللبنة الاولى التي وضعت في السد الذي اقامه الاستعمار بيننا وبين النهوض ، وحال به بيننا وبين مبدئنا

الاصلي وهو الاسلام . والذي حمل الاوروبيين على انشاء الجمعيات التبشيرية في الشرق ، ماعانوه في الحروب الصليبية من صلابة المسلمين وصبرهم على الجهاد وذلك ان الغربيين حين لاقوا المسلمين في ساحة النزال كانوا يعتمدون على شيئين حسب اعتقادهم ، وكانوا يعلقون اهمية كبرى على هذين الشيئين للقضاء على الاسلام والمسلمين القضاء التام .

اعتماد الغربيين على النصارى في الحروب الصليبية

اما اولهما فهو اعتقادهم على النصارى الذين كانوا يسكنون الشرق الاسلامي اذ كان في الشرق العربي نصارى كثيرون ، وخاصة في بلاد الشام . وكان هؤلاء النصارى ممن يتمسكون بدينهم ، فكانوا يعتبرونهم اخواناً في الدين فرأوا ان هذه الطائفة من النصارى ستكيد للمسلمين ، وستكون عيناً لهم عليهم ، بحجة انهم أثاروا حربهم هذه حرباً دينية .

وأما الامر الثاني فقد كانوا يعتمدون على كثرة عددهم ، وعظم قوتهم ، واتحاد كلمتهم ، على حين كان المسلمون متقاطعين متدابرين ، فدبدأ الانحلال يدب في كيانهم ، فظنوا انهم اذا هزموهم اول هزيمة اخضعوهم الى الابد ، وسهل القضاء عليهم وعلى دينهم . ولكن خاب فألهم ولم يصدق حدسهم . وكم كانت دهشتهم عظيمة حين رأوا اثناء الحروب ان النصارى العرب وقفوا بجانب المسلمين ؛ ولم تؤثر فيهم الدعايات ، وكانوا يحاربون مع المسلمين ، لانهم كانوا يعيشون في المجتمع الاسلامي ، ويطبق عليهم النظام الاسلامي ، ولهم مالمسلمين وعليهم ماعليهم ، وكانت النصرانية توضع المسلم لبنها ، ويتزوج المسلم النصرانية ويصاهر اهلها ، ويخوضون معترك الحياة معا لان الاسلام ضمن لهم جميع حقوقهم . وسار على العمل بذلك الخلفاء والحكام ، وكان عليه العمل في دولة الاسلام ، وقد نص القرافي وابن حزم (على ان من حق حماية اهل ذمتنا اذا تعرض الحربيون لبلادنا ، وقصدوهم في جوارنا ، ان

نموت في الدفاع عنهم ، وكل تفريط في ذلك يكون اهمالا لحقوق الذمة) ويقول القرافي (ان من واجب المسلم للذميين الرفق بضعفائهم ، وسد خلة فقرائهم ، واطعام جائعهم ، والباس عاريهم ، ومخاطبتهم بلين القول ، واحتمال اذى الجار منهم مع القدرة على الدفع ، رفقا بهم لاخوفا ولا تعظيما ، واخلاص النصح لهم في جميع امورهم ، ودفع من تعرض لأيذائهم ، وصون اموالهم وعيالهم واعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم ، وان يفعل معهم كل مايحسن بكريم الاخلاق ان يفعله) . ويروي انه لما تغلب المسلمون على التتار في الشام خاطب ابن تيمية قطلوشاه في اطلاق الاسرى ، فسمح له بالمسلمين ، وأبى ان يسمح له بأهل الذمة ، فقال له شيخ الاسلام : (لابد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ، ولاندع اسيراً ، لامن اهل الملة ولا من اهل الذمة . فأطلقهم له) وهذا كله جعل النصارى يدافعون طبيعياً مع المسلمين ، واظهر الشعب امام عدوه صفاً واحداً . وكانت دهشتهم اعظم حين رأوا ان الأمر الثاني لم يحقق ظنهم . وذلك انهم قد استولوا على بلاد الشام وهزموا المسلمين شهر هزيمة ، واستعملوا منتهى الفظائع ، وكانوا اول من ابتدع مع المسلمين اجلاءهم عن ديارهم . وساروا على ذلك في جميع حروبهم مع المسلمين . وظلت هذه طريقتهم الى ان سار عليها اليهود في فلسطين ، وكانوا يظنون أن الامر قد استتب لهم ، وانه لن تقوم للمسلمين قائمة . ولكن المسلمين ظلوا مصممين على اخراجهم من بلادهم ، وبالرغم من مكثهم مدة تقرب من قرنين ، اقاموا فيها ممالك وامارات في بلاد الشام ، فان المسلمين استطاعوا في النهاية ان يتغلبوا على الغربيين ، وان يطردوهم من ديارهم .

سر اخفاق الحروب الصليبية

وقد بحثوا عن السر في ذلك كله فوجدوه في الاسلام ، لان عقيدته هي منشأ هذه القوة العظيمة في المسلمين ، وتسامح الاسلام اوجد هذا التماسك العظيم بين النصارى والمسلمين ؛ ولذلك فكر الاستعمار في طريقة علمية يغزو بها هذا الشرق الاسلامي ، فوجد ان خير طريق هي سلوك الغزو العلمي عن طريق التبشير ، ليكسبوا النصارى العرب الى جانبهم ، وليثيروا شكوك المسلمين في تاريخهم ودينهم ، ويزعزعوا عقيدتهم . وبذلك يوجدون الانقسام الطائفي ، ويضعفون قوة المسلمين .

الحركات التبشيرية

ونفذوا ذلك بالفعل ، فأسسوا في اواخر القرن السادس عشر مركزاً كبيراً للتبشير في مالطة ، وجعلوها قاعدة هجومهم التبشيرية على الشرق العربي الاسلامي ، اذ منها كانت ترسل قوات التبشير ، فانهم بعد ان استقر بهم المقام ومكثوا مدة ، شعروا بضرورة مد نشاطهم ، فانتقلوا لبلاد الشام سنة ١٦٢٥ م . وحاولوا ايجاد الحركات التبشيرية ، غير ان نشاطهم كان محدوداً جداً ، لم يتعد تأسيس بعض المدارس الصغيرة ، والحلقات العلمية ، ونشر بعض الكتب الدينية . وعانوا مشقات كبيرة من اضطهاد واعراض ومحاربة من جميع الطوائف . الا انهم ثبتوا حتى ١٧٧٣ م ، حيث الغيت الجمعيات التبشيرية اليسوعيين ، واغلقت مؤسساتهم ، ماعدا بعض الجمعيات التبشيرية ، الضعيفة كجمعية المبشرين العازاريين وبالرغم من وجودها انقطع اثر المبشرين والتبشير ، ولم يعد لهم وجود الا في مالطه حتى سنة ١٩٢٠ م ، حيث اسس اول مركز للتبشير في بيروت ، وبدأ نشاطهم فيها فلاقوا صعوبات كثيرة ؛ وبالرغم من هذه الصعوبات استمروا في عملهم ؛ وكانت عنايتهم الاولى منصرفة الى التبشير الديني والثقافة الدينية ، وكانت عنايتهم بالتعليم ضعيفة ، وفي سنة ١٨٣٤ م انتشرت البعثات التبشيرية في سائر بلاد الشام ، ففتحت كلية في

قرية عنتوره في لبنان ، ونقلت الارسالية الاميركية مطبعتها من مالطة الى بيروت ، لتقوم بطبع الكتب ونشرها . ونشط المبشر الامريكي المشهور (ايلي سميث) نشاطاً ظاهراً . وقد كان هـذا المبشر في مالطه يشتغل في التبشير متطوعاً ، ويتولى امر مطبعة الارسالية . وفي سنة ١٨٢٧ م حضر لبيروت ، ولكنه مالبث سنة حتى تولاه الذعر والملل ؛ ولم يطق صبرا فرجع الى مالطه ، ثم عاد الى بيروت سنة ١٨٣٤ م وفتح هووزوجته مدرسة للاناث ؛ واتسع المجال امامه وكرس حياتـه للعمل في بيروت بوجه خاص وفي بلاد الشام بوجه عام ، وبذلك تعاونت هذه الجهود جميعاً في بعث حركة التبشير ، وكان قيام ابراهيم باشا بتطبيق برنامج للتعليم الابتدائي في سوريا – مستوحى من برنامج التعليم الموجود في مصر – فرصة لهؤلاء المبشرين ؛ فاغتنموها وساهموا في الحركة العلمية من وجهة النظر التبشيرية ، ثم شملت حركة الطباعـة . وبذلك نشطت الحركة التبشيرية ، وشاركت في الحركة التعليمية مشاركة ظاهرة . وقد استطاعوا بنشاطهم هـذا ان يوغروا الصدور بين ابناء الشعب باسم الحرية الدينية . وأوجدوا بـين المسلمين والنصارى والدروز نشاطاً دينياً يتصل بالعقيدة .

الاضطرابات الطائفية

وحينما انسحب ابراهيم باشا سنة ١٨٤٠ م من بلاد الشام انتشر القلق والفوضى والاضطراب فيها ، وانقسم الناس على انفسهم ، واغتنم الموفدون الاجانب – لاسيما رجالات البعثات التبشيرية – ضعف نفوذ الدولة العثمانية في البلاد ، وحينئذ اخذوا يشعلون نار الفتنة . وما مر عام واحد وحلت سنة ١٨٤١م ، حتى وقعت اضطرابات خطيرة في جبل لبنان بين النصارى والدروز استفحل شرها ، حتى اضطرت الدولة العثمانية – بتأثير ضغط الدول الاجنبية – ان تضع للبنان نظاماً جديداً تقسمه فيه الى قسمين : يسود النصارى في قسم

منه ، ويسود الدروز في القسم الآخر ، وتعين حاكما للقسمين . وأرادت بذلك ان تتفادى الاحتكاك بين الطائفتين . غير ان هذا النظام لم ينجح ، لانه لم يكن طبيعيا . وقد تدخلت كل من انجلترا وفرنسا في هذا الخلاف ، وكانت تشعل نار الفتنة كلما حاول القائمون على الامر اخمادها . واخذ الانكليز والفرنسيون يتخذون هذا الاحتكاك بين الطوائف ذريعة للتدخل في شؤون لبنان . وانحاز الفرنسيون الى جانب الموارنة ، وانحاز الانكليز الى جانب الدروز ، مما ادى الى تجدد الاضطرابات سنة ١٨٤٥ م بشكل فظيع ، شمل الاعتداء فيه الاديرة والكنائس ، واستعمل فيه السلب والنهب والقتل ، مما اضطر الحكومة العثمانية الى ارسال وزير خارجيتها للبنان ، ليتلافى الامر بما لديه من الصلاحيات المطلقة . ولكنه لم يستطع ان يفعل شيئاً هاما ، وان كان قد اخمد الحالة نوعاً ما . الا ان المبشرين ازداد نشاطهم . وما ان جاءت سنة ١٨٥٧ م حتى بدأت فكرة الثورة والاصطدامات المسلحة في طائفة الموارنة ، فقد قام رجال الدين الموارنة بتحريض الفلاحين على الاقطاعيين ، وهاجموهم في لبنان الشمالي هجوماً عنيفا ، واشتعلت نار الثورة هناك ، ثم امتدت الى الجنوب ، فثار الفلاحون النصارى على الاقطاعيين الدروز . وأخذت كل من انكلترا وفرنسا تؤيد جماعتها ، فالانكليز يؤيدون الدروز ، والفرنسيون يؤيدون النصارى . وبذلك توسعت الفتنة توسعاً عاما ، حتى شملت جميع لبنان . وأخذ الدروز يقتلون جميع النصارى لافرق بين رجال الدين وغيرهم ، حتى قتل وشرد آلاف من النصارى من جراء القسوة التي كانت تتطبع بها الاضطرابات . ثم سرت موجة الاضطرابات الى سائر بلاد الشام ، وهبت في دمشق موجة من البغضاء الشديدة بين المسلمين والنصارى ، ادت في شهر تموز سنة ١٨٦٠ م الى ان يهاجم المسلمون حي النصارى ، ويقوموا بمذبحة هائلة ،

حتى بلغ عدد القتلى احد عشر الف قتيل ويزيد، قيل: في دمشق وحدها، وقيل: في سائر بلاد الشام. وقد صاحب تلك المذابح شيء من التخريب والتدمير والاضطراب، حتى اضطرت الدولة الى وقف الفتنة بالقوة. وبالرغم من ان الاضطرابات خمدت وكادت تنتهي، الا ان الدول الاجنبية رأت ان هذه هي الفرصة التي تتيح لها ان تتدخل في سوريا، فأرسلت البوارج الحربية الى المياه السورية. وفي شهر آب من السنة نفسها ارسلت فرنسا حملة برية من الجيش الفرنسي، نزلت في بيروت، وأخذت تعمل لاخماد الثورة. وهكذا حصلت للدولة العثمانية في سوريا فتنة خلقها الاجانب، لتكون باباً لتدخلهم. فتدخلوا واجبروها على ان تخضع لوضع نظام خاص لسوريا، يقسمها لولايتين، وان تمنح لبنان امتيازات خاصة، ففصلت لبنان عن سائر اجزاء البلاد الشامية، ومنحته استقلالاً ذاتياً، يتمتع فيه بنظام محلي للادارة، على رأسه حاكم مسيحي، ويعاونه مجلس اداري يمثل السكان. ومن ذلك الحين رعت الدول الاجنبية امر لبنان، وجعلته مركزاً لها، فكان رأس الجسر الذي وضع فيه الاجانب ارجلهم للنفوذ الى قلب الدولة العثمانية والبلاد العربية.

انشاء الجمعيات

وفي هذه الاثناء اتخذت اعمال التبشير مظهراً آخر لم يكن موجوداً من قبل، فلم يكتفوا بحركة المدارس ودور التبشير والمطابع والمستوصفات، بل تعدوا ذلك الى تأسيس الجمعيات. ففي سنة ١٨٤٢م تشكلت لجنة لتأسيس جمعية علمية تحت رعاية الارسالية الامريكية وفق برنامجها. وقد سارت هذه اللجنة في طريقها مدة خمس سنوات، حتى تمكنت في سنة ١٨٤٧ م من تأسيس جمعية سمتها (جمعية الفنون والعلوم). وكان اعضاؤها ناصيف اليازجي، وبطرس البستاني من نصارى العرب، وايلي سميث، وكورنيليوس فان ديك من الامريكان، والكولونيل تشرشل من الانكليز. وكانت اهداف

هذه الجمعية في اول الامر غامضة ، ولكنها كانت تظهر بمظهر نشر العلوم بين الكبار ، كما تنشر العلوم في المدارس بين الصغار . وحمل الكبار كما يحمل الصغار على تثقيفهم بالثقافة الغربية ، موجهين بتوجيه خاص وفق الخطة التبشيرية . وبالرغم من نشاط رجال هذه الجمعية وبذل جهودهم الجبارة فيها ، فانه لم ينتسب لها خلال عامين سوى خمسين عضواً عاملا من جميع بلادالشام، كلهم من النصارى ، واكثرهم من سكان بيروت . ولم يدخل في الجمعية من المسلمين ولا من الدروز أي عضو مطلقاً . وقد بذلت جهود جبارة لتوسيعها وتنشيطها ، ولكنها لم تثمر ، وماتت الجمعية بعد خمس سنوات من تأسيسها ، دون ان تترك الا اثراً واحداً ، هو الرغبةعند المبشرين في تأسيس الجمعيات. ولذلك اسست جمعية اخرى سنة ١٨٥٠ م باسم (الجمعية الشرقية) : اسسها اليسوعيون تحت رعاية الاب اليسوعي الفرنسي (هنري دوبرونير) . وكان اعضاؤها كلهم من النصارى ، وسارت على منهاج جمعية العلوم والفنون ، ولكنها لم تعش طويلا ، وماتت بعد موت الجمعية الاولى بقليل . ثم تأسست عدة جمعيات كانت كلها تصاب بالاخفاق التام ، حتى تشكلت سنة ١٨٥٧ م جمعية على نظام جديد ، روعي فيها ان لايدخلها احد من الاجانب مطلقا ، فقد كان مؤسسوها كلهم من العرب . وبذلك اتيح لها ان توفق الى ان تضم بين اعضائها بعض المسلمين وبعض الدروز . وتأسست باسم (الجمعية العلمية السورية) واستطاعت بفضل نشاطها وظهورها بالمظهر العربي ، وعدم وجود أي عضو فيها من الاجانب ، انتؤثر على الناس ، حتى انتسب اليها عدد كبير بلغ مئة وخمسين عضوا . وكان بين اعضاء ادارتها شخصيات بارزة من العرب ، منهم محمد ارسلان من الدروز ، وحسين بيهم من المسلمين ، وانضم اليها كذلك من كل طائفة من نصارى العرب ، ومن اشهرهم ابراهيم اليازجي وبطرس

البستاني . وهذه الجمعية الوحيدة التي عشت مدة اطول من المدة التي عاشتها غيرها من الجمعيات . وكان من برنامجها التوفيق بين الطوائف ، وبعث القومية العربية في النفوس . ولكن غايتها المخفية كانت استعمارية تبشيرية بطريق علمي . وكانت تتجلى ببعث الثقافة الغربية والمدنية الغربية ، كما هي على شكل تقليدي . ثم في سنة ١٨٧٥ م تألفت في بيروت الجمعية السرية ، وأخذت هذه الجمعية تركز نفسها على فكرة سياسية ، فأخذت تبعث فكرة القومية العربية . والذين قاموا بتأسيسها هم خمسة شباب من الذين تلقوا العلم في الكلية البروتستانتية في بيروت . وكانوا جميعا من النصارى الذين استطاعت الجهات التبشيرية ان تؤثر فيهم . فقام هؤلاء الشباب بتأسيس هذه الجمعية . وبعد مضي مدة استطاعوا ان يضموا اليهم عدداً قليلا . ومع ان هذه الجمعية كانت ترمي فيما بينه من اقوال ومناشير ، الى القومية العربية والى استقلال العرب السياسي ، وخاصة في سوريا ولبنان . الا انه كان يتجلى في عملها وبرامجها ، وما وصل عنها من اخبار ، انها ترمي الى صب الرغبات الغامضة في النفوس ، والآمال المبهمة في القلوب . وكانت تدعو للقومية وللعرب والعروبة ، وتثير العداء للدولة العثمانية وتسميها (التركية) وتعمل على فصل الدين عن الدولة وجعل القومية العربية هي الاساس . ومع ان هذه الجمعية كانت تلبس ثوب العروبة الا ان القائمين عليها كثيراً ماضمنوا نشراتهم اتهام (تركيا) - حسب تعبيرهم - بأنها اغتصبت الخلافة الاسلامية من العرب ، وانها تجاوزت على الشريعة الاسلامية الغراء ، وانها فرطت في الدين ، مما يدل على الغاية التي وجدت من اجلها ، وهي اثارة القلاقل ضد الدولة وتشكيك الناس في الدين واقامة الحركات السياسية على غير الاسلام .

اهتمام القناصل بالحركات التبشيرية

والذي يجزم به من تتبع تاريخ هـذه الحركات ان الاجانب هم الذين انشأوها ، وانهم كانوا يراقبونها ، ويشرفون عليها ، ويهتمون بها ، ويكتبون تقاريرهم عنها ؛ فقد كتب قنصل بريطانيا في بيروت بتاريخ ٢٨ تموز سنة ١٨٨٠ م برقية بعثها لحكومته ، ونصها (ظهرت نشرات ثورية يشتبه ان يكون مدحت مصدراً لها . مع ذلك يسود الهدوء . التفاصيل بالبريد) وكانت هذه البرقية اثر توزيع الجمعية المذكورة مناشير لها في الشوارع والصقها على الجدران في بيروت . وقد تبعت هـذه البرقية عـدة رسائل من القناصل البريطانيين في بـيروت ودمشق . وكانت هـذه الرسائل ترفق بنسخ من النشرات التي كانت توزعها الجمعية . وكانت بمثابة تقارير عن هذه الحركة التي ولدت في الجامعة البروتستانتية واخذت تعمل في بلاد الشام . وكان العمل بارزاً في بلاد الشام وان كان موجوداً في جهـة اخرى من البـلاد العربية ، يدل على ذلك ان المعتمد البريطاني في جدة كتب الى حكومته سنة ١٨٨٢م كتاباً عن الحركة العربية جاء فيه (الا انه قد وصل الى علمي ان بعض الاذهان حتى في مكة نفسها ، اخذت تتحرك بفكرة الحرية ، ويلوح لي بعـد الذي سمعته من تلميح ، ان هنالك خطة مرسومة ، ترمي الى توحيد نجـد مع بلاد مابين النهرين اي جنوب العراق ، وتنصيب منصور باشا عليها ، وتوحيد عسير مع اليمن ، وتنصيب علي بن عابد عليها ، ولم يقتصر الاهتمام بها على انكلترا ، بل فرنسا كذلك كانت مهتمة الى حد بعيد ، ففي سنة ١٨٨٢ م كتب احد الفرنسيين الذين كانوا في بيروت مايدل على مبلغ اهتمام فرنسا ، فقد قال (ان روح الاستقلال منتشرة انتشاراً كبيراً . وقد رأيت شباب المسلمين خلال اقامتي في بيروت منهمكين بتشكيل الجمعيات العامـلة على تأسيس المدارس والمستشفيات ، والنهوض في البلاد . ومما يلفت النظر في هـذه الحركة انها

محررة من أي اثر للطائفية ، فان هـذه الجمعية تستهدف قبول النصارى بـين اعضائها ، والاعتماد على معاونتهم في العمل القومي) وكتب احد الفرنسيين من بغـداد (لقد كان يواجهني في كل مكان ، وبنفس النسبة ، ذلك الشعور العام المستقر (كراهية الترك) واما فكرة القيام بعمل مشترك مرتب لطرح هـذا النير البغيض فهي في دور التكوين . ويلوح في الافق البعيـد طيف حركة عربية ولدت حديثا ، وسيقوم هذا الشعب الذي كان مغلوبا على امره حتى الان بالمطالبة عما قريب بمركزه الطبيعي في عالم الاسلام ، وفي توجيه مصير هذا العالم) . ولم يقتصر امر الاهتمام بالغزو التبشيري باسم الدين والعلم على امريكا وفرنسا وبريطانيا ، بل شمل اكثر الدول غير الاسلامية ، ومنها روسيا القيصرية ، فقـد ارسلت بعثات تبشيرية ، كما امت بلاد الشام بعثـــة بروسية (المانية) مؤلفـة من راهبات كابزرودت ساهمت مع باقي البعثات . وبالرغم من تباين وجهات النظر السياسية بين البعثات التبشيرية وبين الموفدين الاجانب بالنسبة لمنهجها السياسي باعتبار مصالحهم الدولية ، فقـد كانت متفقة في الغاية ، وهي التبشير في الدين المسيحي ، وبعث الروح الغربية في الشرق ، وتشكيك المسلمين في دينهم ، وحملهم على الامتعاض منـــه ، وعلى احتقار تاريخهم ، وتمجيـد الغرب وحضارته . كل ذلك مع بغض شـــديد للاسلام والمسلمين ، واحتقار لهم ، واعتبارهم برابرة متأخرين ، كما هي روح كل اوروبي وقد وصلوا الى نتائج كانت هي السبب لما نراه من تركيز الاستعمار .

العداء الصليبي

يقول احد العلماء الفرنسيين وهو الكونت هنري دكاستري في كتابه الاسلام سنة ١٨٩٦ م ما نصه : (ولست ادري ما الذي يقوله المسلمون لو علموا اقاصيص القرون الوسطى ، وفهموا ما كان يأتي في اغاني القوال من المسيحيين ، فجميع اغانينا حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر صادرة عن فكر واحد ، كان السبب في الحروب الصليبية . وكلها محشوة بالحقد على المسلمين للجهل الكلي بديانتهم ، وقد نتج عن تلك الاناشيد تثبيت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك الدين ، ورسوخ تلك الاغلاط في الاذهان . ولا يزال بعضها راسخاً الى هذه الايام . فكل ناشد كان يعد المسلمين مشركين غير مؤمنين وعبدة اوثان مارقين) وهكذا كان يوصف المسلمون كما يوصف دينهم من قبل رجال الدين المسيحي في اوروبا باوصاف فظيعة في القرون الوسطى . وكانت هذه الاوصاف مما استعمل لاثارة الحقد والبغضاء ضد المسلمين ، مما اثار العالم المسيحي فكانت الحروب الصليبية . وبعد انتهائها بعدة قرون قام المسلمون في القرن الخامس عشر فغزوا العالم المسيحي ، حيث فتحت الدولة الاسلامية القسطنطينية ، ثم فتحت في القرن السادس عشر اوروبا وحملت رسالة الاسلام اليها ؛ فدخل في دين الله الملايين من البانية ، ويوغسلافيا ، وغيرها فتجدد العداء الصليبي ووجدت المسألة الشرقية ، وكانت تعني العمل من جانب اوروبا لرد العدوان الاسلامي ودرء خطر المسلمين . فكان هذا

العداء المتأصل في نفوس الاوروبيين للاسلام والمسلمين هو الذي حمل كافة المسيحيين في اوروبا ان يبعثوا بالحركات التبشيرية في بلاد الاسلام ،باسم المدارس والمستشفيات والجمعيات والنوادي ، وان يبذلوا في سبيل ذلك الاموال الطائلة والجهود الضخمة ، وان يتفقوا على هذه الخطة رغم اختلاف مصالحهم وتباين سياساتهم ، وان يجمع على ذلك جميعهم دولا وشعوبا ، وان يجعلوه من اعمال قناصلهم وسفاراتهم ، كما هو من اعمال الموفدين والمبشرين .

وهذا العهد الصليبي الكامن في النفوس الغربية كلها ، ولا سيما اوروبا ؛ وعلى الاخص بريطانيا هذا العداء المتأصل والحقد اللئيم هو الذي اوجد هذه الخطط الجهنمية للقضاء على الاسلام والمسلمين ، وهو الذي سبب اذلالنا في ديارنا هذا الاذلال . واذا كان اللورد اللنبي قد قال حين فتح القدس وهو يدخلها سنة ١٩١٧ م (اليوم فقط انتهت الحروب الصليبية) فانما ذلك تعبير صادق عن مكنون نفسه ، وشدة بغضه ، وتأصل الحقد في نفسه ، وهو تعبير عن نفس كل اوروبي يخوض غمار الحرب - ثقافة او عسكرية - ضد المسلمين وصدق الله العظيم حيث يقول (قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر) وما بدا من فم اللورد اللنبي ان هو الا بغض ، وما كانت تخفيه دولته بريطانيا هو اكبر من ذلك ولا ريب . وكذلك ما في نفس كل اوروبي على الاطلاق ، وقد امتد هذا البغض منذ ايام الصليبيين ولا يزال يمتد حتى اليوم . وما نلاقيه من اضطهاد واذلال واستعمار واستغلال هو — الى جانب الناحية السياسية التي فيه أمر انتقامي منا نحن المسلمين بوجه خاص .

بغض الغربيين للمسلمين

يقول الاستاذ ليبولد فايس في كتابه « الاسلام على مفترق الطرق » (ان النهضة او احياء العلوم والفنون الاوروبية باستمدادها الواسع من المصادر الاسلامية والعربية على الاخص كانت تعزى في الاكثر الى الاتصال المادي بين الشرق والغرب ، لقد استفادت اوروبا اكثر مما استفاد العالم الاسلامي ، ولكنها لم تعترف بهذا الجميل ، وذلك بأن تنقص من بغضائها للاسلام ، بل كان الامر على العكس ، فان تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن ، ثم استحالت عادة ، ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبي كلما ذكرت كلمة (مسلم) ، ولقد دخلت في الامثال الثائرة عندهم حتى نزلت في قلب كل اوروبي رجلا كان او امرأة ، واغرب من هذا كله انها ظلت حية بعد جميع ادوار التبدل الثقافي ثم جاء عهد الاصلاح الديني ، حينما انقسمت اوروبا شيعاً ، ووقفت كل شيعة مدججة بسلاحها في وجه كل شيعة اخرى ، ولكن العداء للاسلام كان عاماً فيها كلها . وبعدئذ جاء زمن اخذ الشعور الديني فيه يخبو ، ولكن العداء للاسلام استمر وان من ابرز الحقائق على ذلك ان الفيلسوف والشاعر الفرنسي فولتير ، وهو من الداعداء النصرانية وكنيستها في القرن الثامن عشر ، كان في الوقت نفسه مبغضاً مغالياً للاسلام ولرسول الاسلام ، وبعد بضعة عقود جاء زمن اخذ علماء الغرب يدرسون الثقافات الاجنبية ويواجهونها بشيء من العطف ، اما فيما يتعلق بالاسلام ، فان الاحتقار التقليدي اخذ يتسلل في شكل تحزب غير معقول الى بحوثهم العلمية ، وبقي هذا الخليج الذي حفره التاريخ بين اوروبا والعالم الاسلامي ، غير معقود فوقه بجسر ، ثم اصبح احتقار الاسلام جزءاً اساسياً في التفكير الاوروبي) اهـ . وعلى هذه الاسس قامت الجمعيات التبشيرية التي اشرنا اليها ، ولذلك كانت تهدف الى التبشير بالديانة المسيحية ، والى تشكيك المسلمين في دينهم ، وتحقيره في نفوسهم

وتحميله تبعة ضعفهم ، وتهدف الى النواحي السياسية ، ولذلك كانت نتائجها فظيعة في الناحيتين السياسية والتشكيكية ، حتى وصلت الى نتائج اكثر مما كانوا يتوقعون . فقد كانت الحركات التبشيرية تبنى على اساس محو الاسلام بالطعن فيه ، واثارة المشاكل والشبهات حوله وحول تعاليمه لصد الناس عن سبيل الله ولابعاد المسلمين عن دينهم وكانت من وراء هذه الحركات التبشيرية حركات الاستشراق والمستشرقين ، ترمي الى ذات الغرض وعن نفس القوس .

توحيد الجهود ضد المسلمين

وتوحدت الجهود كلها في اوروبا في حرب صليبية شنتها اولا من ناحية ثقافية بتسميم العقل كله بما شوهوه من احكام الاسلام ومثله الاعلى ، وبالتسميم الاجنبي لعقول ابناء المسلمين بما يقولونه عن الاسلام وتاريخ المسلمين باسم البحث العلمي والنزاهة العلمية ، وما هو الا السم الثقافي الذي هو من اخطر الحروب الصليبية . وكما كان دعاة التبشير يقومون بهذا التسميم باسم العلم والانسانية ، كان المستشرقون يقومون به باسم الاستشراق . يقول الاستاذ ليوبولد فايس (والواقع ان المستشرقين الاولين في الاعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الاسلامية وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الاسلام وتاريخه مدبرة على اساس يضمن التأثير في موقف الاوروبيين من (الوثنيين) - يعني المسلمين - غير ان هذا الالتواء العقلي قد استمر ، مع ان علوم الاستشراق تحررت من نفوذ التبشير ولم يبق لعلوم الاستشراق هذه عذر من حمية دينية جاهلية تسيء توجيهها . اما تحامل المستشرقين على الاسلام ، فغريزة موروثة وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلقتها الحروب الصليبية) اهـ . وهذا العداء الموروث لايزال هو الذي يؤرث نار الحقد في نفوس الغربيين على المسلمين ، ويصور الاسلام حتى في بلاد المسلمين للمسلمين وغيرهم بانه (بعبع الانسانية) ، او المادر الهائل الذي سيقضي على

المستشرقون والتبشير

تقدم الانسانية ، يسترون بذلك خوفهم الحقيقي منه ، لانـــه اذا تركز في النفوس ، فستزول سيطرة الغرب عن الشرق الاسلامي . بل ستعود سيطرة الاسلام على الغرب — وانها لعائدة انشاء الله — وهي في صالح الانسانية ، وفي صالح الغرب نفسه ، وسيذهب عمل المبشرين وغيرهم حسرة في نفوسهم (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ولا يزال ذلك العداء الموروث هو الذي يؤيد كل حركة ضد الاسلام والمسلمين . وانك لتجد الغربي يبحث المجوسية والهندوكية والشيوعية او اى بحث علمي ، فلا تجد في بحثه اي تعصب او بغضاء ، في حين انك تجده حين يبحث الاسلام تظهر عليه علامـــات البغض والحقد والمقت والكراهية ، ومع ان المسلمين قد هزموا شر هزيمة ، وانتصر عليهم الاستعمار الغربي ، لكن رجال الكنيسة الغربيين — ومن ورائهم الاستعمار — لايزالون يبذلون مختلف النشاط ضـــد الاسلام . ولا يفترون عن الطعن في الاسلام والمسلمين ، والنيل من محمد عليه الصلاة والسلام ومن اصحابه ، والصاق المثالب في تاريخ الاسلام والمسلمين ، كل ذلك للانتقام من الاسلام والمسلمين وتمكين اقدام الاستعمار والمستعمرين .

اثار الغزو التبشيري

كانت هذه الغزوات التبشيرية هي الطلائع التي مهدت الطريق للاستعمار الاوروبي ليفتح الشرق العربي ، بل الشرق الاسلامي ، فتحاً سياسياً ، بعد ان فتحه فتحاً ثقافياً . وبعد ان كان المسلمون حملة القيادة الفكرية للغرب حين فتحوا استنبول والبلقان وادخلوا الاسلام في اوروبا ، صارت البلاد الاسلامية هدفاً للغرب ، يحمل قيادته الفكرية لها ، ومسرحاً لحضارته ومفاهيمه عن الحياة ، يذيعها بشتى الوسائل تحت اسم العلم والانسانية والتبشير الديني . ولم يكتف بحمل حضارته ومفاهيمه ، ولكنه كان يطعن الحضارة الاسلامية ومفاهيم الاسلام عن الحياة حين كان يوجه حملاته ضد الاسلام ، فاثر ذلك في اول الامر على الفئة المثقفة ، وعلى رجال السياسة ، بل وعلى حملة الثقافة الاسلامية ، وعلى جمهرة المسلمين .

اثر التبشير في مناهج التعليم

اما الفئة المثقفة ، فان الاستعمار في مدارسه التبشيرية قبل الاحتلال ، وفي المدارس كلها بعد الاحتلال قد وضع بنفسه مناهج التعليم والثقافة على اساس فلسفته هو ، وحضارته هو ، ومفاهيمه الخاصة عن الحياة . ثم جعل الشخصية الغربية الاساس الذي تنتزع منه ثقافتنا ، كما جعل تاريخه ونهضته وبيئته المصدر الاصلي لما نحشو به عقولنا . ولم يكتف بذلك ، بل تدخل في تفصيلات المناهج حتى لا تخرج جزئية من جزئياتها عن المبدأ العام الذي هو فلسفته وحضارته . وكان ذلك عاما في دروس الدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي ، فان مناهجها بنيت على الاساس

الغربي ، وعلى حسب مفاهيم الغرب . فالدين الاسلامي يعلم في المدارس لاسلامية مادة روحية اخلاقية ، كما هو مفهوم الغرب عن الدين ، وهو يعلم على وجه بعيد جداً عن الحياة وعن حقيقة مبادئه . فحياة الرسول صلى الله عليه وسلم تدرس لابنائنا منقطعة الصلة عن حياتهم وبيئتهم ، وجافة كما تدرس حياة نابليون او بسمارك او اي اجنبي لا علاقة لهم به ، ولا تثير في نفوسهم اي نزوع او رابطة . ومادة العبادات والاخلاق ، وهي التي يشتمل عليها منهاج الدين ، تعطى من وجهة النظر النفعية ، وبذلك صار تعليم الدين الاسلامي ايضاً سائراً وفق المفاهيم الغربية . والتاريخ الاسلامي تعلم فية المثالب التي يخترعها سوء القصد وسوء الفهم ، ويوضع باطار اسود تحت اسم النزاهة التاريخية والبحث العلمي . ويزيد الطين بلة ، انه نبت من المسلمين المثقفين نابتة تعلم التاريخ وتؤلف فيه على الاسلوب والمنهج التبشيري . وهكذا كافة البرامج قد وضعت كلها على اساس الفلسفة الغربية ، ووفق مناهج الغرب ، وبذلك صار اكثر المثقفين ابناء الثقافة الغربية وتلاميذها . وصاروا يستمرئون هذه الثقافة ويتعشقونها ، ويتجهون في الحياة طبق مفاهيمها ، حتى صار الكثيرون منهم يستنكرون الثقافة الاسلامية اذا تناقضت مع الثقافة الغربية ، وصاروا مثقفين ثقافة غربية تتحكم فيها روح الاستعمار ووجهة نظره وقد اخلصوا لهذه الثقافة الغربية اخلاصاً تاماً حملهم على تقديس الاجنبي ، وحمل حضارته ، وانطبع كثيرون منهم بطابعه ، وصاروا يمقتون الاسلام والثقافة الاسلامية ، كما يمقته الغربي ، ويحملون للاسلام وللثقافة الاسلامية العداء اللئيم كما يحمله الغربي ، وصاروا يعتقدون ان الاسلام والثقافة الاسلامية هي سبب تأخر المسلمين كما اوحي اليهم ان يعتقدوا ذلك . وبهذا نجحت الحملات

اثره في المثقفين ثقافة اجنبية

التبشيرية نجاحاً منقطع النظير حين ضمت اليها الفئة المتعلمة من المسلمين وجعلتها في صفوفها تحارب الاسلام والثقافة الاسلامية .

اثر التبشير في المثقفين ثقافة اسلامية

وقد تجاوز الحال امر المثقفين في اوربا والمدارس الاجنبية الى اولئك الذين يحملون الثقافة الاسلامية . فقد هالهم ان يهاجمهم الاستعمار الغربي في الطعن على دينهم فصاروا يردون هذا الطعن مستعملين كل ماتصل اليه ايديهم سواء اكان هذا الرد صحيحاً ام فاسداً ، وسواء اكان مايطعن به الاجنبي اسلامهم من مفاخره ام مكذوباً عليه ، وكانوا في ردهم قد سلموا بجعل الاسلام متهماً ثم اولوا نصوصه بمايتفق مع مفاهيم الغرب ، وهكذا صاروا يردون الهجمات رداً مضطرباً كان مساعداً للغزو التبشيري اكثر مما كان رداً له . والانكى من ذلك ان الحضارة الغربية المناقضة للحضارة الاسلامية ، صارت من مفاهيمهم التي يتقبلونها وينسبونها زوراً وبهتاناً للاسلام ، وغلب على الكثيرين منهم ان يقولوا ان الغرب اخذ حضارته عن الاسلام والمسلمين ، وصاروا يؤولون مبادىء الاسلام وفق هذه الحضارة مع التناقض المطلق الذي بين الاسلام وبين الحضارة الغربية ، وبذلك قبلوا الحضارة الغربية قبولا تاما ورضوا بها حين اظهروا ان مبادىء عقيدتهم وحضارتهم تتفق مع الحضارة الغربية ، ومعنى ذلك انهم قبلوا الحضارة الغربية ، وتخلوا عن حضارتهم الاسلامية ، وهو ما يهدف اليه الاستعمار او ما كان يهدف اليه الغرب حين ركز حملات التبشير وحملات الاستعمار

اثر التبشير في عامة المسلمين

وبوجود المثقفين ثقافة اجنبية ، وسوء فهم المثقفين ثقافة اسلامية ، وجدت عند المسلمة ولا سيما العرب – المفاهيم الغربية عن الحياة ، كما تحكمت في ديارهم الحضارة الغربية المادية ، وصارت الحياة في المجتمع – كجماعة – تخضع للحضارة الغربية ، والمفاهيم الغربية . فعامة المسلمين لا يدركون ان صلاتهم في المسجد لا تغني عنهم فتيلا وهم يطبق عليهم النظام الديمقراطي في

الحكم، والنظام الرأسمالي في الاقتصاد - وصاروا لا يتأثرون اذا فصل بينهم القضاء على غير ما انزل الله ، وهم لايجهلون ان الله قال « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » كل ذلك لان الحضارة الغربية المبنية على اساس فصل الدين عن الدولة هي التي تسيطر على مجتمعاتهم . ولان المفاهيم الغربية المادية هي السائدة في اجوائهم . وصاروا يستشعرون القيام بواجبات الدين اذا هم اعتقدوا بالله ، وحافظوا على الصلوات ، واداروا امور دنياهم على وفق ما يرون وما يشتهون ، ولو ناقضت ادارتها تعاليم الاسلام ، لانهم يتأثرون بالمفاهيم الغربية التي تقول : (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) . ولم يتأثروا بالمفاهيم الاسلامية التي تجعل قيصر وما لقيصر كله لله ، وتجعل الصلاة والتجارة والحكم والتعلم كلها تسير وفق دين الاسلام . نعم لم يتأثروا بهذه المفاهيم ، ولو قرأوا قوله تعالى « وان احكم بينهم بما انزل الله » وقوله : « اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » وقوله « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » وقوله « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » . نعم لا يتأثرون بهذه المفاهيم في آيات القرآن ولو قرأوها ، لانهم لا يقرؤونها آيات من القرآن يقرأها المسلم حية نابضة ليعمل بها في معترك الحياة ، وانما يقرأونها في حال تسيطر عليهم فيها مفاهيم الغرب ، فيتأثرون بروحانية هذه الآيات ، ويضعون حاجزا بين اذهانهم وبين مفاهيمها ومدلولاتها ، كل ذلك لان الحضارة الغربية تتحكم فيهم ، ولان مفاهيم الغرب تسيطر عليهم « هذا بالنسبة لجمهور الشعب وللمثقفين ثقافة اسلامية واجنبية .

اثر التبشير في السياسيين

اما بالنسبة لرجال السياسة ، فان البلاء ، أعم ، والمصيبة اكبر ، اذ ان هؤلاء الساسة منذ ان جمعهم الاستعمار ، واغراهم بالقيام ضد الدولة التركية ، ومناهم ووعدهم — وما يعدهم الشيطان الا غرورا — فانهم منذ ذلك الحين يسيرون في ركاب هذا الاجنبي ، وحسب مايرسم لهم من خطط ، ففي ايام الدولة العثمانية انحازوا الى الاجنبي ، وظاهروه على دولتهم ، وهو أمر لايجيزه الاسلام ، ولكنهم — وآسفاه — فعلوه واتخذوا من عملهم هذا مفخرة يذكرونها في كل مناسبة وعيداً لهم يحتفلون به في كل عام وانهم في ذلك الوقت ، بدل ان يحاربوا الفئة الحاكمة لاصلاح الدولة ، ساروا مع الاجنبي ضد الدولة كلها ، حتى كانت النتائج المريرة في استيلاء الاجنبي على بلادهم . ثم صاروا بدل ان يستعينوا بالشعب على الاجنبي ، استعانوا بالاجنبي على الشعب . وقد تأثروا بالاجنبي — ولا سيما الغربي — الى حد افقدهم شخصيتهم الاسلامية ، وسممت افكارهم بآراء سياسية ومذاهب اجتماعية ومبادىء فلسفية مما ، افسد عليهم وجهة نظرهم في الحياة وفي الكفاح ، وترتب على ذلك افساد الجو الاسلامي — ومنه العربي — برمته ، وبلبلة الافكار بلبلة ظاهرة في مختلف نواحي الحياة .

فقد جعلوا طريق الجهاد هي المفاوضة ، واعتنقوا مبدأ خذ وطالب — الذي يعتبر انفع للاستعمار من جيوش جرارة في البلاد — وجعلوا قبلة انظارهم الاستعانة بالاجنبي ، والاتكال عليه ، دون ان يعوا ان كل استعانة باجنبي تعتبر تسميماً اجنبياً ، وربطوا قضيتهم بقضايا البلاد الاجنبية ، وخاصة بلاد المستعمر ، ولم يدركوا ان ربط قضيتنا بقضية غيرنا يعتبر انتحاراً سياسياً . ورضوا ان يعملوا للاقليمية الضيقة ، ويجعلوها مجال عملهم السياسي ؛ ولم يتبين لهم ان هذه الاقليمية هي التي تجعل العمل السياسي مستحيل الانتاج ؛ لعدم

امكان الاقليمية – مهما اتسعت بلاد الاقليم – ان تنهض بالاعباء السياسية وغير السياسية التي تتطلبها الحياة الصحيحة .

ولم يكتفوا بذلك كله ، بل جعلوا مركز تنبههم الفردي مصالحهم الفردية ومركز تنبههم العام هو البلاد الاجنبية ، وبذلك فقدوا مركز التنبه الطبيعي – وهو مبدؤهم وبلادهم – وبفقدانهم مركز التنبه الطبيعي ، فقدوا امكانية نجاح مسعاهم ، مهما اخلصوا فيه وبذلوا من مجهود . ولذلك صارت جميع الحركات السياسية حركات عقيمة ؛ وصارت كل يقظة في الامة تتحول الى حركة مضطربة متناقضة تشبه حركة المذبوح تنتهي بالخمود واليأس والاستسلام وذلك لان قادة الحركات السياسية – وهم السياسيون ومحترفو السياسة – فقدوا مركز تنبههم الطبيعي ، فصار طبيعياً ان تفقد الامة هذا المركز التنبهي لها . وهكذا سممت افكار السياسيين بالآراء المغلوطة ، كما سممت بالمبادىء الاجنبية ، اذ قامت في البلاد العربية حركات باسم القومية والاشتراكية ، وباسم الوطنية والشيوعية ، وباسم الدين الروحي والاخلاق ، وباسم التعليم والارشاد . وكانت هذه الحركات ضغثاً على ابالة ، وعقدة جديدة في المجتمع تضاف الى العقد الاخرى التي يرزح تحت عبئها . وكانت نتيجتها الاخفاق والدوران حول نفسها ، لانها سارت وفق مفاهيم الحضارة الغربية ، متأثرة بالغزو التبشيري ، ووجهت الامة الى المفاهيم الغربية عن الحياة برمتها ، فضلا عن انها نفست عواطف الامة المتأججة فيما لاينفع ولا يأتي بخير . ومكنت للاستعمار من التمركز والبقاء . وهكذا كان نجاح الغزو التبشيري والاستشراق نجاحاً منقطع النظير في المسلمين ولا سيما العرب . . . وسر نجاحه يرجع الى انه عمد الى العقيدة الاسلامية في المسلمين فزعزعها في نفوس اهلها في فصل فروعها عنها ، حتى ركز على اساس هذا الفصل حضارته ومفاهيمه ، فقبل

سر نجاح التبشير

المسلمون هذه الحضارة وهذه المفاهيم ، لا على اعتبار انها لاتتناقض مع عقيدتهم فحسب ، بل على انها فوق ذلك متفقة مع عقيدتهم ، وهي من مبادئها ومفاهيمها فسهل عليهم بعد هذا ان يتقبلوا كل مايتفرع عن هذه الحضارة وهذه المفاهيم دون ان يجدوا فيها اي غضاضة او اي تناقض مع مايعتقدون . وبهذه الثقافة الاستعمارية ، والحضارة الغربية ومفاهيم الغرب عن الحياة ، يتركز الاستعمار في البلاد الاسلامية - ولا سيما العربية - ويتركزه هذا يحول بيننا وبين النهضة ويقف دون كل محاولة نبذلها للنهوض . ولذلك كان لابد من محاربة الحضارة الغربية في بلادنا ، ومحاربة مفاهيم الغرب عن الحياة عندنا ، ومحاربة الثقافة الاجنبية ، لا العلم العالمي .

طريق محاربة الثقافة الاجنبية

وطريق ذلك هو اعتناقنا رسالتنا الاسلامية اعتناقاً صحيحا ، وفهمنا لها فهماً صادقاً ، واقبالنا على الثقافة الاسلامية الخالصة ، حتى نأخذ الاسلام خالصاً من كل شائبة حاول الاستعمار ان يشوبه بها . وأخذ الاسلام صافياً يقضي اولا - وقبل كل شيء - الايمان برسالة الاسلام ، وحمل القيادة الفكرية في الاسلام ، وهذا يقتضينا الايمان بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وفهم مقتضيات هذا الايمان ، لان الايمان بالله يقود حتماً الى الخضوع والتسليم عن رضاً واطمئنان بكل التشريع الذي فصله الاسلام ، الذي هو من عند الله ، ويقود حتما الى تطبيق هذا التشريع تطبيقاً انقلابياً كاملا على كل جزئية من جزئيات الحياة ، وان يكون هذا التطبيق آتياً من ضمير الفرد المؤمن ، بأن يكون تطبيقاً طوعياً عن رضاً واطمئنان . قال تعالى « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدون في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » فالاوامر والنواهي التي جاء بها محمد عليه السلام من عند الله ، كلها حق وعدل ، وفيها وحدها الخير العام . فالايمان بالله وبرسوله

يوجب حتماً اخذ الاسلام جملة وتفصيلا اخذاً كاملا شاملا دون ان يشاب بأي شيء من غيره ، مهما قل هذا الشيء او كثر ، اذ الاصلاحات التي تتطلبها النهضة التي نعمل لها ، تتطلب منا الحرص على صفاء الاسلام ، والعمل على اخذه كاملا دون شائبة . لان الاصلاحات لايجوز ان تؤخذ نظريات وانظمة ، وان تجمع فروعاً من هنا وهناك ، فان مثل هذا العمل يعتبر نظرة معكوسة ، وهو مظهر من مظاهر الانحطاط العقلي ، ويؤدي الى الانتكاس في المجتمع ، والتدهور في البيئة . بل لابد ان تتفرع الاصلاحات عن روح اعم ، وعن اصل اشمل ، وعن عقيدة ثابتة يتمثل فيها ثبات الاهداف العليا للحياة . وهذا الروح العام ، والاصل الشامل ، هو العقيدة الاسلامية التي يتمثل بها الفكر القطعي . وعن هذه العقيدة تنبثق انظمة الحياة ، وتتفرع الاصلاحات الحقيقية التي يتطلبها النهوض .

فالعامل الرئيسي للاصلاح هو العامل الفكري ، وهو العقيدة ، وهو الاساس الوحيد الذي عليه تبنى الانظمة والحضارة والدولة ، وبه ندرك حقيقة حضارتنا ومفاهيمنا ، ولا نقع في الخطأ الفاحش في قبول الحضارات والمفاهيم الاخرى . فالى الايمان نسلك طريقه ، والى الفكر الاسلامي نحمل قيادته لنا وللعالم اجمع .

الغزو السياسي للعالم الاسلامي

لم يكن ضعف ملوك الاندلس واختلافهم هو السبب الحقيقي لذهاب الاندلس والقضاء على الاسلام فيها ، وان كان هذا الضعف وهذا الاختلاف قد ساعد على ذهاب هذه البلاد . والسبب الحقيقي والمباشر لغزو الاندلس يرجع الى الانتقام الذي تأصل في نفوس الغربيين من جراء الحروب الصليبية . وذلك ان الغرب بعد اخفاقه الذريع في الحروب الصليبية ، وطرده من الشرق شر طرد ، ظلت في نفسه حرقة من هذه الهزيمة ، وامتلأ قلبه حقداً وبغضاً وكراهية للمسلمين . وكان يتعذر عليه ان يعاود الكرة على الشرق ، فقد كانت قوته على اختلاف اهله كافية لصده والقضاء على محاولاته ، فرأى ان امر هذا الانتقام ميسور في الغرب من الاندلس ، لذلك وجه حملته اليها ، وقضى عليها قضاء وحشيا استعمل فيه محاكم التفتيش والمقاصل وبيوت النيران ، مايزيد وحشية على فعل الوحوش ، مما يعتبر عاراً على الغرب . وزاد انتقامه ما اظهره المسلمون من تخاذل عن نصرة الاندلس ، وكانوا اقوياء وفي وضع حربي يمكنهم من نصرة تلك البلاد . ولكنهم تقاعسوا وتركوا تلك البلاد لقمة سائغة ، وبذلك اطمعوا الغرب في ان يفكر في خطوة اخرى للانتقام . ولولا قوة المسلمين - ولا سيما الدولة العثمانية - لتتابعت غزوات الغربيين لبلاد الاسلام . ولكن قوة المسلمين وغزو العثمانيين لاوروبا وفتحهم لها ، ارهب الغربيين ، وحملهم على التريث في غزو المسلمين والانتقام من بلاد

الاسلام ، حتى لايهزموا في حرب صليبية ثانية . ولذلك وقف الغزو الغربي لبلاد الاسلام الى مابعد منتصف القرن الثامن عشر ، وحينئذ اخذ الركود يخيم على العالم الاسلامي برمته فقد تخلى عن حمل الدعوة الاسلامية عن طريق دولي فخفتت حرارة الاسلام في النفوس ، وكان من جرائها ان زالت هيبتهم من نفوس اعدائهم ، وحينئذ نشطت الغزوات الثقافية والتبشيرية في الشرق الاسلامي ، وبدأت تصاحبها الغزوات السياسية لاقتطاع بلاد الاسلام جزءاً جزءاً ، ولتمزيق العالم الاسلامي والقضاء عليه . وقد تم لهم ذلك بالفعـــل ونجحوا نجاحاً باهراً .

فان روسيا في عهـــد كاترينا (١٧٦٢ – ١٧٩٦) م حاربت العثمانيين وتغلبت عليهم واقتطعت بعض اراضيهم ، وأخذت منهم مدينة آزوف وشبه جزيرة القرم ، واستولت على جميع الحوض الشمالي للبحر الاسود ، وأنشأت مدينة سباستبول قاعدة لها في شبه جزيرة القرم ، كما انشأت ميناء اوديسا التجاري على البحر الاسود . وأصبحت روسيا عاملا هاماً في سياسة الدولة العثمانية الخارجية ، وصارت صاحبة السيادة في الامارات الرومانية ، واعتبرت نفسها حامية المسيحية في الدولة العثمانية . ثم اقتطعت من تركيا في سنة ١٨٨٤م التركستان ، ثم اكملت احتلالها للقفقاس جميعه . ولم يقتصر الامر على روسيا وحدها ، بل شمل ذلك بقية الدول الغربية . ففي اول تموز سنة ١٧٩٨ م ، هاجم نابليون مصر واستولى عليها . وفي شباط سنة ١٧٩٩ م هاجم الجزء الجنوبي من سوريا واستولى على غزة والرملة ويافا ، ووقف على حصون عكا. الا ان حملته هذه لم توفق ، فرجع الى مصر ثم رجع الى فرنسا وفشلت الحملة سنة ١٨٠١ م . ومع ان حملته هذه لم توفق ، فقـد اثرت على كيان الدولة العثمانية ، وكانت هزة عنيفة لها ، وتتابعت سائر الدول تهاجم العالم الاسلامي ،

وتستولي علي اجزائه . فقد احتل الفرنسيون سنة ١٨٣٠ م الجزائر وتطلعوا الى احتلال تونس وعملوا لذلك حتى احتلوها سنة ١٨٨١ م ثم احتلوا مراكش سنة ١٩١٢ م ، كما احتلت ايطاليا طرابلس سنة ١٩١١ م ، فتم بذلك اقتطاع شمال افريقيا ، وسلخه عن حكم الاسلام وجعله خاضعاً لحكم الكفر ، مستعمراً له .

ولم يكتف الغربيون بذلك بل اكملوا الاستيلاء على البقية الباقية ، فقد استولت بريطانيا على عدن سنة ١٨٣٩ م وبسطت حمايتها على لحج والمحميات التسع من حدود اليمن الجنوبية الى شرق الجزيرة . وكان الانكليز قد استولوا على الهند قبل ذلك التاريخ بمدة طويلة ؛ وانتزعوا باستعمارهم لها سيادة المسلمين ، واناخوا بكلكلهم عليهم بنوع خاص ، اذ كان المسلمون هم اصحاب السيادة في الهند ، فانتزعها الانكليز منهم واستعمروها واخذوا يعملون على اضعاف موقف المسلمين فيها بوجه عام . ثم في سنة ١٨٨٢ م استولت بريطانيا على مصر ، وفي سنة ١٨٩٨ م استولت على السودان . كما كانت هولندا تسيطر على جزر الهند الشرقية ، وحصرت افغانستان تحت الضغط الانكليزي والروسي ، كما حصرت ايران ، واشتدت حملة الغربيين في كل مكان على العالم الاسلامي ، حتى شعر جميعه بتعرضه للسقوط نهائياً تحت نير الغرب ، وشعر ان الحملة الصليبية تجددت تحرز الانتصار تلو الانتصار ، وصار يتشبث باعمال لوقف هذا الزحف الغربي عند حده ، او للتخفيف من ثقل كابوسه . فحدثت حركات من المقاومة للغربيين في اكثر من مكان ، فشبت ثورة في الجزائر ، وهب المسلمون في الصين ، وقام المهديون في السودان ، واشتعلت الثورة السنوسية ، وتمركزت حركة محمد علي باشا

فكان كل ذلك دليلا على الحيوية الكامنة في العالم الاسلامي رغم ركوده وضعفه ، الا ان هذه المحاولات كلها اخفقت نهائيا ، ولم تنقذ العالم الاسلامي ، ولم يقف الغرب عند حده في الغزو بل استمر الغزو بقسميه السياسي والثقافي ، ولم يقتصر على اقتطاع اجزاء العالم الاسلامي ، بل اخذ يعمل للقضاء على الدولة العثمانية باعتبارها الدولة الاسلامية التي تمثل المسلمين فقد اقام داخل الدولة التركية الحركات القومية ، اذ اخذت الدول الاجنبية تحرض شعوب البلقان على الثورة منذ سنة ١٨٠٤ م ، وتمدهم لهذه الثورات ، حتى انتهت ثوراتهم بالاستقلال سنة ١٨٧٨م كما حرضت هذه الدول اليونان على الثورة منذ سنة ١٨٢١ م ، حتى انتهت ثورتهم بسبب تدخل الاجنبي باستقلال اليونان عن تركيا سنة ١٨٣٠ م ، وتتابعت سائر بلاد البلقان حتى تقلص ظل الدولة العثمانية بوصفها دولة اسلامية عن البلقان وعن كريت وقبرص واكثر جزر البحر الابيض المتوسط ، واستعمل الغربيون انواع الوحشية مع المسلمين في البلقان وجزر البحر المتوسط ، فاجلوا الكثيرين منهم عن ديارهم اجلاءاً مما حمل الكثيرين ايضاً منهم على الرحيل فراراً بدينهم من وحشية الكفر ولجأوا الى بلاد العرب بوصفها بلاداً اسلامية ، وجزءاً من الدولة الاسلامية ، وما هؤلاء الجركس والبوشناق والشاشان وامثالهم الا ابناء اولئك الابطال من المسلمين الذين لم يرضوا ان يخضعوا لحكم الكفر ، وفروا بدينهم الى ديار الاسلام والى حكم الاسلام .

ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل قام الغربيون — بوسائلهم الخفية — بتشجيع الحركات الانفصالية عند المسلمين انفسهم في داخل كيان الدولة بين الترك والعرب . فشجعوا الحركات القومية ، وشجعوا — بل ساعدوا — على قيام الاحزاب السياسية التركية والعربية ، كحزب تركيا الفتاة ، وحزب

الاتحاد والترقي ، وكحزب الاستقلال العربي ، وحزب العهد الخ .. مما جعل كيان الدولة داخلياً في اضطراب واهتزاز ، فأخذ يميد تحت هذه الاحداث الداخلية مع الغزوات الخارجية ، وما ان جاءت الحرب العالمية الاولى، حتى وجد الكفر الممثل بالغرب حينئذ الفرصة مواتية ليوجه الحملة على العالم الاسلامي، فيستولي على الباقي من بلاده ، ويقضي على آخر دولة اسلامية ، ويبيدها من الوجود . فدخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى التي انتهت بانتصار الحلفاء وهزيمتها ، فتقاسم الغربيون جميع العالم الاسلامي غنيمة لهم ، ولم تبق منها الا بلاد الترك التي صار يطلق عليها اسم (تركيا) ، وبقيت بعد الحرب تحت رحمتهم منذ انتهاء الحرب سنة ١٩١٧م حتى سنة ١٩٢١م حيث استطاعت الاستقلال بعد تأمينها للحلفاء القضاء على دولة الاسلام .

القضاء على الدولة الاسلامية

انتهت الحرب العالمية الاولى واعلنت الهدنة بين المتحاربين بعد ان انتصر الحلفاء انتصاراً باهراً ، وتحطمت الدولة العثمانية وتفككت الى اجزاء صغيرة واستولى الحلفاء على بلاد العرب جميعها : مصر وسوريا وفلسطين وشرق الاردن والعراق ، وسلخوها عن الدولة ، ولم يبق في يد العثمانيين سوى بلاد الاتراك (تركيا) ؛ وهذه نفسها قد دخلها الحلفاء ، فقد استولت البوارج الانكليزية على البسفور ، واحتلت الجيوش الانكليزية قسماً من العاصمة وكل قلاع الدردنيل والمواضع الحربية الهامة في جميع انحاء تركيا ، واحتلت الجيوش الفرنسية قسماً من استانبول وملأ جنودها السنغاليون الشوارع . واحتلت الجيوش الايطالية بيرا وخطوط السكك الحديدية ، واشرف ضباط الحلفاء على شؤون البوليس والحرس الوطني وعلى الميناء ، وجردوا القلاع من اسلحتها ، واخذوا يسرحون قسماً من الجيش التركي ، وانحلت جمعية الاتحاد والترقي ، وفر جمال باشا وانور باشا الى خارج البلاد ، واختفى باقي اعضاء الجمعية وتألفت حكومة هزيلة برئاسة توفيق باشا للقيام بتنفيذ اوامر الاعداء المحتلين . وكان الخليفة حينئذ وحيد الدين . وكان يرى انه امام الامر الواقع ، وانه يجب ان ينقذ الموقف بالاسلوب الحكيم ، فحل البرلمان واسند رياسة الوزارة الى اخلص اصدقائه فريد ، فأيده في نظرته التي كانت ترمي الى مجاملة الحلفاء وعدم اي مقاومة ، لئلا تسبب دمار البلاد . لاسيما

وان الحرب قد انتهت . ونفذ خطته هذه . وظلت الحال كذلك ، اذ ظل الحلفاء مسيطرين وظلت تركيا في حالة خمود حتى اواسط سنة ١٩١٩ م ، فتبدلت الاحوال ، وطرأ على موقف الحلفاء الضعف فقد حصلت في كل من ايطاليا وفرنسا وانكلترا متاعب داخلية بين الشعب كانت جدية الى حد انها تنذر بتصدع صفوفهم الداخلية . ودب الخلاف بين الحلفاء انفسهم ، وظهر بشكل سافر في استانبول بين الممثلين، اذ كان الشجار بينهم ظاهراً وتنافسوا على الغنيمة ، وطمع كل منهم في ان ينال حصة الاسد من المراكز العسكرية والامتيازات الاقتصادية ؛ وصار في امكان تركيا ان تجرب آخر سهم لانقاذ موقفها ، بعد ان وصل ضعف الحلفاء واختلافهم الى حد ان صاروا يثيرون الاتراك ضد بعضهم ، ويساعدونهم على بعضهم . وكان مؤتمر الصلح لم يعقد بعد ، وشروط الصلح لم توضع . ولذلك بدت تلوح في الافق بوادر الامل ، وصار عند الناس اعتقاد بامكان تنظيم حركة مقاومات جدية . وتألفت في استانبول اكثر من عشر جمعيات سرية ، هدفها سرقة الاسلحة والمستودعات الخاضعة لاشراف العدو ، وارسالها الى منظمات سرية في داخل البلاد . وكان بعض الرجال الرسميين يساعدون في ذلك ، فقد كان عصمت وكيلا لوزارة الحرب ، وفوزي رئيس اركان الحرب ، وفتحي وزيراً للداخلية ، ورؤف وزيراً للبحرية ، وكان جميعهم يساعد في هذه الحركات . ولذلك قامت جمعيات متعددة مهمتها المقاومة السرية للعدو ، ونشطت جمعية الاتحاد والترقي وانضم بعض الجيوش النظامية لهذه الحركات ، ثم تجمعت في حركة واحدة قادها مصطفى كمال ، وقام بحركة تحريرية لمقاومة الحلفاء وطردهم من البلاد ، ولمقاومة جيش الخليفة اذا تصدى لهم ، ونجح مصطفى كمال في ذلك الى حد كبير .

ثم رأى ان الحكومة المركزية والسلطان في استانبول واقعان تحت سيطرة الاعداء، وانه يجب ان تقوم حكومة وطنية في الاناضول .

فقام بعقد مؤتمر وطني في سيواس ، نوقشت فيه الوسائل والأساليب الكفيلة بالاحتفاظ باستقلال تركيا ، وقد اتخذ المؤتمر قرارات ، وانتخب لجنة تنفيذية ، واختار مصطفى كمال رئيساً لهذه اللجنة . وارسل هذا المؤتمر انذاراً الى السلطان يطلب فيه عزل رئيس الوزراء فريد ، واجراء انتخابات لبرلمان جديد حر . فاضطر السلطان تحت هذا الضغط ان يخضع لطلبات المؤتمر فعزل رئيس الوزراء ، وولى مكانه علي رضا ، وامر باجراء انتجابات جديدة خاض غمارها رجال المؤتمر ككتلة تريد انقاذ البلاد ، وفازوا بالاكثرية الساحقة في البرلمان الجديد .

وعلى اثر هذا الفوز انتقل المؤتمر ورجاله الى انقره ، وصارت منذ ذلك الوقت مركز العمل لانقاذ تركيا . وقد عقد نواب المؤتمر اجتماعا في انقرة عرضوا فيه اقتراحاً بان يجتمع البرلمان في استانبول ، وان يحل المؤتمر بعدان صار اعضاؤه نوابا رسميين . لكن مصطفى كمال قاوم هاتين الفكرتين وقال : (ان المؤتمر ينبغي ان يستمر حتى يظهر مدى التزام البرلمان للعدالة وتستبين سياسته ، اما الانتقال الى العاصمة فليس سوى حماقة جنونية ، انكم لو فعلتم ذلك لاصبحتم تحت رحمة العدو الاجنبي ، فالانجليز مازالوا هم المسيطرين على البلاد ، وسوف تتدخل السلطات في اموركم ، وربما اعتقلتكم . واذن ينبغي ان يعقد البرلمان هنا في انقرة كي يظل حراً مستقلا) واصر مصطفى كمال اصراراً كلياً على رأيه ولكنه لم يفلح باقناع النواب ان يعقد البرلمان جلساته في انقرة . وذهب النواب الى العاصمة ، واعربوا للخليفة عن ولائهم له . ثم عكفوا على عملهم . وكان ذلك في كانون الثاني سنة ١٩٢٠م وقد حاول السلطان

ومن ورائه الانكليز ان يملوا ارادتهم على النواب . فرفضوا واظهروا تمسكهم بحقوق البلاد ، ولما اشتد الضغط عليهم من قبل الحلفاء نشروا للرأي العام ميثاقهم الوطني الذي قرروه في مؤتمر سيواس، وهو الميثاق المشتمل على الشروط والمبادىء التي يقبلون السلام على اساسها . وأهمها ان تكون تركيا حرة مستقلة داخل نطاق حدود مقررة . فسر ذلك الحلفاء ولا سيما الانكليز ، لان هذا القرار هو الذي يسعون اليه ، ويسعون ان يأتي من اهل البلاد انفسهم. ويلاحظ ان جميع البلاد التي كانت الدولة العثمانية تحكمها بوصفها دولة اسلامية ، قد وضعت لها عقب الحرب العالمية الاولى ميثاقاً وطنياً يتضمن نصاً واحداً ، هو استقلال الجزء الذي اراده الحلفاء ان يكون بلداً منفصلا. فالعراق وضعت ميثاقاً وطنياً يتضمن استقلال العراق ، وسوريا وضعت ميثاقاً يتضمن استقلال سوريا ، وفلسطين كان ميثاقها الوطني يتضمن استقلال فلسطين ، ومصر كان ميثاقها الوطني يتضمن استقلال مصر ، وهكذا .. ولهذا كان من الطبيعي ان يسر الحلفاء ، ولا سيما الانكليز ، بالميثاق الوطني التركي ، لانه جاء وفق مايريدون ، لان خطتهم تقطيع اوصال الدولة العثمانية ، وتقسيمها الى دول حتى لاتعود دولة واحدة قوية ، وحتى يقضى على دولة المسلمين . ولولا هذا الميثاق الوطني الذي نجح الحلفاء باقراره في كل مكان لكان للامر وجه آخر ، وذلك لان الدولة العثمانية كانت دولة واحدة تعتبر جميع ولاياتها جزءاً منها ، وهي سائرة على نظام الوحدة لا الاتحاد ؛ فلم يكن هنالك فرق بين الحجاز وتركيا ، ولا بين سنجق الفرس وسنجق الاسكندرونة اذ كلها دولة واحدة ؛ وهزيمة تركيا كهزيمة المانيا سواء بسواء ، اذ هما حليفتان في الحرب وما ينطبق على واحدة من شروط الصلح ينطبق على الاخرى؛ واذا كانت المانيا لم يفرط اهلها بشبر من بلادها ، ولم تقطع اوصالا ، فكذلك

يجب ان يكون الحال في الدولة العثمانية : لايجوز ان تقطع اوصالا . وكان الحلفاء يعرفون ذلك ، ويحسبون له الف حساب . اما وقد طلب العثمانيون انفسهم ان تقطع دولتهم اجزاء طلبه العرب ، وطلبه الترك على السواء ، فما اسرع مايقبل ذلك الحلفاء ويشجعونه ، ولا سيما من مركز الدولة (تركيا) لانها كانت تمثل اكثرية الحكم في الدولة .

ولهذا اعتبر الحلفاء الميثاق الوطني التركي الانتصار النهائي لهم . وعلى اثر نشره تركوا الاتراك حرية المقاومة ، وصاروا ينسحبون من كل مكان فسحبت القوات الانكليزية والفرنسية من داخل البلاد واشتدت عزائم الاتراك ، وقامت في البلاد حركة مقاومة للعدو انقلبت الى ثورة ضد السلطان ، مما جعله يجهز جيشاً ويرسل لها حملة قوية قاومتها وقضت عليها . وصار الناس كلهم مع السلطان ما عدا انقرة التي كانت مركز الثورة . وكانت انقرة ذاتها على وشك السقوط ، فقد كانت القرى المحيطة بها تنضوي واحدة بعد الاخرى تحت لواء السلطان ، وتنضم الى جيش الخليفة . وصار مصطفى كمال ومن معه في انقرة في حالة حرجة جداً . الا ان مصطفى كمال صمم على المقاومة ، وأشعل في الوطنيين نار حماسة جديدة ، فاشتدت عزائمهم ، وشاعت في اقاليم تركيا واقراها انباء عن احتلال الانجليز للعاصمة ، واعتقالهم الوطنيين ، واغلاقهم دار البرلمان بالقوة ، وموآزرة السلطان وحكومته لهم . فتغير الموقف . فانصرف الناس عن السلطان ، وانحاز الرأي العام الى الوطنيين في انقرة ، واقبل الرجال والنساء على انقرة ، يتطوعون للدفاع عن تركيا . وفر كثيرون من جيش الخليفة وانضموا الى جيش مصطفى كمال ، الذي اصبح محط انظار الاتراك ومعقد آمالهم . وقد قويت جبهته وصارت اكثرية البلاد في قبضته ، فأصدر منشوراً بالدعوة الى انتخاب برلمان جديد ، يكون مقره انقرة . وحصل

الانتخاب ، فاجتمع النواب الجدد ، واطلقوا على انفسهم « الجمعية الوطنية الكبرى » واعتبروا انفسهم الحكومة الشرعية ، ثم انتخبوا مصطفى كمال رئيساً للجمعية . وصارت انقرة مركز الحكومة الوطنية . وانضم اليها جميع الاتراك . فقام مصطفى كمال وسحق ما تبقى من جيش الخليفة ، وأنهى الحرب الاهلية ، ثم تفرغ لمحاربة اليونان واشتبك معهم في معارك دامية كان النصر حليفهم في اول الامر ، ثم تحولت الامور وصارت كفته هي الراجحة وما ان جاء شهر آب سنة ١٩٢١ م حتى قام بهجوم خاطف ، انتهى بانتصاره على اليونانيين الذين كانوا يحتلون ازمير وبعض شواطىء تركيا . وفي اوائل شهر ايلول سنة ١٩٢١ م ارسل الى عصمت ليقابل هارنجتون للاتفاق على التفصيلات . وهناك وافق الحلفاء على طرد اليونانيين من تريس وجلائهم عن القسطنطينيه وتركيا باسرها. والظاهر من تتبع خطوات مصطفى كمال ان موافقة الحلفاء هذه كانت مقابل ان يقضي مصطفى كمال على الحكم الاسلامي ، ولذلك تجده حين ناقشته الجمعية الوطنية في امر تركيا بعد الانتصارات التي احرزها ، خاطبها بقوله : (أنا لست مؤمناً بعصبة من الدول الاسلامية ، ولا حتى بعصبة من الشعوب التركية ، ولكل منا ان يعتنق الرأي الذي يراه . أما الحكومة فينبغي ان تلتزم سياسة ثابتة مرسومة مبنية على الحقائق لها هدف واحد ، واحد فقط : ان تحمي حياة الوطن واستقلاله داخل نطاق حدوده الطبيعية ، فلا العاطفة ولا الاوهام ينبغي ان تؤثر في سياستنا ، وسحقا للاحلام والخيالات ، لقد كلفتنا غاليا في الماضي) .

وهكذا أعلن انه انما يريد استقلال تركيا كامة تركية لا كامة اسلامية . وقد طلب اليه بعض النواب ورجال السياسة ان يبين رأيه فيما ينبغي ان تكون عليه الحكومة في تركيا الجديدة ، فليس من المعقول ان تكون لها

حكومتان كما هو الوضع القائم حينئذ : حكومة مؤقتة ذات السلطان مقرها أنقره ، وحكومة رسمية (اسمية) في العاصمة يرأسها السلطان ووزراؤه . وقد الح السياسيون بطلب بيان رأيه في هذا الوضع ، فلم يجبهم ، واخفى نواياه ، وصار يثير الرأي العام على الخليفة وحيد الدين ، بانه مالأ الانكليز واليونان حتى اثار هياج الشعب عليه . وفي وسط هذا الجو الحماسي له ، والمقت للسلطان ، جمع الجمعية الوطنية ليبين خطته في امر السلطان والحكومة . وكان يعلم انه قد يستطيع اقناع النواب بخلع وحيد الدين ، وبالغاء السلطنة ، لكنه لا يجرء على مهاجمة الخلافة ، فذلك من شأنه ان يمس المشاعر الاسلامية في الشعب جميعه . لذلك لم يلغ الخلافة ولم يتعرض لها ، وانما اقترح ان يفصل بين السلطنة والخلافة ، فتلغى السلطنة ويخلع وحيد الدين . وما ان سمع النواب هذا الاقتراح حتى وجموا ، وأدركوا خطر هذا الاقتراح الذي يطلب اليهم ان يقرروه . وأرادوا ان يتناقشوا في الامر ، فخشي مصطفى كمال من هذه المناقشة ، وطلب اخذ الرأي على الاقتراح ، وايده في ذلك ثمانون نائبا من انصاره الشخصيين ، الا ان المجلس رفض ذلك واحال الاقتراح الى لجنة الشؤون القانونية كي تبحثه . وحينما اجتمعت اللجنة في اليوم التالي حضر مصطفى كمال في القاعة التي اجتمعت فيها ، وجلس يرقب اعمالها ، فلبثت تناقش في الاقتراح بضع ساعات ، وكان اعضاؤها من العلماء والمحامين وكانوا يعرضون هذا الاقتراح على النصوص الشرعية ويرونه مخالفاً للشرع ، اذ لا يوجد في الاسلام سلطة دينية واخرى زمنية ، فالسلطنة والخلافة شيء واحد ولا يوجد هنالك شيء يسمى الدين ، وشيء يسمى الدولة ، بل هنالك نظام الاسلام ، وتعتبر الدولة جزءاً من هذا النظام ، وهي التي تقوم على تنفيذه . ولذلك لم تجد اللجنة القانونية ما يبرر

هذا الفصل ، بل لم تجد ما يبرر هذا البحث ، لان نصوص الاسلام صريحة فيه ولذلك صمم على رفض الاقتراح ، لكن مصطفى كمال كان يريد فصل الدين عن الدولة بفصل السلطنة عن الخلافة ، وذلك اجابة لطلب الحلفاء منه ، حتى يقضوا على آخر دولة اسلاميه على يد اهلها ، ولان ثقافته الاستعمارية التي يقلد فيها الغربيين في فصل السلطة الزمنية عن السلطة الروحية ، كما فصلت الكنيسة عن الدولة في الغرب . ولهذا فان مصطفى كمال حين رأي مناقشات اللجنة واتجاهها فقد سيطرته على اعصابه ، وقفز فجأة واعتلى مقعدا وهو يتميز من الغيظ ، وقطع مناقشات اللجنـــة صائحاً (ايها السادة لقد اغتصب السلطان العثماني السيادة من الشعب بالقوة ، وبالقوة اعتزم الشعب ان يستردها منه ، ان السلطنة يجب ان تفصل عن الخلافة وتلغي . وسواء وافقتم ام لم توافقوا فسوف يحدث هذا ، كل ما في الامر ان بعض رؤوسكم سوف تسقط في غضون ذلك) وكان يتكلم بلجهة الديكتاتور فانفض اجتماع اللجنة ، ثم دعيت الجمعية الوطنية من فورها لتناقش الاقتراح . ولدى مناقشتها له تبين لمصطفى كمال ان الاتجاه الغالب يميل الى رفض هذا الاقتراح . فجمع انصاره حوله وطلب اخذ الرأي على الاقتراح برفع الايدي مرة واحدة ، فاعترض النواب ذلك وقالوا : ان كان لا بد من اخذ الرأي فليكن بالمناداة بالاسم . فرفض مصطفى كمال ذلك ، وصاح - وفي صوته رنة التهديد - قائلا : (انا واثق من ان المجلس سيقبل الاقتراح باجماع الاراء . ويكفي اخذ الاصوات برفع الايدي . وطرح الاقتراح للتصويت ؛ فلم ترفع غير أيد قليلة ، لكن النتيجة أعلنت بان المجلس أقر الاقتراح باجماع الاراء ؛ فدهش النواب لذلك ، وقفز بعضهم فوق مقاعدهم محتجين صائحين :

(هذا غير صحيح . نحن لم نوافق) فصاح بهم انصار الغازي يسكتونهم، وتبادلوا الشتائم . الا ان الرئيس اعلن النتيجة مرة اخرى بأن الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا قررت باجماع الاراء الغاء السلطنة ، ثم فضت الجلسة . وغادر مصطفى كمال القاعة يحيط به انصاره . ولما علم الخليفة وحيدالدين بذلك فر هاربا . وعلى اثر اعلان فراره نودي بان اخيه عبد المجيد خليفة للمسلمين ، مجرداً من كل سلطان . وبذلك صار الخليفة من غير سلطان . وظلت البلاد من غير حاكم شرعي . واذا كانت السلطنة قد فصلت عن الخلافة فمن الذي يحكم ؟ لقد كان مصطفى كمال حريصاً على فصل السلطنة عن الخلافة حرصاً شديداً ، جعله يقدم عليه قبل ان يعين شكل الحكم الذي - ستكون عليه تركيا - ولذلك صار يتعين البت في شكل الحكومة الجديدة بعد الغاء السلطنة (هل يؤلف مصطفى كمال الوزارة وحينئذ يكون رئيساً لحكومة دستورية، ويبقى الخليفة صاحب السلطة ولا اثر لقرار الالغاء ؟ لم يقبل مصطفى كمال ان يؤلف الوزارة . واخفى ما هو عازم عليه . وقام بعد ذلك بواسطة القوة والسلطة التي يحملها ، ويتحكم بواسطتها بالشعب قام بتأليف حزب سماه حزب الشعب . وكان يقصد من ذلك ان يأخذ الرأي العام بجانبه . اذ انه بالرغم من هذا فان الاغلبية الساحقة في الجمعية كانت ضده بعد اعلان فصل السلطنة عن الخلافة ، ولذلك اخذ يفكر في امر اعلان شكل الحكومة التي قررها ، وهي اعلان تركيا جمهورية ، واعلان نفسه رئيسا لها . وعمل على ايقاع الجمعية في ازمات حرجة كان من جرائها ان استقالت الوزارة ، التي كانت تحكم، وقدمت استقالتها للجمعية الوطنية ، ولم تجد الجمعية من يتولى الوزارة . وبعد

تركيا تصبح جمهورية

ازمة مستحكمة اقترح على الجمعية ان يتولى الوزارة مصطفى كمال ، فقبلت للظروف العصيب الذي كانت تجتازه . وطلبت الى مصطفى كمال ان يتولى الوزارة ويحل الازمة . فأظهر الامتناع اولا، ثم اجاب الطلب وصعد المنصه وقال للنواب : لقد ارسلتم في طلبي كي انقذ الموقف في لحظة الحرج . لكن هذا الحرج من صنعكم انتم ، فليس منشأ هذه الازمة امراً عابراً ، بل خطأ اساسياً في نظام حكومتنا ، فالجمعية الوطنية تقوم بوظيفة السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في وقت واحد ، وكل نائب منكم ينبغي ان يشترك في اصدار كل قرار وزاري ، ويدس اصبعه في كل ادارة حكومية وكل قرار لوزير ايها السادة مامن وزير يستطيع ان يضطلع بمسؤولية ، ويقبل المنصب في مثل هذه الظروف . يجب ان تدركوا ان حكومة تقوم على هذه الاسس لهي حكومة يستحيل ايجادها . واذا وجدت لم تكن حكومة ، بل كانت فوضى ونحن يجب ان نعتبر هذا الوضع . لذلك اقرر ان تصير تركيا جمهورية لها رئيس يختار بطريق الانتخاب . وبعد ان انهى كلامه كان قد اعد المرسوم بجعل تركيا جمهورية ، وانتخاب مصطفى كمال اول رئيس للجمهورية التركية وبذلك جعل نفسه الحاكم الشرعي للبلاد .

مصطفى كمال الرئيس الاول للجمهورية التركية

الا ان الامور لم تسر كما يريد مصطفى كمال ، فان الشعب التركي شعب مسلم ، ومافعله مصطفى كما يخالف الاسلام . لذلك سادت البلاد فكرة مؤداها ان مصطفى كمال يعتزم القضاء على الاسلام ، وايدت هذه الفكرة تصرفات كمال نفسه ، فانه كان متنكراً للاسلام في حياته الخاصة مخالفاً لكل التقاليد

تذمر المسلمين من مصطفى كمال واعوانه

الاسلامية : يظهر السخرية من كل الاوضاع المقدسة عند المسلمين . وتيقن الناس في جمهرتهم ان حكام انقرة الجدد كفرة ملاعين . وصار الناس يلتفون حول الخليفة عبد المجيد ، ويحاولون ان يرجعوا اليه السلطنة ، وان يجعلوه هو الحاكم ليقضي على هؤلاء المرتدين . فادرك مصطفى كمال الخطر بحسه ورأى ان اكثرية الشعب تكرهه ، وتتهمه بالزندقة والكفر والالحاد ، وفكر في الامر ونشط في الدعاية ضد الخليفة والخلافة ، واثار حماسة الجمعية الوطنية حتى سنت قانوناً يقضي باعتبار كل معارضة للجمهورية وكل ميل الى السلطان المخلوع خيانة يعاقب عليها بالموت . ثم اخذ يتحدث عن اضرار الخلافة في كل مجلس ، ولاسيما للجمعية الوطنية ، واخذ يهيء الاجواء لالغاء الخلافة ، فقام

الغاء الخلافة

بعض النواب يتحدثون عن فائدة الخلافة لتركيا من الوجهة الدبلوماسية ، فقاومهم مصطفى كمال ، وقال للجمعية الوطنية : اليس من اجل الخلافة والاسلام ورجال الدين قاتل القرويون الاتراك وماتوا طيلة خمس قرون ؟ لقد آن ان تنظر تركيا الى مصالحها ، وتتجاهل الهنود والعرب ، وتنقذ نفسها من تزعم الدول الاسلامية .

وهكذا سار مصطفى كمال في دعايته ضد الخلافة يبين اضرارها للاتراك ، كما يبين اضرار الخليفة نفسه ، ويصوره وانصاره في صورة الخونة ، ويظهرهم بمظهر الصنائع للانجليز . ولم يكتف بذلك . بل اوجد موجة ارهاب ضد من يؤيدون الخلافة ، فان احد النواب قد صرح بلزوم الخلافة والمحافظة على الدين فما كان من مصطفى كمال الا ان كلف شخصاً باغتياله في الليلة التي تكلم فيها فاغتاله شخص من اتباع مصطفى كمال وهو راجع الى بيته من الجمعية الوطنية

والقى احد النواب خطاباً اسلامياً فاحضره مصطفى وهدده بالشنق اذا فتح فمه بمثلها مرة اخرى . وهكذا نشر الرعب في طول البـــلادوعرضها ، ثم ارسل الى حاكم استامبول يأمره بوجوب الغاءمظاهر الابهة التي تحيط بموكب الخليفة اثناء تأدية صلاة الجمعـــة ، وخفض مرتب الخليفة الى الحد الادنى . وانذر اتباعه بوجوب التخلي عنه ، ولمالاحظ ذلك بعض المعتدلين من انصار مصطفى كمال اخذتهم الحميـة الاسلامية وخافوا من الغـاء الخلافة ، والتمسوا من مصطفى كمال ان ينصب نفسه خليفة للمسلمين . فلم يقبل ، ثم جاءه وفدان احدهما من مصر والآخر من الهند، وطلبا اليه ان ينصب نفسه خليفة للمسلمين وكررا الرجاء ولكنه رفض ذلك وهيأ ضربته القاصمة باعلان الغاء الخلافة . واثار في الاجواء عنـد الشعب وعند الجيش وعنـــد الجمعية الوطنية الحنق والبغض للاجانب وللاعداء ولحليفهم الخليفة ، وسمم الجو بالاشاعات المثيرة ضد الخليفة . ولما سيطر هذا الجو على البلاد تقدم مصطفى كمال في الثالث من شهر ايار سنة ١٩٢٤ م الى الجمعية الوطنية بمرسوم يقضي بالغاء الخلافة ، وطرد الخليفة وفصل الدين عن الدولة ، وكان مما قاله للنواب حين تقدم بهذا المرسوم لاقراره (بأى ثمن يجب صون الجمهورية المهددة وجعلهـا تقوم على اسس علمية متينة ؟ فالخليفة ومخلفات آل عثمان يجب ان يذهبوا ، والمحاكم الدينية العتيقة وقوانينها يجب ان يستبدل بها محاكم وقوانين عصرية ، ومدارس رجال الدين يجب ان تخلى مكانتها لمدارس حكومية غير دينية) ثم حمل على الدين ومن سماهم رجال الدين . وبسلطة دكتاتورية اقر هذا المرسوم من الجمعية الوطنية بغير مناقشة ثم ارسل الى حاكم اسطانبول امراً يقضي بان يغادر الخليفة عبد المجيد تركيا قبل فجر اليوم التالي فذهب الحاكم ومعه حامية من رجال الشرطة والجيش

الى قصر الخليفة في منتصف الليل واجبروه ان يركب سيارة واقتادوه خارج الحدود . ولم يسمحوا له ان يحمل معه سوى حقيبة فيها بعض الثياب وبعض النقد.

قيام النظام الراسمالي مكان النظام الاسلامي

وهكذا هدم مصطفي كمال في ساعة واحدة كل اساس الدولة الاسلامية والنظام الاسلامي واقام النظام الرأسمالي ، والدولة الرأسمالية ، وبذلك قضى على الدولة الاسلامية ، وحقق للكفار حلمهم الذي داعبهم منـــذ الحروب الصليبية ، الا وهو القضاء على دولة الاسلام .

الحيلولة دون قيام الدولة الاسلامية

انتهت الحرب العالمية الاولى ، واستولى الحلفاء على جميع بلاد الدولة الاسلامية . وكان همهم القضاء على هذه الدولة قضاء نهائياً ، والعمل للحيلولة دون قيامها مرة اخرى ، فقسم الاستعمار الدولة العثمانية الى اجزاء جعل بينها حدوداً سياسية ، واوجد نظام الحكم الديمقراطي بالفعل ، وطبقه كما طبق النظام الرأسمالي ، وركز جهوده في ايجاد الافكار السياسية المغلوطة ، وفي الثقافة والتثقيف . فمنذ سنة ١٩١٧ م قام بتثبيت حكمه على الاسس التي رسمها ، ففي سوريا الشمالية حكم الفرنسيون القسم الغربي منها (لبنان) واقيم فيصل ملكاً على القسم الشرقي (سوريا) ، وظل كذلك حتى انتهى الخلاف بين بريطانيا وفرنسا عليها سنة ١٩٢٠ م وحينئذ طرد فيصل من سوريا ، واحتلت فرنسا القسم الشمالي من سوريا جميعه (سوريا ولبنان) ، وانتدبت عليها كما انتدبت بريطانيا على القسم الجنوبي من سوريا (فلسطين وشرق الاردن) واقامت في شرق الاردن امارة للامير عبد الله . وصارت تنفذ سياسة الوطن القومي في فلسطين .

تثبيت حكم الاستعمار في البلاد العربية

وفي العراق كان الاحتلال البريطاني قلقاً ، وظل العراق مضطرباً من هذا الاحتلال حتى ثار سنة ١٩٢١م ثورة دموية هائلة ، قتل فيها مايزيد على ثلاثين الف جندي بريطاني في معسكراتهم . وانتهت هذه الثورة باعطاء العراق

استقلالا ذاتياً صورياً ، وتنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق . وفي مصر كان الجو مكفهراً ، والاضطرابات متتالية . وظلت الحال كذلك الى ان اصدرت بريطانيا تصريحاً في ٢٨ شباط ١٩٢٢ م اعطت فيه مصر استقلالا صورياً . وفي الحجاز ترك الحسين بن علي قائد الثورة العربية يتولى حكمه ، ونصب ملكاً عليه ، وبايعه الناس في الحجاز كما بايعوه في بلاد الشام في مكان يسمى الشونه ، قرب نهر الاردن والبحر الميت ، وكان يطمع في الخلافة ، بحجة انه من آل البيت . وفي شمال افريقيا لم تنقطع الاضطرابات والثورات على فرنسا وايطاليا ، الا ان الحال كانت تهدأ شيئاً فشيئاً في جميع الاجزاء المنقطعة من الدولة العثمانية . وافادت المستكنات التي استعملتها بريطانيا وفرنسا وظل الحال كذلك حتى سنة ١٩٢٤ م وفي تلك السنة قامت اعمال عدة اجهز بها العدو ، ولا سيما بريطانيا ، على كل مافيه شبهة تمت الى قيام الدولة الأسلامية بصلة ففي تلك السنة اخرج الحسين بن علي من الحجاز ، لان له مطامع في الخلافة ، ولاصراره على رفض الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وفي تلك السنة الغى مصطفي كمال الخلافة من تركيا . وجعلها جمهورية ديمقراطية . وفي تلك السنة تدخل الانكليز بواسطة عملائهم في مؤتمر الخلافة الذي كان معقوداً في القاهرة ، وعملوا على فضه واخفاقه ، مع ان سياسة المؤتمرات بطبيعتها عقيمة لاتنتج ، ولكنهم خافوا من شبح البحث في الخلافة .

الاحداث الفظيعة سنة ١٩٢٤م

وفي تلك السنة صدرت في مصر مؤلفات تدعو لفصل الدين عن الدولة ، وتدعي ان الاسلام ليس فيه اصول للحكم ، وكانت هذه المؤلفات بتشجيع من الاعداء ، وفي تلك السنة ايضا اخذ الانكليز يعملون لالغاء جمعية الخلافة في الهند ، ولاحباط مساعيها ، وتحويل تيارها الى الناحية الوطنية والقومية

وفي تلك السنة وما يليها قامت في البلاد العربيه مجادلات بيزنطية حول موضوعين ، هما : هل الجامعة العربية اصلح واكثر امكانية ، ام الجامعة الاسلامية واشتغلت الصحف والمجلات مدة في هذا الموضوع ، مع ان كلا من الجامعة الاسلامية والجامعة العربية غير صالحة ، ووجودها يحول دون قيام الدولة الاسلامية . ولكن الاستعمار اوجد هذا الجدل لتحويل الاذهان . وبهذا استطاع ان يبعد عن الاذهان في البلاد الاسلامية - ولا سيما البلاد العربية - فكرة الخلافة ، وفكرة الدولة الاسلامية . وساعده على ذلك انه قام بتطبيق النظام الرأسمالي في الحياة ، والنظام الديمقراطي في الحكم ، وثبت حضارته ومدنيته ، وصار يحاول ان يركز وجهة نظره في الحياة ، فقد قام في سوريا ولبنان وفلسطين بتطبيق النظام الرأسمالي بنفسه ؛ لانه انتدب عليها . ثم اقام فيها النظام الديمقراطي الجمهوري ، واقام في كل من العراق والحجاز ومصر النظام الملكي ، كما اقام في شرق الاردن امارة . وبهذا جعل نظامه هو الذي يطبق ، وبتطبيقه اضعف في النفوس فكرة اعادة حكم الاسلام ، ولم يكتف بذلك ، بل جعل في نفس اهل البلاد فكرة المحافظة على النظام الذي اقامه ، اذ قد اعتبر اهل كل اقليم من هذه الاقاليم اقليمهم فقط دولة ومملكة . وصاروا يفهمون وجوب استقلاله عن غيره من الاقاليم ، وصار العراقي في سوريا اجنبياً ، والسوري في مصر اجنبياً ، وهكذا صار حكام كل بلد يحافظون على هذا النظام الرأسمالي الديمقراطي اكثر من محافظة اهله عليه . وصاروا موظفين بوظيفة الحراسة على ما اقام لهم المستعمر من نظام ودستور ، ويعتبرون تغييره حركة غير مشروعة يعاقب عليها قانون المستعمر الذي وضعهم لتنفيذه وقد ثبت المستعمر اركانه واقام جميع شؤونه على اساس سياسة التعليم التي رسمها ، والمناهج التربوية التي وضعها ، والتي ظلت تطبق حتى اليوم في كافة

تطبيق النظام الرأسمالي والديمقراطي في البلاد العربية

تثبيت المفاهيم المغلوطة عن الحكم في الاذهان

البلاد الاسلامية - ومنها البلاد العربية - وانتجت ماانتجته من هذه الجيوش الجرارة من المعلمين ، الذين يقوم اكثرهم على حراسة هذه البرامج وحمايتها والذين يتولى الكثيرون منهم زمام الامور ويسيرون وفق مايريد المستعمرون

سياسة التعليم الاستعمارية

وقد اقام الاستعمار سياسة التعليم ووضع مناهجه على اساسين اثنين : احدهما قيادته الفكرية ، التي تتضمن فصل الروح عن المادة ، وينتج عنها طبيعياً فصل الدين عن الدولة ، ولذلك يوجب ان يقوم ابناء المسلمين بمحاربة قيام دولة اسلامية ، لأنها تتناقض مع الاساس الذي تعلموا على سياسته . اما الاساس الثاني فهو جعل شخصية الاجنبي وتاريخه وحضارته ومفاهيمه ومكونات بلاده الاساس الاصلي لما تحشى به العقول الناشئة من معارف ومعلومات . وذلك يوجب احترام الاجنبي وتعظيمه ، ومحاولة محاكاته وتقليده ، ولو كان مستعمراً ، ويوجب احتقار المسلم ، والابتعاد عنه ، والاشمئزاز منه ، والاستنكاف عن الاخذ عنه ، والاهتمام به . وهذا يقتضي ايضاً محاربة قيام دولة اسلامية ، واعتبارها رجعية ، لانها تقرب من عهد الاسلام ، وتبعد عن الاجنبي ، الذي تركز في ذهنه احترامه . ولم يكتف بمناهج المدارس التي يشرف عليها ؛ او تشرف عليها الحكومات التي اقامها مقامه ، بل جعل الى جانبها المدارس التبشيرية ، التي تقوم على اساس استعماري محض ، والمعاهد الثقافية التي تأخذ على عاتقها التوجيه السياسي الخاطيء ، والتوجيه الثقافي المغلوط . وبذلك صار الجو الفكري في المدارس على اختلافها ، والمعاهد الثقافية على تنوعها ، يربي الامة تربية تبعدها عن التفكير في الدولة الاسلامية ؛ وتحول بينها وبين العمل من اجلها .

وقامت الى جانب ذلك ؛ المناهج السياسية في كافة الاجزاء التي كانت تكون الدولة العثمانية - قامت - على اساس فصل الدين عن الدولة .

المناهج السياسية الاستعمارية

ووجد بين المسلمين ولا سيما المثقفين عرف عام بان امر المطالبة بالخلافة تأخر وجمود لايجوز ان يصدر من مثقف ، ولا يقول به مفكر ، وصار العرف العام عند المثقفين هو فصل الدين عن الدولة، وعند عامة الشعب فصل الدين عن السياسة . وكان من جراء ذلك ان وجدت فئات من المثقفين تزعم ان سبب تأخر المسلمين تمسكهم بالدين ، وكان الطريق الوحيد للنهضة هو القومية والعمل لها . كما وجدت فئات تدعي ان سبب تأخر المسلمين هو الاخلاق ، وعدم التزام العبادات ، فقامت على الاساس الاول تكتلات حزبية سياسية تعمل للقومية العربية وللعرب والعروبة ، وتعتبر الدولة الاسلامية دسيسة استعمارية وتعتبرها رجعية وجموداً يؤدي الى التأخر والانحطاط . كما قامت على الاساس الثاني تكتلات جمعية على اساس الاخلاق والوعظ والارشاد . وصارت تعمل للفضيلة والخلق ؛ وللحث على العبادات فقط . واشترطت على نفسها ان لاتتدخل في السياسة ، وحصرت همها في المواعظ ، وتشجيع المسائل الروحية فحسب . وبذلك كانت هذه الاحزاب والجمعيات الحائل العملي الذي يحول دون السعي لايجاد الدولة الاسلامية ، لان الجمعيات صرفت الاذهان وانصرفت هي عن العمل السياسي الواجب شرعاً، وهو اقامة الدولة الاسلامية الى العمل الاخلاقي ، الذي هو نتيجة طبيعية لقيام حكم الاسلام ، ولان الاحزاب قامت على اساس استعماري يناقض الاسلام .

التكتلات المختلفة

التوجيه الاستعماري للسياسة العربية

وعني الاستعمار ، بالبلاد العربية بنوع خاص حتى يفصلها عن الاسلام وعن حكم الاسلام . فهو بالرغم من اقامته الحوائل المتعددة ، كان يخشى على نظام الحكم في البلاد العربية ان يتحول عن النظام الديمقراطي ، او يدنو من نظام الاسلام . ولذلك اقام السياسة العربية كلها في جميع الاقطار العربية ، ولدى كافة الدويلات العربية ، على اساس هو التبعية للمستعمر ؛ والارتباط

بعجلته ارتباطا غير قابل للانفصال ، اذ قامت السياسية العربية برمتها على اساس التبعية ، ولذلك جعل محور سياستها الداخلية والخارجيه خارجياً ، وهو الدول الاجنبية ، والمجتمعات الاجنبية . وصارت السياسة العربية تدور في فلك هذه الدول وهذه المجتمعات ، وصارت مصلحة الامة العربية معلقة على ماينفق مع مصلحة الدولة ، او الامة الاجنبية التي اتخذت محورا للسياسة ، فما اتفق مع مصلحة الامة حاول العرب الاستفادة منه . وما يتعارض مع مصلحتها سلموا سلفا بتركه دون محاولة ، او بذل جهد . وبذلك انقلبت المقاييس لما يمكن ان ينتهجه العرب من سياسة . بدل ان تكون مصلحة الامة الاسلامية ومبدؤها المقياس . وانعكست المفاهيم فصارت السياسة الخارجية اساساً للسير في السياسه الداخلية ، بدلا من ان تكون السياسة الداخلية هي الاساس . وبذلك نتج الفكر السفساف الذي يعالج السياسة العربية . كما نتج الشعور بالعجز عند العربي ، وظل الاستعمار متمكنا من تصريف سياسة البلاد الداخلية حتى وهو في بلده ، مطمئناً على نفوذه ومصالحه ، لان السياسة العربية تدور حول محوره وفي فلكه ، وتجعله مركزاً لدائرة سياسة البلاد العربية برمتها ، فلا خوف حينئذ على مصالحه ، ولا خطر على نفوذه مهما تغيرت وجوه الساسة والحكام ، واختلفت انواع الحكومات ، وصار المستعمر يعتقد حقاً انه لامن في انعتاق هذه البلاد من عبوديته ، ولا رجاء لاهلها في تحريرها ، لانهم مربوطون بمحور سياسته . وبهذا كانت السياسة المبنية على التبعية حائلا دون التفكير بقيام الحكم الاسلامي ، وحائلا - في نفس الوقت - دون تحرير البلاد ، ودون رقيها ووحدتها لانها تجعلها الدول الاجنبية والمجتمعات الاجنبية

انعكاس المفاهيم في السياسة

عقم السياسة العربية

محوراً لسياستها بعدت عن الفكرة الاسلامية . وحكمت على سياستها بالعقم . اذ لايمكن ان يتفق مبدأ الكفر الذي هو مبدأ الاستعمار ، مع مبدأ الاسلام لوجود التناقض بينهما ولايمكن ان تتفق مصلحة الاستعمار و مصلحة البلاد المستعمرة وبذلك تظل السياسة تدور في مكانها وتظل تسلك الطرق الرجعية في السياسة ، وهي المفاوضات المقيتة ، والمعاهدات الممسوخة بدل الكفاح والجهاد . وتظل تستأنف المفاوضات سنة بعد سنة . وهكذا دواليك . وتستبدل كل مدة معاهدة مكان معاهدة ، ويظل الاستعمار جاثماً فوق الصدور . ويظل حكم الكفر هو الذي يطبق في ديار الاسلام وقد حصرت السياسة الخارجية للدول العربية في علاقتها بالدولة المستعمرة وفي محاولة استرضائها على امل كسب شيء منها على مبدأ (خذ وطالب) هذا المبدأ الذي يقوم مقام جيش الاستعمار واما السياسة الخارجية في علاقة الدول العربية بغير الدولة المستعمرة ، فانها تقتصر على المظاهر الشكلية الجوفاء لاشباع غريزة حب السيادة وتنفيس المظاهر السياسية ؛ ولا تعدو فتح مايسمونه - ظلماً - بالمفوضيات والسفارات في تلك الدول . وقد حرص الاستعمار على هذا المظهر ، فجعل كل دويلة عربية على انشاء هذه المفوضيات والسفارات والقنصليات في بلدان كثيرة لاتوجد اي حاجة لانشاء سفارة فيها ؛ لولا استكمال المظهر الفارغ الاجوف ، وقد اوغل الاستعمار في التضليل فجعل كل دولة عربية تفتح لها مفوضية في دولة عربية اخرى ، فينشيء الاردن سفارة في العراق كما تنشيء العراق سفارة في الاردن كأن احداهما اميركا والاخرى روسيا في البعد واختلاف المبدأ ، والجنس واللغة والشعب والمصالح ، كل ذلك سيراً مع الاصل الذي بنيت عليه السياسة - وهو التبعية - . هذا في السياسة الخارجية ، اما في السياسة الداخلية فانها

السياسة الخارجية للبلاد العربية

سفارات عربية في بلاد عربية

السياسة الداخلية في البلاد العربية

- من جراء سيرها على النظام الديمقراطي، وتطبيقها النظام الرأسمالي، وجعلها الدول الاجنبية والمجتمعات الاجنبية محوراً للسياسة العربية - اثرت على الفرد حتى رأى نفسه في مجتمع متفسخ لايؤمن له مصالحه ، ويحكم وفق نظام فاسد لايضمن له سعادته . ورأى ان مصلحة امتـــه لاتتحقق الا وفق مصالح الاستعمار ، وان كل بذل من ذاته وتضحيته من نفسه لامته لاتجدي نفعاً للامة ، ولا يعود عليه منها شيء ، لاحالا ، ولا مآ لا ، ولذلك تولدت عنده الفردية ، فحصر ذهنه في مصالح ذاته وجعل مصلحته الخاصة هي المحور الذي تدور اعماله حولها ، وجعل مصلحة امته تدور في فلك مصلحته هو، فما وافق مصلحته من مصلحة امته فعله ، وما لم يوافق مصلحته امتنع عن فعله ، واذا تعارضت المصلحتان ضحى بمصلحة امته في سبيل مصلحته ، ثم رأى المجتمعات الاجنبية فتوهم انها راقية ، فتركز في ذهنه ان فساد النظام الذي يطبق عليه آت من الرجال الذين يطبقونه ، فانصرف ذهنه عن التفكير بتغييره ،وحصر ذهنه في تغيير القائمين عليه . ولذلك صار همه ان تتغير الفئات الحاكمة وصار يعتقد ان المصلحة تقضي تغيير وجوه الساسة ، وتبديل السياسيين . ولم يع ان عقم السياسة واخفاقها ليس آتيا من السياسيين فحسب . بل هو آت في الدرجة الاولى من النظام الذي يطبق عليه . ومن الاساس الذي تقوم عليه السياسة، وهو التبعية . وبذلك بعد عن التفكير الصحيح الذي يجب ان يفكر فيه وهو ازالة هذا النظام وقلعه من جذوره ؛ واقامة نظام الاسلام كاملا مكانه وكذلك كان من جراء التبعية ، وعدم اتخاذ الاسلام ومصلحة الامة مركزاً لدائرة السياسة ، ان اتخذ الفرد المبدأ الرأسمالي والمصلحة الاجنبيـة محوراً

صرف الاذهان عن تغيير النظام الفاسد الى تغيـــير الاشخاص

تقسيم الشعب العربي الى شعوب متعددة

لمصلحة امته . فظهر هذا التفسخ والتضارب في المجتمع . وبما ان التجمع في الانسان غريزة والروح الجماعية طبيعية في البشر فقد عمل الاستعمار لاشباع هذه الغريزة ؛ بالعصبية العائلية المقيتة ونفس عن الروح الجماعية بوحدات صغيرة جعلت مجتمعات متعددة ، وشعوبا مختلفة ، بدل شعب واحد ، فسمي الشعب الاردني ، والشعب العراقي ، والشعب المصري الخ حتى يمنع التجمع الحقيقي ، فصار اصحاب الافكار السطحية يرون ان مجتمعهم هو الذي خططه لهم الاستعمار ، وانه وحدة يديرونه حول مصلحتهم ويديرون مصلحتهم حوله ، حسب مقتضيات الظروف وصاروا يرون ان هذه الحكومة التي اقامها الاستعمار في هذه البقعة ضمن الخطوط التي رسمها هي الحكومة العربية ، ويحاولون تثبيتها في وضعها المرسوم ، ويطلقون عليها - زورا وبهتانا او خداعا وتضليلا - اسم الدولة ؟! وصاروا يتصورون السياسة الداخلية والخارجيه تصوراً اقليمياً ، ويعملون وفق هذا التصور . وبهذه الطريقه صارت السياسة الداخلية والخارجية للعرب قائمة على اعتبارين متناقضين : احدهما جعل مصلحة الفرد ثم العائلة ثم الاقليم محورا للمصلحة الكبرى في السياسة الداخلية ، والثاني جعل المصلحة الاجنبية والمبدأ الاجنبي محورا للمصلحة الكبرى في السياسة الخارجية . وبذلك فقدت المصلحة الفردية والعائلية والاقليمية لانها لن تتحقق الا بتحقق المصلحة الكبرى للامة ، وفقدت مصلحة الامة لانها لن تحقق الا اذا بدلت النظام الفاسد وجعلت مكانه النظام الاسلامي ، وانفصلت عن عجلة الاستعمار ؛ وكان مبدؤها مع مصلحتها المحور الذي يجب ان تدور حوله السياسة . وباقامة السياسة العربية على هذا الاساس اوجدت عقبة كبرى تحول دون قيام الدولة الاسلامية ؛ ويحتاج اقتحامها الى جهود غير عادية ، واعمال ضخمة وكانت هذه العقبة هي التي يجب

ان يبدأ باقتحامها ، فتقام الدولة الاسلامية في البلاد العربية خطوه اولى لامتدادها الى جميع بلاد الاسلام ، وقد بدأ العالم الاسلامي يتحسس الطريق لاجتياز هذه العقبة فسرت بعد الحرب العالمية الثانية في العالم الاسلامي - ومنه العالم العربي - موجة احساس قوية بان الذي ينقذ الاسلامية - ومنها العرب - هو الاسلام وصار الحديث عن ضرورة وجود دولة اسلامية ، والعمل للحكم الاسلامي يملأ الاسماع الا الاستعمار الكافر شعر بهذه الاحاسيس فاخذ يجدد اقامة العراقيل في وجهها ، فشجع الجامعة العربية لتحويل الانظار عن الوحدة تحت حكم الدولة الاسلامية ، وبالغ في التضليل ، فأقام الجامعة العربية على اساس يمنع جمع العرب ووحدتهم ، اذ جعل ميثاق الجامعة ينص على المحافظة على استقلال كل دولة فيها ، وينص على عدم الزام قرار الجامعة لاي دولة لاتوافق عليها ، وجعل شرط تنفيذ قراراتها ان يكون بالاجماع ، وبذلك صرف الاذهان عن الدولة الاسلامية الى الجامعة العربية ، وصرف الجامعة العربية عن التفكير بالاسلام ، بل بالوحدة العربية الى السفاسف والترهات ، ثم شجع المؤتمرات الاسلامية لتكون الهيات الشعوب الاسلامية عن العمل الحقيقي للدعوة الاسلامية لاستئناف الحياة الاسلامية في ظل الدولة الاسلامية فكانت هذه المؤتمرات متنفساً للعواطف ، تتخذ القرارات وتنشرها بالصحف ودور الاذاعة لمجرد النشر ، دون ان ينفذ منها شيء ، بل دون يسعى لتنفيذ شيء منها ، ثم شجع المؤلفين والمحاضرين ليبينوا خطر وجود الدولة الاسلامية وان الاسلام ليس فيه نظام حكم ، فصدرت كتب ورسائل لبعض المسلمين الجغرافيين المأجورين تحمل دعوة الاستعمار هذه ، حتى يضل المسلمون ، وحتى يصرفهم عن دينهم ، وعن العمل لاستئناف الحياة حسب احكامه . وهكذا دأب الاستعمار - منذ ان قضي على الدولة الاسلامية الى الآن - يقيم العراقيل

التي تحول دون قيام الدولة الاسلامية ، ويركز جهوده للحيلولة دون ايجادها وهو بعد ان محاها من الوجود يعتمد في اساليبه على الدعوة لقيادته الفكرية وعلى الثقافة ، وعلى الاعمال السياسية بوجه خاص ، وعلى الوسائل التي تضمن تحويل الناس عن التفكير في الاسلام التفكير المنتج ، ولذلك كان لابـــد من ازالة هذه العراقيل بحصـر العمل للاسلام بالدعوة ، واتخاذ هـذه الدعوة الطريق السياسي ابتداء ، حتى يصل الدعاة الى الحكم فيقيموا الدولة الاسلامية التي تنفذ الاسلام وتحكم بما انزل الله .

لزوم قيام دولة اسلامية

خطر الحضارة المادية

تحكم العالم اليوم دول تقوم على اساس مادي بحت ، وتطبق عليه انظمة منبثقة عن عقلية مادية ، لايراعى في تطبيقها اي وجه للروح . وتقوم هذه الدول بتمكين الحضارة المادية من ان تتحكم بالبشر . ولذلك وقع الناس في ازمات روحية انتجت عندهم هذا الشقاء النفسي الذي يصطلون بناره ، كما اوجدت هذا الفساد المهلك ، وهذه الشرور المنتشرة في كل مكان . لذلك كان لابد لانقاذ العالم من دولة تقوم على اساس روحي ، تطبق عليه انظمة سماوية تقوم على استنباط الاحكام والمعالجات منها عقلية تؤمن بالله ، وتراعى في تطبيق هذه الانظمة مزج المادة بالروح ، وتقوم هذه الدولة على تمكين الحضارة الروحية ، وجعلها هي التي تتحكم في الحياة جميعها . لابد من قيام هذه الدولة السامية في مثلها الاعلى ، حتى تنقذ الانسانية من هذه الازمات الروحية وتخلص البشر من هذا الفساد . وهذه الشرور. هذه الدولة هي الدولة الاسلامية ، لانها وحدها التي تهيىء السعادة لبني الانسان . وهذه الدولة لايقوم بها الا المسلمون . ولا تكون نقطة انطلاقها الا من العالم الاسلامي ، لانه لايزال اسلامياً في اجوائه ومشاعره ، ولايزال اهله مسلمين في عقائدهم ومعارفهم ، وبعض نواحي حياتهم . لذلك كان لابد ان يوجد المسلمون الدولة الاسلامية في بلاد الاسلام ، لان العالم كله في حاجة الى ان يحكم بالاسلام . على ان المسلمين في حالة من التأخر والانحطاط ، وفي حالة من البعد عن تعاليم واحكام

الدولة التي تنقذ الانسانية

حاجة العالم لأن يحكم بالاسلام

الاسلام ، توجب عليهم استئناف الحياة الاسلامية . وهذا يوجب قيام دولة الاسلام ، فهم خاضعون لنفوذ الكفر في بلادهم . وتطبق عليهم احكام الكفر وتتحكم فيهم الحضارة المادية . وديارهم حسب حكم الشرع ديار كفر ، وليست ديار اسلام ، لذلك كان لزاما عليهم ان يقوموا بايجاد الدولة الاسلامية لتطبق عليهم احكام الاسلام ، لاسيما وان دينهم يوجب عليهم ان يوجدوا الدولة الاسلامية ، لان نصب رئيس الدولة (الخليفة) واجب على المسلمين . وفرض حتمي حسب الشرع والعقل ؛ لان ماهو واجب من اقامة الحدود ، وسد الثغور لايتم الا به ، ولان الحكم بما انزل الله لايكون ولا ينفذ الا بوجوده ، ولان جلب المنافع للامة ودفع المضار عنها لايتأتى الا بوجوده . ولذلك كان حكم نصب الخليفة واجباً بالاجماع فقد اجمع الصحابة على تأخير دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام حتى يوبع خليفة لرئاسة الدولة . ويمكن ان يعلم بوضوح مبلغ اللزوم الحتمي في اقامة الخليفة ، ومبلغ فهم الصحابة هذا اللزوم ، مما فعله ابو بكر وعمر وابو عبيدة يوم وفاة الرسول فانهم لما سمعوا باجتماع سقيفة بني ساعدة ، تركوا رسول الله مسجى على فراش الموت ، خوفهم على الاسلام وعلى دولة الاسلام ، وذهبوا الى السقيفة ، حتى استطاعوا ان يسيطروا على الموقف ، وان يجعلوا الاجتماع ينتهي بقرار البيعة لابي بكر ثم حضر الناس في اليوم الثاني للمسجد ، وبايعوا ابا بكر البيعة العامة ، ثم قاموا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك يمكن ادراك مبلغ ضرورة مبايعة رئيس الدولة مما فعله عمر بن الخطاب حين طعن ، وكان مشرفا على الموت . فقد طلب اليه المسلمون ان يستخلف فأبى . فألحوا عليه فاستخلف ستة ، وجعل لهم ان ينتخبوا خليفة ، ولم يكتف بذلك ، بل حدد لهم موعداً نهائياً هو ثلاثة ايام ، ثم اوصى انه اذا لم يتفق على الخليفة بعد ثلاثة ايام ،

نصب الخليفة فرض على المسلمين

فليقتل المخالف ، نعم وكل بهم من يقتل المخالف ، مع انهم اهل الشورى، ومع انهم كبار الصحابة . اذ هم علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله وسعد بن ابي وقاص . واذا كان هؤلاء يقتل احدهم اذا لم يتفق على انتخاب خليفة ، ويقتلون جميعاً اذا لم ينتخبوا خلال ثلاثة ايام فلا ريب ان انتخاب رئيس الدولة يكون لازما لزوما حتمياً ، يأثم المسلمون جميعاً ويقاتلون ، حتى تقوم دولة الاسلام ، وينتخب رئيس الدولة . ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من مات وليس في عنقه بيعة ، فقد مات ميتة جاهلية) والمراد هنا بيعة رئيس الدولة . والحاصل ان وجود الدولة الاسلامية لازم للمسلمين ، وبيعة الخليفة فرض على المسلمين ، يأثمون جميعاً حتى يقيموا الدولة الاسلامية ، ويبايعوا رئيسها ، هذا فضلا عما توجبه طبيعة الحياة ، فان كل امة لا تستغني عن قوة تحمي قوانينها ، وتدبر شؤون افرادها وهذه القوة هي الحاكم . لانه ضروري من ضروريات المجتمع الانساني لذلك كان العقل والشرع يوجب على المسلمين ايجاد الدولة ، على ان المسلمين مكلفون حسب الشرع تبليغ الاسلام (الا فليبلغ الشاهد الغائب) وحمل الدعوة الاسلامية لا يكون الا عن طريق الدولة ، لانها هي التي تملك القوة التي تحمي هذه الدعوه ، وتزيل الحواجز المادية التي تقف سبيلها بالقوة المادية . لذلك كان قيام الدولة الاسلامية من الزم الواجبات على المسلمين جميعاً .

صعوبات قيام الدولة الاسلامية

حقيقة الدولة الاسلامية

ليس قيام الدولة الاسلامية سهلا ميسوراً ، لان استئناف الحياة الاسلامية ليس بالأمر الهين . فهناك عراقيل شتى وضخمة تقوم في وجه قيام الدولة الاسلامية لابد من ازالتها ، وصعوبات كثيره وكبيرة تقف في طريق استئناف الحياة الاسلامية لابد من التغلب عليها لان الامر لايتعلق بقيام دولة اي دولة ، ولا بقيام دولة تسمي اسلاميه وتحكم بالقوانين الاسلامية المجردة ، وتنفذ النظام الاسلامي مجرداً ، بل الامر يتعلق بقيام دولة اسلامية تطبق الاسلام كنظام منبثق عن العقيدة الاسلامية ، وتستأنف الحياة الاسلامية كاملة في الداخل ، وتحمل الدعوة الاسلامية الى الناس كافة هذه الدولة الاسلامية التي يجب ان تقوم اولاً على العقلية الاسلامية المشبعة بالفكرة الاسلامية ، وعلى النفسية الاسلامية المكونة من الاسلام ثم تقوم على التشريعات والقوانين والنظم التي تنبثق من العقيدة الاسلامية ، وتقوم على اساس الفكرة الاسلامية . وذلك حتى تنبعث حوافز هذه الحياة من داخل النفس ، فتوجد البيئة الذهنية والنفسية والاجتماعية التي تكفل التشريعات والنظم والقوانين الاسلامية . لان التشريع والنظام والقانون لابد ان يعتمد على الايمان بالعقيدة المنبثقة عنها هذه النظم والتشريعات والقوانين ، حتى يتم الايمان بها ، والثقة بصلاحيتها للحياة . واذا لم يوجد هذا الايمان ، فقد فقد التشريع اسسه المعنوية التي تثبته ، وقام على القهر التشريعي والنظامي ،

واستحال تنفيذه الا بقوة الجندي ، ، وسلطة الدولة ، وبالحديد والنار وهذا لايضمن له البقاء الا ريثما يتمكن الناس من القدرة على التخلص منه . ولهذا لم يكن مجرد قيام دولة اسلامية كافيا لأستئناف الحياة الاسلامية ، بل لابد ان تكون هذه الدولة اسلامية في شعبها وحكامها وحياتها محققة استئناف الحياة الاسلامية تحقيقاً يمكنها من حمل رسالتها للعالم ، ويمكن غير المسلمين من مشاهدة عظمة الاسلام في دولته ، حتى يدخلوا في دين الله افواجا ، والصعوبات التي تقوم في وجه الدولة الاسلامية ، او في طريق استئناف الحيساة الاسلامية كثيرة اهمها مايأتي :

تناقض الحياة الحاضرة في البـــلاد الاسلامية مع الاسلام

١ – كون المجتمع في العالم الاسلامي يحيا حياة غير اسلامية ، ويعيش وفق طراز من العيش يتناقض مع الاسلام ، وذلك لان جهاز الدولة والمجتمع ونظام الحكم الذي يقوم عليه هـذا الجهاز ، وقواعد الحياة التي يقوم عليها هذا المجتمع بكل مقوماتها ، والاتجاه النفسي الذي يتجهه المسلمون ، والتكوين العقلي الذي يقوم عليه تفكيرهم – كل ذلك يقوم على اساس مفاهيم عن الحياة تناقض المفاهيم الاسلامية . فلم تتغير هذه الاسس ، وتصحح هـــذه المفاهيم المغلوطة ، يكون من الصعب تغيير حياة المجتمع ، ومن الصعب تغيير جهاز الدولة ، وقواعد المجتمع ، والاتجاهات النفسية والعقلية التي تتحكم بالمسلمين .

ضعف تصور المسلمين للحكم الاسلامي

٢ – بعد الشقة بين المسلمين والحكم الأسلامي ، ولاسيما في سياسة الحكم وسياسة المال ، يجعل تصور المسلمين للحياة الاسلامية ضعيفاً ، ويجعل تصور غير المؤمنين بالاسلام تصوراً عكسياً ، لاسيما وقد عاش المسلمون مدة يساء فيها تطبيق الاسلام عليهم من قبل الحكام ؛ كما عاشوا مدة ثلث قرن يحكمون من قبل عدوهم على نظـام يناقض الاسلام في كل شيء ، وفي سياسة الحكم وسياسة المال بوجه خاص ، ولهذا كان لابد من ان يرتفع الناس عن الواقع

السيء الذي يعيشون فيه ، وان يتصوروا الحياة التي يجب ان يحيوها ، والتي يجب ان يغيروا واقعهم ويحولوه اليها . وكان لابد ان يتصوروا ان هذا التحول الى الحياة الاسلامية لابد ان يكون كاملا غير مجزأ ، وان يكون انقلابيا (اي دفعة واحدة) لاتدريجيا بالتجزئة والترقيع ، حتى يقرب اليهم تصور واقع الحياة يوم كان عز الاسلام ، ولاسيما واقع الحياة في عهد الراشدين .

قيام حكومات ديمقراطية في البلاد الاسلامية

٣ - وجود حكومات في البلاد الاسلامية - ومنها العربية - تقوم على اساس ديمقراطي ، وتطبق النظام الرأسمالي كافة على الشعب ، وترتبط بالدول الاجنبية ارتباطا سياسيا ، وتقوم على الاقليمية والتجزئة . وهذا يجعل العمل لأستئناف الحياة الاسلامية صعباً ، لانه لايتأتى الا اذا كان شاملا لان الاسلام لايبيح جعل البلاد الاسلامية دولا ، بل يلزم جعلها دولة واحدة. وهذا يقتضي شمول الدعوة ، وشمول العمل ، وشمول التطبيق . وهو يتعرض لمقاومة هذه الحكومات للدعوة الاسلامية ، ولو كان رجالها من المسلمين، ولهذا كان لابد من حمل الدعوة الاسلامية في كل اقليم ، ولو ادى الى تحمل الصعوبات والمشقات التي تنشأ عن معارضة الحكومات في البلاد ، الاسلامية - ومنها العربية - .

خطر القومية والوطنية

٤ - وجود رأي عام عن الوطنية والقومية ، وقيام حركات سياسية على الاساس الوطني والقومي . وذلك ان استيلاء الاجنبي على بلاد الاسلام ، وتسلمه زمام الحكم فيها ، اثار في النفوس غريزة الدفاع عن النفس ، فنتجت عنها العاطفة الوطنية للدفاع عن الاراضي التي يعيش عليها ، واثار العصبية الجنسية للدفاع عن النفس وعن العائلة وعن القوم ، والعمل لجعل الحكم لهم فنشأت عن ذلك حركات سياسية بأسم الوطنية لطرد العدو من البلاد ، وبأسم القومية

لجعل الحكم عليها لاهلها ، دون ان يكون لهذه الحركات اي تصور لنظام الحياة ؛ الا التصور الارتجالي ، مما ابعدهم عن المبدأ ، وابعدهم عن الاسلام بوصفه مبدأ بوجه خاص ولذلك كان لزاماً ان تحمل الدعوة الى الاسلام ، وان يبرز فيها بداهة الدفاع عن الوطن ، ولكن بوصفه وطن الاسلام ، اي وطن العقيدة والمبدأ . وان يبرز فيها حكم المسلمين وعزتهم ، وسيادة الشرع عليهم ، لان « العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) اذ لايجوز للمسلم ان يستعمره عدوه الكافر ، او يحكمه مطلقاً ويسهل هذا اليوم اجتياز العالم الاسلامي — ومنه العربي — لدور الانتداب والحماية ، وسيره في طريق التخلص من نفوذ عدوه ، فصار من الممكن ان يتصور المسلمون انه يجب حصر الحركات السياسية في الحركات الاسلامية ، لانها الحركات المبدئية التي تنتج العزة والسعادة والهناء .

خطر الافكار الاجنبية

٥ — وجود الافكار الاجنبية وغزوها للعالم الاسلامي . وذلك ان العالم الاسلامي — وقد مر في العصر الهابط ، وكان ضحل التفكير ، عديم المعرفة ، ضعيف العقلية بسبب انحطاطه العام — قد غزي وهو على هذه الصورة بالافكار الاجنبية المناقضة لفكرته الاصلية ، والقائمة على اساس مغلوط ، وعلى فهم خاطيء للحياة ، ولما قبلها وما بعدها . فوجدت هذه الافكار تربة خصبة خالية من المقاومة ، فتمكنت منها ولذلك تشبعت العقلية الاسلامية — ومنها العربية — ولا سيما فئة المثقفين ، بهذه الافكار . فكونت فيها عقلية سياسية مشبعة بالتقليد ، بعيدة عن الابتكار ، غير مستعدة لقبول الفكرة السياسية الموجهة بالروح ، اي غير مستعدة لقبول الفكرة الاسلامية سياسياً وغير مدركة لحقيقة هذه الفكرة وعلى الاخص من الناحية السياسية . ولذلك

كان لزاماً ان تكون الدعوة الاسلامية الى الاسلام كاملا ، وان يبين مافي الافكار الاخرى غير الاسلامية ، من زيف ، ومافي نتائجها من اخطار ، وان تأخذ الدعوة طريقها السياسي اولا ، وان يبدأ بالوجه السياسي في الطريقة ، وان يسعى لتربية الشعب تربية سياسية على الاساس الاسلامي كله . وبهذا يمكن التغلب على هذه الصعوبة في المجتمع .

خطر البرامج التعليمية الاستعمارية

٦ - وجود البرامج التعليمية على الاساس الذي وضعه المستعمر ، والطريقة التي تطبق عليها هذه البرامج في المدارس والجامعات ، وتخريجها لمن يتولى امور الحكم والادارة وسائر شؤون الحياة بعقلية خاصة ، تسير فيها وفق الخطة التي يدبرها المستعمر ، حتى كان الاستقلال المزيف كما نشاهده ، هو استبدال موظفين اجانب بموظفين من العرب والمسلمين ، يكون عملهم حراسة ما اقام المستعمر من حدود وقوانين ، وثقافة وسياسة ، وانظمة وحضارة ، والدفاع عنها كدفاعه هو او اشد . ولذلك لابد من تغيير اسس هذه البرامج ، حتى نتغلب على هذه الصعوبة . ولا نعني ببرامج التعليم البرامج العلمية والصناعية فان هذه عالمية لاتختص بها امة دون الامم وانما نعني البرامج الثقافية التي تتعلق بالمعارف التي تؤثر على وجهة النظر في الحياة ، فهذه هي التي جعلت برامج التعليم تقف صعوبة دون استئناف الحياة الاسلامية وهذه المعارف تشمل التاريخ والادب والفلسفة واللغات الاجنبية والتشريع ونتائج العلوم وذلك لان التاريخ هو التفسير الواقعي للحياة ، والادب هو التصوير الشعوري لها ، والفلسفة هي الفكر الاصلي الذي تبنى عليه وجهة النظر في الحياة ، واللغات هي القوالب للعلوم والثقافات والتشريع هو المعالجات العملية لمشاكل الحياة والاداة التي يقوم عليها تنظيم علاقات الافراد والجماعات ، ونتائج العلوم هي التي تساعد على

الايمان او الكفر ، وتعيين الطريق التي يسار فيها بهذه العلوم والنتائج التي تستعمل من اجلها ، وهذا كله وما شاكله ادخله علينا الاجنبي ، وكون بواسطته هذه العقلية ، التي لم تشعر بضرورة وجود الاسلام في حياتها ، والتي تحمل عند البعض روحاً عدائية للاسلام، منكرة عليه صلاحيته لمعالجة مشاكل الحياة ، ولذلك لابد من الاصرار على جعل الثقافة الاسلامية وحدها ثقافتنا فنجعلها واجبة في جميع مراحل التعليم ، ولا نجعل في المدارس الابتدائية اي ثقافة غير اسلامية ، ولانسمح في المدارس الثانوية باي وجود للثقافة الاجنبية الا اذا كانت لاتناقض وجهة نظر الاسلام ؛ ونكتفي بادخال الثقافة الاجنبية للاقسام العالمية ولذلك كان حتماً علينا حين نعمل للتغلب على صعوبة برامج التعليم ، ان نغير برامج التعليم وان نغير علوم التربية المناقضة للفكرة الاسلامية وان نجعل البرامج اسلامية كما نجعل الغاية الواضحة من التعليم ايجاد الشخصية الاسلامية .

كيف تقوم الدوله الاسلامية

ان قوة الفكرة الاسلامية مقرونة بطريقتها كافية لاقامة دولة اسلامية ، ولاستئناف الحياة الاسلامية ، اذا غرست هذه الفكرة في القلوب ، وتغلغلت في النفوس ، وتجسدت في المسلمين ، فأصبحت اسلاماً حيا يعمل في الحياة . الا انه بالرغم من ذلك ، وبالرغم من الايمان العميق بضرورة وجود الدولة الاسلامية ، وبلزوم استئناف الحياة الاسلامية ، فانه لابد من ان تتم اعمال عظيمة قبل قيام الدولة ، وان تبذل جهود جبارة لايجاد الحياة الاسلامية . ولذلك لايكفي مجرد الرغبة والتفاؤل ليجعل هذه الدولة قائمة . ولا مجرد الحماس والامل ليحقق استئناف الحياة الاسلامية . ولذلك كان من اوجب الواجبات ان تقدر العوائق الضخمة التي تقف في وجه الاسلام حق التقدير ، للتمكن من ازالتها ، وكان من الزم الاشياء ان ينبه المسلمون الى ثقل التبعة التي تنتظر من ينهضون لهذه الغاية ، وان يلفت نظر المثقفين بوجه خاص الى المسؤولية الكبرى لكل رأي يعطى في مثل هذا الامر الهام ، حتى يكون القول والعمل سائراً في طريقه السوي بوعي وارادة وحزم واقدام ، ولابد ان يعلم ان السائرين في طريق استئناف الحياة الاسلامية انما ينحتون طريقهم من الصخر الاصم ، ولكن معاولهم مرهفة ضخمة كفيلة بتكسير صخوره ، وانهم يعالجون امراً دقيقاً . ولكن رفقهم كفيل ، بحسن معالجته ، وانهم يصطدمون بالاحداث الكبار ، ولكنهم سيتغلبون عليها ، ولا يحيدون عن

وجوب تقدير العوائق التي تقف في وجه قيام الدولة الاسلامية

سلوك طريقة الرسول في الدعوة الاسلامية

طريقهم ، وانهم يؤمنون ايماناً لاارتياب فيه بالنصر المبين . والذي يسهل هذه الطريق على صعوبتها ، ويجعل الامل واقعاً ، والنصر والرجاء محققاً بالفوز هو ايمانهم بان اخر هذا الامر يصلح بما صلح به اوله وان الطريق التي سار عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة الى الاسلام هي التي يجب ان يسلكها المسلمون اليوم سلوكا دقيقا ، على ان يكون الاقتداء دقيقا به ، والسير صحيحاً حسب خطواته ، حتى لايتعثر السائر ، لان كل خطأ في القياس ، وكل حيد عن الطريق ، يسبب التعثر بالسير والعقم في العمل . ولهذا لم يكن قيام مؤتمرات للخلافة طريقا لقيام الدولة الاسلامية ، ولا السعي لاتحاد دول تحكم شعوبا اسلامية وسيلة للدولة الاسلامية . ولا عقد مؤتمرات للشعوب الاسلامية محققاً استئناف حياة اسلامية - ليس ذلك ومثله هو الطريق ، وانما هو اهميات تتنفس فيها العواطف الاسلامية النبيلة ، فتفرغ مخزون حماسها ، وتقعد بعد ذلك عن العمل ، فضلا عن انها تخالف طريق الاسلام ، وكذلك ليس الطريق اقامة مدارس اسلامية على اساس منهج غربي ، ولا بناء مستشفيات لمرضى المسلمين ، ولا تعمير المساجد والتكايا - بل الطريق الوحيد لاستئناف حياة اسلامية ، ولاقامة دولة اسلامية ، هو حمل الدعوة الاسلامية . اوحمل الدعوة لاستئناف حياة اسلامية ، وذلك يقتضي ان تتخذ البلاد الاسلامية - ومنها البلاد العربية - وحدة واحدة ، لانها امة واحدة ، اذ هي مجموعة انسانية تجمعها عقيدة واحدة ، ينبثق عنها نظام الحياة . وهذا هو الذي يجعلها امة واحدة وهي بهذا الاعتبار تتحد بالاحساس والمشاعر والفكر ووجهة النظر في الحياة ولذلك كان حدوث اي عمل في اي قطر اسلامي يؤثر في باقي الاقطار . ويثير فيها المشاعر . فكان لابد ان تتخذ كافه البلاد الاسلامية بلداً واحداً وتحمل الدعوة لها جميعها ، حتى تؤثر في مجتمعها . وذلك لان المجتمع الواحد الذي

اثر الاسلام في المجتمع العربي

يشكل امة . يكون كالماء في القدر . فانك اذا وضعت تحته ناراً سخن الماء ثم وصل الى درجة الغليان ، ثم تحول هذا الغليان الى بخار يدفع ، ويحدث الحركة والاندفاع ، وكذلك المجتمع توضع فيه المبادىء الصحيحة . فتحدث حرارتها فيه سخونة ، ثم غليانا ، ثم يتحول هذا الغليان الى مايدفع المجتمع الى الحركة والعمل ، ولهذا كان لابد من ان تبعث الدعوة الى العالم الاسلامي ليعمل لاستئناف الحياة الاسلامية بالكتب والرسائل والاتصالات وكافة وسائل الدعوة ، ولاسيما الاتصالات ، لانها انجح طرق الدعوة ، الا ان بعث الدعوة بهذا الشكل المفتوح انما هو للوقود تحت المجتمع ، حتى يتحول هذا الجمود الذي فيه الى حرارة . ولا يمكن ان يتحول الى غليان ثم الى حركة الا اذا كانت الدعوة العملية في توجيهها السياسي محصورة العمل في اقليم او اقاليم تتخذ نقطة ابتداء يبدأ منها العمل ، ثم تتخذ نقطة انطلاق تنطلق منها الدعوة الى باقي اجزاء العالم الاسلامي ، ثم يتخذ هذا الاقليم او غيره من الاقاليم الصالحة في مجتمعها وظروفها وامكانياتها ، نقطة ارتكاز تقوم فيها الدولة الاسلامية ، ويبدأ منها النمو في تكوين الدولة الاسلامية الكبرى ، التي تحمل رسالة الاسلام للعالم ، وهذا كما فعل صلى الله عليه وسلم ، فانه بلغ دعوته للناس كافة . وكانت خطوات التبليغ تسير في الطريق العملي . فقد دعا اهل مكة ودعا العرب جميعا في موسم الحج ، فكانت دعوته تنتشر في جميع انحاء الجزيرة وكانه كان يوقد تحت المجتمع العربي برمته وقوداً يبعث الحرارة في كافة العرب ، وكان الاسلام يدعى اليه العرب من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه في موسم الحج ، وفي دعوته القبائل كانت الدعوة تصلهم من هذا الاحتكاك الذي كان بين الرسول وبين قريش حيث كانت اصداء هذا التصادم تملأ اسماع العرب ، وتثير فيهم حب الاستطلاع والتساؤل ، الا انه مع

ارسال الدعوة الى العرب ، كان مجال الدعوة محصوراً في مكة ، ثم تحول الى المدينة حيث تكونت الدولة الاسلامية في الحجاز . وحينئذ كانت حرارة الدعوة ، وانتصار الرسول ، قد احدثا في العرب الغليان ، ثم الحركة فآمنوا جميعاً ؛ حتى شملت دولة الاسلام جميع جزيرة العرب وحملت رسالته للعالم . ولهذا كان لزاما علينا ان نتخذ الدعوة اول وسيلة لاقامة الدولة واستئناف الحياة الاسلامية ؛ وكان لزاما علينا ان نتخذ كافة البلاد الاسلامية مجتمعاً واحداً . وهدفاً للدعوة . الا انه يجب ان نحصر مجال الدعوة في اقليم او اقاليم نقوم فيها بتثقيف الناس بالاسلام ، وبتعليمهم اياه ، حتى يحيا فيهم ويحيوا به ومن اجله ، وتقوم فيها بايجاد الوعي العام به والرأي العام له ، حتى يحصل التجاوب بين الدعاة والمجتمع تجاوباً منتجاً فعالا مؤثراً في تحويل الدعوة الى تفاعل وانتاج ، هذا التفاعل حركة كفاح تستهدف ايجاد الدولة الاسلامية المنبثقة عن الشعب في هذا الاقليم او تلك الاقاليم . وحينئذ تكون الدعوة قد سارت من فكرة في الذهن الى وجود في المجتمع ، ومن حركة شعبية الى دولة . فتكون قد اجتازت ادوارها . فانتقلت من نقطة ابتداء الى نقطة انطلاق ، ثم الى نقطة ارتكاز تتمركز في الدولة المستكملة عناصر الدولة وقوة الدعوة وحينئذ يبدأ الدور العملي الذي يوجبه الشرع على هذه الدولة ويوجبه الشرع على المسلمين ، الذين يعيشون في اقاليم لا يشملها سلطان هذه الدولة ، اما واجب هذه الدولة فهو الحكم بما انزل الله حكما كاملا . ثم جعل توحيد باقي الاقاليم معها ، او توحيدها مع باقي الاقاليم . جزءاً من السياسة الداخلية ، . فتباشر في حمل الدعوة والدعاية لاستئناف الحياة الاسلامية في كافة الاقاليم الاسلامية ، ولا سيما الاقاليم المجاورة لها . ثم ترفع الحدود السياسية الوهمية التي خططها الاستعمار بينها . وجعل حكام البلاد التابعين لها

الطريق المنتج في الدعوة

واجب الدولة الاسلامية

حراساً على هذه الحدود السياسية . ولذلك على هذه الدولة ان تلغي هـــذه الحدود حتى ولو لم يلغها الاقليم المجاور . فتلغي تأشيرات المرور ، ومراكز ضرائب المكوس (الجمارك) ، وتفتح ابوابها لكل مواطن من سكان الاقاليم الاسلامية ، وتجعل له حقوق المواطن كمن يحمل تابعيتها ، لانه لايحمل تابعية اجنبية ، وتمنع كل من يحمل تابعية اجنبية من ذلك ، وبهذا تجعل جميع الذين يسكنون في الاقاليم الاسلامية يشعرون بان هذه الدولة اسلامية ، ويرون بانفسهم تطبيق الاسلام وتنفيذه ، اما واجب المسلمين فهو ان ينقلوا دارهم التي لايطبق فيها الاسلام ، والتي تعتبر دار كفر الى داراسلام ، بالعمل على دمجها في الدولة الاسلامية ، بالدعوة والدعاية ، واذا لم يستطيعوا عليهم ان يفروا بدينهم من دار الكفر الى دار الاسلام التي يطبق فيها الاسلام وبهذا يصبح المجتمع الاسلامي في كافة اقاليمه في حالة غليان تدفعه الى الحركة الصحيحة التي بها يتحد المسلمون جميعهم في دولة واحدة ، وبذلك توجد الدولة الاسلامية الكبرى ، وبهذا تتكون الدولة الاسلامية التي تمثل قيادة فكرية عالمية مستقلة ، ويكون لها خطرها ومركزها الذي يمكنها من حمل دعوتها ، ومن العمل على انقاذ العالم من الشر ر . واذا كانت الامة الاسلامية قديماً في بلاد لاتزيد مساحتها عن جزيرة العرب ولا يزيد عدد سكانها عن عشرة ملايين ومع ذلك فانها حين اعتنقت الاسلام وحملت الدعوة شكلت قوة عالمية امام المعسكرين اللذين كانا قائمين حينئذ وضربتهما معاً واستولت على بلادهما ونشرت الاسلام في اكثر اجزاء المعمورة في ذلك الوقت فما بالنا في الامة الاسلامية اليوم وهي اربعمائة مليون تقع في بلاد متصلة ببعضها تكون بلداً واحداً ، وهي من مراكش الى الهند وجاوه ، وهي تحتل بقعة من احسن بقاع الارض ثروة ومركزاً ، فانها ولا ريب تشكل جبهة اقوى من المعسكرين الحاليين في

واجب المسلمين

الدولة الاسلامية قوة عالمية

واجب المسلم

كل شيء ، ولهذا كان واجب كل مسلم ان يعمل منذ الان لأيجاد الدولة الاسلامية الكبرى التي تحمل رسالة الاسلام للعالم وان يبدأ عمله هذا بحمل الدعوة الاسلامية، دعوة لاستئناف حياة اسلامية في جميع المجتمع الاسلامي حاصراً مجاله العملي في اقليمه . او الاقاليم التي يراها اصلح ، لان تكون نقطة ارتكاز ، حتى يبدأ العمل الجدي . ومثل هذه الغاية العظيمة التي يجب ان يهدف اليها ، ومثل هذا الطريق العملية الواضحة التي يجب ان يسلك ، جدير بالمسلم ان يتحمل في سبيله كل تضحية ، وان يبذل له كل جهد ، وان يسير متوكلا على الله ، غير طالب اي جزاء على ذلك سوى نوال رضوان الله سبحانه وتعالى .

جهاز الدولة

يقوم جهاز الدولة على سبعة اركان وهي : مجلس الشورى ، ورئيس الدولة ؛ والهيئة التنفيذية ، والجهاز الاداري ، والولاة ، والقضاء ، والجيش.

ويقوم نظام الحكم على اساس جعل السيادة للشرع ، والسلطان للامة ، ومظهره في الدولة التي تنفذ الشرع ، ولا بد من بيان كل واحد من هذه الاشياء بيانا يمكن القارىء من ان يشاهد الدولة الاسلامية قائمة تنفذ الاسلام وتحمل دعوته ، ونجمل هذا البيان فيما يلي :

١ - مجلس الشورى

آ - مجلس الشورى هو الفئة التي تختارها الامة لتنوب عنها في التعبير عن رأيها في مراقبة من انابته عنهـــا في الحكم . ويشبه ما اصطلح على تسميته بمجلس النواب ، مع الفارق بينهما في الصلاحية التشريعية وصلاحية الحكم .

ب - صلاحياته : لمجلس الشورى صلاحية سن القوانين ، باقرار الحكم الشرعي الذي يراه موافقاً لمصلحة الامة ، ومعالجاً لمشاكلها ، على ان يكون ذلك من اقوال الائمة والمجتهدين وليست له صلاحية سن القوانين من عنده دون استنباط شرعي باجتهاد صحيح . كتب عمر بن الخطاب لقاضيه شريح (اما بعد . اذا جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ، ولا يلفتنك عنه الرجال فاذا جاءك امر ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله فاقض به ، فان

جاءك امر ليس في كتاب الله ولم يكن من سنة رسول الله . فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ بـه) وقـال عليه الصلاة والسلام (مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) .

وهذا بخلاف مجلس النواب ، فان له صلاحية سن القوانين من عنـــده مباشرة ، لان اساس نظام الحكم في الاسلام ان السيادة للشرع . وان السلطة - التي هي الحكم - للامة . ولهذا لم يكن للأمة الا اخذ الحكم الشرعي ، بخلاف الحكم الديمقراطي الذي منه مجلس النواب ، فانه لافرق فيه بين السلطة والسيادة ؛ فكلها تعتبر سلطة . وهي عند الديمقراطيين للشعب . هـــذا في التشريـع . اما في الحكم فان رئيس الدولة لايعرض الهيئة التنفيذية على مجلس الشورى لأخذ ثقته بها ، بل لرئيس الدولة الذي هو رئيس الحكومة ان يعين الهيئة التنفيذية والولاة دون عرضهم على مجلس الشورى لاعطائهم الثقة ، ولكن لمجلس الشورى الحق في سحب ثقته من الهيئة التنفيذية او احد اعضائها ومن الولاة وفي هذه الحالة يجب على رئيس الدولة ان يعزلهم دون سبب لانهم حكام وهم نائبون عن الامة في الحكم ، فلها حق نزع الثقة منهم لعزلهم ولمجلس الشورى ان يناقش الهيئة التنفيذية ، والولاة ، ورئيس الدولة مباشرة ، في كافة شؤون الحكم . وهذا بخلاف مجلس النواب ، فانه هو الذي يمنح الوزارة (الهيئة التنفيذية) ثقته ، حتى تكون في الحكم ، وله حجب الثقة عنها فتسقط وليس له حق سحب الثقة من الولاة والحكام .

ج - طريقة انتخابه : سلطان الحكم للامة وهي وحدها لها حق الحكم وطريقة التعبير عن رأيها في السلطان تكون بواسطة فريق منها ، يكون افراده ممثلين لها تمثيلا حقيقياً . وهـــذا الفريق تختاره الامة . وكان الخليفة يختارهم قديماً من اهل الحل والعقد . والطريقة التي يختار بها مجلس الشورى في

هذا العصر هي الانتخاب العام بالاقتراع السري ، وهو التعبير الصحيح عن رأي الامة لان البيعة – وهي الانتخاب – حق لعامة المسلمين ، لافرق بين رجل وامرأة ، وحق لعامة المواطنين ، لانه وكالة بالرأي عن الناس . ولكل مواطن الحق في ان يوكل عنه من يشاء لابداء رأيه . ولا ينال هذا الحق الا من كان يحمل التابعية : (الولاء للدولة والنظام) ومن لم يحمل التابعية لايستحق هذا الحق ولو كان مسلماً .

د – اذا اختلف مجلس الشورى ورئيس الدولة في اي امر من الامور سواء أكان في سن الدستور او القوانين او الحكم ، فانه لايرجع قول رئيس الدولة ، ولا قول مجلس الشورى ، بل يحال الامر الى محكمة المظالم لتعطي رأيها ، وهي التي تفصل . وحكمها نافذ على رئيس الدولة ، وعلى مجلس الشورى ، وذلك لان السيادة للشرع . وهو يمثل في القضاء . ومحكمة المظالم اعلى هيئة قضائية تمثل الشرع ، قال الله تعالى : « يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » ثم أتم هذه الآية بقوله : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » والمراد هنا تنازع الامة مع ولي الامر . اي اطيعوا اولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء معهم فردوه حالا الى قضاء الله ورسوله ، ليعطي الحكم فيه على اولي الامر او عليكم .

هـ – ما انفك رسول الله صلى عليه وسلم عن استشارة اهل الرأي والبصيرة ، ومن شهد لهم بالعقل والفضل ، وابانوا عن قوة ايمان وتفان في بث دعوة الاسلام . وهم سبعة عن الانصار ، وسبعة عن المهاجرين ، منهم حمزة وجعفر وابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وسلمان وعمار وحذيفة وابو ذر والمقداد وبلال ، وسموا النقباء ، لأنهم ضمنوا للرسول اسلام قومهم ولما وسدت الخلافة الى ابي بكر كان يرجع الى اهل الرأي يستشيرهم في امور

الحكم والادارة والتشريع منهم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وابى بن كعب وزيد بن ثابت . وكان يختار منهم من يرأس لجاناً اخرى من غيرهم للقيام باعمال خطيرة ، فقد جعل زيد بن ثابت رئيساً للجنة جمع القرآن . واطلق على الجماعة الذين انتخبوا الخليفة عثمان بن عفان بعد وفاة عمر بن الخطاب انهم اهل الشورى .

٢ - رئيس الدولة :

آ - رئيس الدولة هو الذي ينوب عن الامة في السلطان اي الحكم وفي تنفيذ احكام الشرع ، ولذلك كان رئيس الدولة مديراً لشؤون الدولة ، منفذاً لسلطة الامة وتشريعها . وليس هو رمزاً لها ولا مصدر سلطانها ، بل هو نائب عن الامة في السلطان ، ولذلك لاتعتبر رئاسته الا اذا كانت معطاة له من الامة ، ولا يعتبر رئيساً شرعياً الا اذا كان الاسلام حياً فيه يعمل بموجبه ولا ينفذ أمره الا اذا كان ضمن النظام الاسلامي ، قال ابو بكر في خطبته التي خطبها حين ولي الخلافة (ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فأعينوني وان صدفت فقوموني . الصدق امانة والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوي حتى آخذ له حقه ، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ، لايدع احدكم الجهاد ، فانه لايدعه قوم الا ضربهم الله بالذل اطيعوني مااطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . وقال عمر بن عبدالعزيز في خطبته التي خطبها حين ولي الخلافة (ايها الناس ، انه لا كتاب بعد القرآن ، ولانبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا واني لست بقاض ولكني منفذ وحين ولي ابوبكر رئاسة الدولة سموه خليفة المسلمين وحين ولي عمر الخلافة سموه امير المؤمنين ، و صار يطلق على رئيس الدولة الامام او الخليفة وليس

هذا الاطلاق ملزما . فالتسمية ليست مقيدة باسم معين ، بل المهم ان يكون رئيس الدولة - مهما اطلق عليه من اسماء - نائبا عن الامة في السلطان مع بقاء السلطان للامة ، وان يكون منفذا لارادتها ، سائراً حسب النظام الاسلامي ، اي خاضعاً لسيادة الشرع والواجب على المسلمين انتخاب رئيس للدولة الاسلامية يكون مظهراً لسلطانهم ومحققاً لسيادة الشرع .

ب - طريقة انتخابه : لقد ترك الاسلام طريقة اختيار رئيس الدولة للامة تعينها حسب ظروفها ، وبالطريقة التي تضمن مصلحتها ، وتعبر عن رأيها . فيجوز ان ينتخب من جميع الامة بالانتخاب المباشر من كل فرد ، ويجوز ان ينتخب من مجلس الشوري ، وللامة ان تعين في الدستور الطريق الذي تختارها هذا الرئيس . وقد كانت طريقة انتخاب رئيس الدولة في العصر الاسلامي الاول هي البيعة ، فكان المسلمون يبايعون الخليفة بيعة شرعية لسياسة الامة ، فالاسلام بتنفيذ احكامه ، وحمل الدعوة له ، والجهاد في سبيله والطريقة المتبعة في الوقت الحاضر هي الانتخاب بالاقتراع السري ، والبيعة هي الانتخاب . والطريقة التي اتبعت في انتخاب ابي بكر رضي الله عنه هي انه قد انتخبه من في سقيفة بني ساعدة ، بعد ان مد عمر يده فبايعه دون مشورة احد . ثم انتخبه عامة الناس في المسجد غير ان عمر قد اعتبر مبادرته لبيعة ابي بكر قبل الشورى فلتة حيث قال : ان مبايعة ابي بكر في السقيفة كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها فلا تعيدوها فمن اعادها فاضربوا عنقه ، وهذا يدل على ان التشاور فيمن يجب ان يكون خليفة ينبغي ان يسبق الانتخاب ، ولا شك ان الشورى ستستعرض عدة اشخاص هم المرشحون للخلافة ، وبعد المناقشة في امرهم ينحصر المرشحون في عدد منهم ويستبعد الاخرون . وهذا يكون به الشورى العلنية . وبعد ذلك ينتخب رئيس الدولة من بين هؤلاء المرشحين

بالاقتراع السري من الامة ، حتى يتمكن كل واحد من القيام بامر الله في مبايعة الخليفة لقوله عليه الصلاة والسلام (من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية) ولذلك كان الاولى ان تسلك في انتخاب رئيس الدولة الطريقة الاتية : وهي ان يختار مجلس الشورى المرشحين لرئاسة الدولة ، ثم تنتخب الامة رئيس الدولة من هؤلاء المرشحين . وعلى الامة ان تسرع في انتخاب رئيس الدولة اذا مات او عزل ، او اصبح غير صالح لرئاسة الدولة ، وان يتم انتخابه في مدة لاتتجاوز ثلاثة ايام من يوم خلو مركز رئاسة الدولة وتقوم الهيئة التنفيذية الموجودة حينئذ بشؤون الحكم ريثما يتم الانتخاب.

ج ـ صفات رئيس الدولة : قال ابو الحسن الماوردي (واما اهل الامامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة : احدها العدالة على شروطها الجامعة ، والثاني العلم المؤدي الى الاجتهاد فى النوازل والاحكام ، والثالث سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة مايدرك بها ، والرابع سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض ، والخامس الرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح ، والسادس الشجاعة والنجدة المؤديـة الى حماية البيضة وجهاد العدو ، والسابع النسب ، وان يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الاجماع عليه) وما ادعاه الماوردي من الاجماع على الشرط السابع لم يصح فقد اختلف الناس في هذا الشرط لان النص وهو حديث : (الائمة من قريش) ضعيف مطعون فى روايته ، ولان صفة النسب واشتراط النسب معارض للنصوص الكثيرة الصحيحة التي وردت بالغاء اعتبار الانساب وبالاعتماد على الاعمال ، والنعي على من دعا الى عصبية . كما ان الشروط الاخرى التي ذكرها الماوردي ليس لها سند من نص صحيح . والصحيح ان الرجل الذي تختاره الامة رئيساً لدولتها لاتشترط فيه الا الشروط الطبيعية التي ينبغي ان

تكون متوفره فيمن يعهد اليه القيام باعباء الحكم فيشترط فيه ان يكون رجلا من اهل الاسلام والعدالة والايمان ، بغض النظر عن جنسه واسرته لان الله تعالى يقول (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ويقول (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) فلم يشترط في اولي الامر الا ان يكونوا من المؤمنين . ولا يقيد اطلاق هذه الاية او يخصص عمومها حديث مطعون في صحته : و كيف اذا صح عن الرسول انه قال : اسمعوا واطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه ما اقام فيكم كتاب الله .

د - صلاحيات رئيس الدولة : يتمتع رئيس الدولة بصلاحيات واسعة ، فهو الذي يرأس الدولة وهو الذي يتمتع بالسلطة ويقوم بالتنفيذ ، ويعين قاضيا للقضاة وهو الذي يتولى قيادة الجيش ويعين معاونيه في الحكم وهم الذين يشكلون الهيئة التنفيذية (الوزراء) ، وهو الذي يعزلهم ، وهو الذي يعين الولاة ويعزلهم ، وامره هو الذي يجعل الاحكام الشرعية قوانين سارية المفعول ملزمة الناس بالعمل بها ، وهو رئيس الدولة بجميع شؤونها ، وهو رئيس الهيئة التنفيذية (مجلس الوزراء) الا ان هذه الصلاحيات على سعتها محدودة بالسير حسب الشرع وفي حدوده وهو المسؤول عن سياسة الدولة ، وتكون الهيئة التنفيذية والولاة وقاضي القضاة وقائد الجيش وامراء الويته مسؤولين امامه وليس لمجلس الشورى حق نزع الثقة منه او عزله .

هـ - مدة الرئاسة للدولة : ليس في الاسلام دليل على تحديد مدة لرئاسة الدولة ، بل المعمول به هو ان بيعة المسلمين لرئيس الدولة تبقى في اعناقهم حتى يموتوا او يموت او يعزل (من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية) وابو بكر وعمر ومن بعدهما من الخلفاء بويعوا بيعة لم توقت بوقت فهي دائمة ؛ ولذلك لا تحدد رئاسة الدولة بمدة معينة مطلقاً ، اذ ليس في

الاسلام مدة محدودة لرئيس الدولة ، وانما تحدد رئاسته بالحد الذي يخل فيه بالشرع ، فما دام محافظا على الشرع قائماً باحكامه حاملاً لمبادئه ، مطبقاً لنظمه يبقى رئيسا ، واذا اخل بذلك انتهت مدة رئاسته ، ووجب عزله حـــالاً . ووسيلة عزله الاولى هي محكمة المظالم، لانها هي التي تفصل في امر مخالفة الشرع

٣- الهيئة التنفيذية : للامة واجبات لابد من القيام بها . وحاجات يجب قضاؤها ، وتبعات يجب تقديرها وتحملها ، ورئيس الدولة هـو الذي انابته الامة للقيام باعباء ذلك كله . غير انه لما كان رئيس الدولة لايستطيع ان يضطلع وحده بهذه المسؤوليات ، كان لزاما عليه ان يعين معه معـاونين من الرجال المسلمين العدول ، الصالحين للحكم ، يتحملون معه مسؤوليات الحكم والتنفيذ ، ويشار كونه بتحمل تبعات الدولة والسلطان . وهؤلاء المعاونون هم الهيئة التنفيذية (مجلس الوزراء) ، ورئيس الدولة هو رئيسها . ولذلك كان رئيس الدولة هو نفسه رئيس الحكومة . اي هو رئيس الدولة ورئيس الهيئـة التنفيذية وليست للهيئة التنفيذية صفة الوزارة كما هي الحال في النظام الديمقراطي من حيث تخصيص كل واحد منهم بدائرة من الدوائر او قسم خاص من الاعمال بل لها صفة الحكم ومعاونة رئيس الدولة في السلطان وهي لا تباشر الامور الادارية ، بل تباشر الحكم وتتولى الاشراف على الادارة ، وتقوم بتنفيذ السياسة العليا التي تضعها للحكم وهي مفصولة عن الادارة وان كانت هي التي تعين مديري الدوائر وتتولى مجموع الجهاز الاداري الخاضع لها ، وعملها الاصلي هو تطبيق الاسلام وتنفيذ احكامه في الداخل والسهر على مصالح الامة والعمل على رفاهيتها وسعادتها وحمل الدعـوة الاسلامية للعالم . وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعين في تنفيذ الاحكام بابي بكر وعمر ؛ وكان ابو بكر يستعين بابي عبيده وعمر بن الخطاب ؛ و كان عمر بن الخطاب يستعين بعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان ، و كان عليه الصلاة والسلام متخذاً

حذيفة بن اليمان كاتب سره ، وزيد بن ثابت ترجمانه بالفارسية والقبطية والحبشية واليهودية .

٤ - الجهاز الاداري : لما كان نظام الحكم الاسلامي يجعل الادارة غير الحكم لم يشغل الهيئة التنفيذية بدوائر الحكومة وبالموظفين. لانهم يشكلون جزءاً صغيرا من عمل الدولة بل جعل الدوائر تعمل وحدها، وجعلها جميعها في جملتها تابعة للهيئة التنفيذية تتولاها كناحية من نواحي الحكم وتشرف عليها اشرافاً ادارياً فتعين الهيئة التنفيذية لكل مصلحة من مصالح الدولة مديراً يتولى ادارتها، وكل واحد منهم مسؤول عن الادارة التي يتولاها مسؤولية مباشرة . وهو الذي يتمتع بصلاحيات رئاسة الدائرة وتوجيهها ، فيعين الموظفين ويرقيهم وينقلهم ويعزلهم ويجري كل شيء اداري في المصلحة التي يتولى ادارتها طبق انظمة ادارية تمنع تسرب الخلل الى الادارة الان هؤلاء المديرين يكونون تابعين للهيئة التنفيذية ؛ لانها هي التي ترسم لهم السياسة العليا التي ينفذونها وتحاسبهم على الادارة . وسياسة الادارة تتلخص في كلمتين : هما البساطة في النظام، والاسراع في انجاز الاعمال ويتولاها من فيه المقدرة والكفاية عليها ، بغض النظر عن طائفته وجنسه . ونوعه ، فيتولاها الرجال والنساء والمسلمون وغير المسلمين ، مادام وا يتمتعون بحق المواطن وفيهم الكفاية لتولي امورها .

ولا بد للادارة في الدولة من دواوين خاصة تقضى فيها مصالح النـــاس وتبني الدولة مكاتب الادارة في مكان واحد ، حتى لا تتفرق دواوين الدولة وحتى تسهل على الناس المراجعة لقضاء مصالحهم ويجب ان تتخذ في كل ادارة غرف لاستراحة المراجعين ، ومكتب استعلامات لمساعدة الجمهور على المراجعة وان تتخذ فيها السجلات والاضابير لتسجيل الاعمال وترتيبها وقد كان الجامع هو المكان لدواوين الحكومة ثم امر عمر ببناء بيوت لمكاتب الادارة في مكان واحد ودون الدواوين واتخذ السجلات والاضابير وفي ايام عبد الملك بن مروان تقدمت الادارة ، واتخذ في كل ادارة غرفة للاستراحة .

٥ - الولاة : يقتضي الحكم تقسيم البلاد التي تحكمها الدولة الى وحدات من حيث مساحة الارض وما فيها من سكان ، وما تحتاجه من اعمال ، وتسمى هذه الوحدات ولايات . وتقسم كل واحدة من هذه الولايات الى وحدات تسمى عمالات . ويسمى كل من يشرف على ولاية والياً . وكل من يشرف على عمالة عاملا ، وهذا التقسيم تمليه مصلحة الدولة والامة . ويجري تعيين الولاة من قبل رئيس الدولة ، لان الوالي حاكم . وهو بمقام عضو الهيئة التنفيذية ، وله صلاحية الحكم في الولاية التي يتولى عليها . ولذلك لابد ان يكون رجلا مسلماً عدلا تتوفر فيه صفات الحاكم . اي ان يكون رجلا من اهل العدالة والايمان . وهو الذي يشرف على امور الحكم كلها في ولايته ، ويشرف على جميع دوائر الحكومة . وتكون خاضعة له من حيث الاشراف والتسيير والحكم ، وتابعة لمدير الدائرة من حيث التعيين والنقل والترقية والتأديب والعزل ماعدا المالية فانها تكون تابعة للهيئة التنفيذية ، وماعدا القضاء وماعدا الجيش والشرطة ، حتى لا تكون جميع عناصر الحكم بيده ، فلا تتحرك في نفسه احاسيس السيادة فتغريه بالاستقلال والانفصال ، فانه يكون في القضاء تابعا لقاضي القضاة ، وفي الادارة لباقي الدوائر والوالي صلاحية استخدام الشرطة في تنفيذ اوامره في ولايته وتنفذ الشرطة امره .

ويقوم نظام الادارة في الولايات كما في دوائر الدولة على النظام اللا مركزي ، فتوسع صلاحيات الولاة وكل الموظفين المسؤولين في الدولة ، كما توسع صلاحيات الادارة ، حتى يكون الاسراع في انجاز الاعمال وفض المشكلات محققاً . فلا تضيع مصالح الناس بالتطويل والتعطيل . وللوالي مناقشة رئيس الدولة فيما يصدر اليه من اوامر وانظمة وتعليمات . لانه ادرى

بشؤون ولايته ، ولان الادارة لامركزية ، ولكن عليه الطاعة اذا لم يؤخذ بوجهة نظره . ويكون لكل وال مجلس من اهل الرأي ينتخبه اهل ولايته وتكون لهذا المجلس صلاحية مشاركة الرأي في الشؤون الادارية . وعلى الوالي ان يأخذ برأي هذا المجلس في كل مايقرره مما هو من صلاحيته . ويكون الوالي هو رئيس مجلس الولاية ويتخذ الوالي ديوان ولايته بعيداً عن دار الحكومة في معسكر الشرطة .

٦ ـ القضاء : القضاء هو الحكم بين الناس حسب الشريعة الاسلامية ، سواء اكان فصلا في النزاع القائم بين الناس ، او منعاً لما يضر حق الجماعة ، او رفعاً للنزاع الواقع بين الناس والدولة او احد افرادها ، او فصلا في معنى نص من نصوص التشريع والقضاء واحد لايتجزأ . ولا يوجد في الاسلام قاض شرعي وآخر نظامي ، فذلك من مستحدثات الكفر حين بسط حكمه ونفوذه على بلاد الاسلام ، بل يوجد قاض فقط ، يوكل اليه امر الحكم بما انزل الله . ولكن (وظيفة) القاضي لها ثلاث جهات : احداها فض المنازعات بوجه عام في جميع شؤون الحياة . سواء اكانت هذه المنازعات معاملات او عقوبات او احوال شخصية ، وثانيها النظر فيما يتعلق بالنظام العام مما يستدعي الفصل فيه السرعة والشدة لمنع مايضر حق الجماعة في المجتمع . وهو مايطلق عليه قاضي الحسبة او قاضي السوق ، وهو المحتسب وهو قاض له صلاحية القضاء وثالثها الفصل في النزاع القائم ؛ بين الناس والدولة او احد افرادها فيما هو من اعمالهم سواء في الحكم او الادارة او التشريع او المال ولا يخرج القضاء عن هذه الانواع الثلاثة . فيعين لكل جهة قاض ويعين القضاة من قبل قاضي القضاة ، وذلك ان رئيس الدولة يعين قاضياً

للقضاة . ويشترط فيه ان يكون رجلا عدلا مسلماً من اهل الفقه وتكون له صلاحية تعيين القضاة وترقيتهم ونقلهم وتأديبهم وعزلهم. وهذا بخلاف شؤون الادارة في المحاكم . فان الصلاحية في امورها ، وفي تعيين موظفيها ونقلهم وغير ذلك هي لمدير الدائرة التي تتولى اداره شؤون المحاكم ، وبهذا يضمن استقلال القضاء ونزاهته . وقد كان القضاة يعينون من قبل رئيس الدولة الى ان جاء هرون الرشيد فاتخذ نائباً عنه ليتولى القضاء، اطلق علية اسم قاضي القضاة . واول من ولي هذا العمل الامام ابو يوسف صاحب ابي حنيفة .

وجهات القضاء الثلاث هي :

ا - القضاة وهم الذين يتولون الفصل في الخصومات والمنازعات بين الناس وفي المعاملات والعقوبات والاحوال الشخصية ويشترط فيهم ان يكونوا مسلمين عدولا من اهل الفقه .

ب - المحتسب (قاضي المخالفات) والمراد بـــه القاضي الذي ينظر في المسائل التي تضر حق الجماعة ، وتحتاج الى سرعة الفصل ، والشدة على المقضي عليهم ، والتنفيذ العاجل . ويشترط فيه ان يكون مسلماً عدلا ومن اهل الفقه ، وتتناول صلاحية المحتسب مايلي :

١ - الاشراف على نظام الاسواق ، والحيلولة دون بروز الحوانيت بما يعرقل المرور ، والكشف على الموازين والمكاييل ، والتفتيش على الفنادق والمطاعم والحزارين وبائعي الخضار وما شابه ذلك .

٢ - المحافظة على حركة المرور في الطرقات ، وحفظ حركة السير ومنع رؤساء المراكب البرية والبحرية والجوية على اختلاف انواعها ،من ان يحملوا اكثر مما يجب حمله من السلع والناس .

٣ - منع المنكر والمحافظة على الآداب العامة ومنع معلمي المدارس من ضرب التلاميذ ضرباً مبرحاً .

ويكون للمحتسب نواب يطوفون بالاسواق ويفتشون ، ويقدمون القضايا له لينظرها ويفصلها فصلا مستعجلا . ويلزم رجال الشرطة بتنفيذ اوامر المحتسب في الحال .

ج - قضاة المظالم : ويشترط فيهم ان يكونوا رجالا مسلمين عدولا ، من اهل الفقه والاجتهاد ، ويتولون اعلى محكمة في الدولة وهم خير القضاة علماً وفهماً وتقوى ويتولون الفصل في القضايا التي لاتكون داخلة في الجهتين السابقتين ، والتي تشكل ظلامات للناس لايملك قضاة الجهتين السابقتين رفعها وتنظر في القضايا الآتية :

١ - القضايا التي يقيمها الافراد او الجماعات ضد رئيس الدولة او الهيئة التنفيذية ، او اعضاء مجلس الشورى ، او الولاة ، اواي موظف من موظفي الدولة اذا كانت هذه القضايا تتعلق باعمالهم في الدولة . امـا اذا كانت تتعلق باشخاصهم بوصفهم الشخصي ، فتقام امام المحاكم القضائية الاخرى مهـما كان نوعها .

٢ - مخالفة رئيس الدولة للشرع او اهماله لأمور الامة وعجزه عن القيام بشؤون المسلمين ولها صلاحية الحكم بعزله ، وتسمع هذه القضايا من اي واحد من المواطنين .

٣ - النظر في رواتب الموظفين واجور العمال واصحاب الاعمال .

٤ - القضايا التي تنقل من عند القاضي والمحتسب لظروف محلية يخشى منها على الامن العام .

٥ - الفصل في معنى نص من نصوص التشريع في الدستور و في موافقة الدستور نفسه للشرع وفي دستورية القوانين فيما بعد (اي بعد ان يكون الدستور نفسه موافقاً للشرع) . اذ لها صلاحية الغائه ، او الغاء اي مادة منه اذا كانت مخالفة للشرع

لكن اذا كان موافقاً للشرع ، وتبنت الدولة مواده لاقتضاء المصلحة ، فان محكمة المظالم – والحالة هذه كسائر المحاكم ، تتقيد بالاحكام الشرعية التي تختارها الدولة وتتبناها لان القاعدة الشرعية : (ان امر الامام ينفذ ظاهراً وباطناً) .

وتتألف محكمة المظالم من عدة قضاة يعين عددهم حسب الحاجة ، والذي يعينهم هو قاضي القضاة كما في القضاة الا انه هل لقاضي القضاة ورئيس الدولة صلاحية ترقية وتأديب وعزل قضاة محكمة المظالم ام لا ؟ الظاهر مما كان يجري عليه العمل ان للخليفة او لقاضي القضاة عزلهم وان كان لا يوجد نص يجعل لهم حق هذا العزل . لكن الذي يبدو من التدقيق ان لا يكون لرئيس الدولة هذه الصلاحية ، وكذلك لا تكون لقاضي القضاة .

وذلك انه لما كانت لمحكمة المظالم صلاحية عزل رئيس الدولة ، كان لابد ان لا تكون لرئيس الدولة صلاحية عزلها ، لئلا تؤدي هذه الصلاحية الى عزلها في حالة تحققه عزله من قبلها . ولما كان عزلها في هذه الحالة حراماً ؛ كانت الوسيلة الى ذلك (وهي اعطاؤه حق عزلها) حراماً من باب سد الذرائع ، الذي يقضي باعطاء الوسيلة حكم الغاية ، ويجعل الوسيلة الى الحرام حراماً ، والوسيلة الى الواجب واجبة . لان الاصل في هذا الباب هو النظر في مآلات الافعال وما تنتهي في جملتها اليه . فانها وان كانت مآلاتها تتجه نحو المفاسد ، كانت محرمة بما يتناسب مع تحريم المفاسد ولما كان اعطاء رئيس الدولة صلاحية عزل محكمة المظالم يؤدي الى مفسدة كان ذلك ممنوعا ولهذا فلا صلاحية لرئيس الدولة في عزل محكمة المظالم ، ولا احد اعضائها ، وتكون صلاحية عزل احد اعضائها لمحكمة المظالم نفسها ، تقرره حسب الشرع في حكم شرعي كما تعزل رئيس الدولة .

٧ - الجيش : تعتمد الدولة اعتمادا ماديا على الجيش حتى تحمي البلاد من القلاقل الداخلية والاعتداء الخارجي ، لان القوة لاتدفع الا بالقوة . وكل مسلم يعتبر جنديا مهيأ للقتال في كل وقت . لان قتال الاعداء جهاد ، وهو عبادة من العبادات ، وفرض من فروض الاسلام ، الا ان هذا الجيش قسمان : قسم دائم ، وقسم احتياطي . اما القسم الدائم ، فهم الذين يخصصون للجندية ، ويعطون رواتب على تعطيلهم عن العمل ، وتفرغهم للشؤون العسكرية . وقسم احتياطي ، وهو جميع المسلمين ، لان التجنيد اجباري على كل من بلغ الخامسة عشرة من عمره ، يدرب على الجهاد حتى يتقنه ، ثم يسرح حتى تحتاجه الدولة ويتولى امر الجيش رئيس الدولة مباشرة ، لانه هو القائد الاعلى للجيش ، وهو الذي يعين قائدا عاما نائباً عنه . وهو الذي يعين لكل لواء اميراً ، ويعقد له الراية ويكون الجيش كله واحداً يوضع في معسكرات خاصة . الا انه يجعل في كل ولاية قسم من الجيش ويجعل في العاصمة قسم وعلى الحدود قسم والقسم الآخر في المعسكرات . وتجري الحركات العسكرية والمناورات الحربية حسب الحاجة . وتلحق بالجيش قوة الشرطة ، وقوة الحدود ، وسائر القوى المسلحة ، لانها كلها جيش ، ولان القوة المسلحة لابد ان تكون قوة واحدة . ويجعل لكل لواء راية خاصة وتجعل للجيش كله راية الدولة ويسن ان تجعل راية الدولة كراية النبي صلى الله عليه وسلم ، التي كانت تسمى العقاب ، وهي قطعة مصنوعة من الصوف الاسود مكتوب عليها :

(لا اله الا الله محمد رسول الله)

انتهى

صفحة الخطأ والصواب

حصلت بعض الاخطاء المطبعية وسقطت بعض الجمل وصوبت هنـــا فنلفت اليها انظار القارىء .

ص	س	خطأ	صواب
٢	٢	اجهزت	اجهز
٣	١٦	و كرامتهم كان	و كرامتهم ان كان
٣	٢٠	من خلف بكلتا يديهم من ليتناولوا	من خلف ليتناولوا بكلتا يديهم من سمومه
١٠	٢٠	مكرمهم	مكرههم
١٦	١١	المشتركين	المشركين
٢١	٧	وادي رابع	وادي رابغ
٢٣	٥	سمر	سمو
٢٨	٢١	البقوه	البقرة
٣١	٥	الممثل	تحذف
٣٢	١٦	ونسي	ونسيء
٤٠	٦	تلخيص	تخليص
٤٥	٢١	وميانهم	وقوميانهم
٤٨	٢	ادركت	دكت
٥١	١٣	بالأسلام يبين	بالأسلام وهاهو القرآن الكريم يبين

ص	س	خطأ	صواب
٥٦	١٠	والقيام فوق	والقيام بها فوق
٥٩	١٣	ويحفظهم الى	ويحفظهم اياه ويخضعهم الى
٦١	٢	فاحتج	فاحتيـج
٧٥	١	العباسي البحث	العباسي كثر البحث
٨٧	١٦	معا	بمـــا
٩٩	٦	اعتقادهم	اعتمادهم
١٠١	١٨	١٩٢٠	١٨٢٠
١١٠	٧	العهد	العداء
١١٢	٢١	المادر	المارد
١٣٠	١٩	الغرس	القدس
١٥٩	٩	العالمية	العالية
١٦٠	١٥	مرهقة	مرهفة
١٧٠	١٢	فالأسلام	بالأسلام

• •

٤٠ ٩ على ايدي المؤمنين وعليه ان يناضل ويكافح حتى يحقق حكم الأسلام وعلى كل قطر اسلامي ان يكافح ويناضل في سبيل تخليص باقي الاقاليم .

٩٣ ١٨ مما ادى الى الأنقلاب العام في الحياة ومما ساعد على وجود الأنقلاب الصناعي العظيم بخلاف الحال في العالم الأسلامي .

الفهرس

مقدمة للاستاذ داود حمدان	٢
ظهور الاسلام	٧
كيفية ظهور الاسلام	٩
سير الدعوة الاسلامية في مكة	١٢
سير الاعمال في المدينة	١٦
بناء الدولة الاسلامية	١٩
اساس الدولة الاسلامية	٢٧
مهمة الدولة الاسلامية	٣١
مؤهلات القيادة في الاسلام	٣٧
الدولة وتنفيذ النظام الاسلامي	٤١
سر الفتوحات الاسلامية	٤٦
تركيز الفتوحات الاسلامية	٥٤
الدعوة الاسلامية والثقافة	٥٩
المسلمون والثقافة	٦٢
الثقافة والعلوم	٦٥
الثقافة والعلوم في العصر العباسي	٩٧
الحديث	٦٨

A.U.B. Library

التفسير	٦٩
التشريع (الفقه)	٧٠
علوم اللغة العربية	٧٢
السيرة والتاريخ	٧٤
علم الكلام (التوحيد)	٧٥
الثقافة الاسلامية في ادوارها المختلفة	٧٦
الطاقة الاسلامية	٩٠
الغزو التبشيري	٩٨
العداء الصليبي	١٠٩
آثار الغزو التبشيري	١١٤
الغزو السياسي للعالم الاسلامي	١٢٢
القضاء على الدولة الاسلامية	١٢٧
الحيلولة دون قيام الدولة الاسلامية	١٤٠
لزوم قيام دولة اسلامية	١٥١
صعوبات قيام الدولة الاسلامية	١٥٤
كيف تقوم الدولة الاسلامية	١٦٠
جهاز الدولة	١٦٦
صفحة الخطأ والصواب	١٨١

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00531642

DATE DUE

JK
297.617
N115dA
c.2

الثمن